

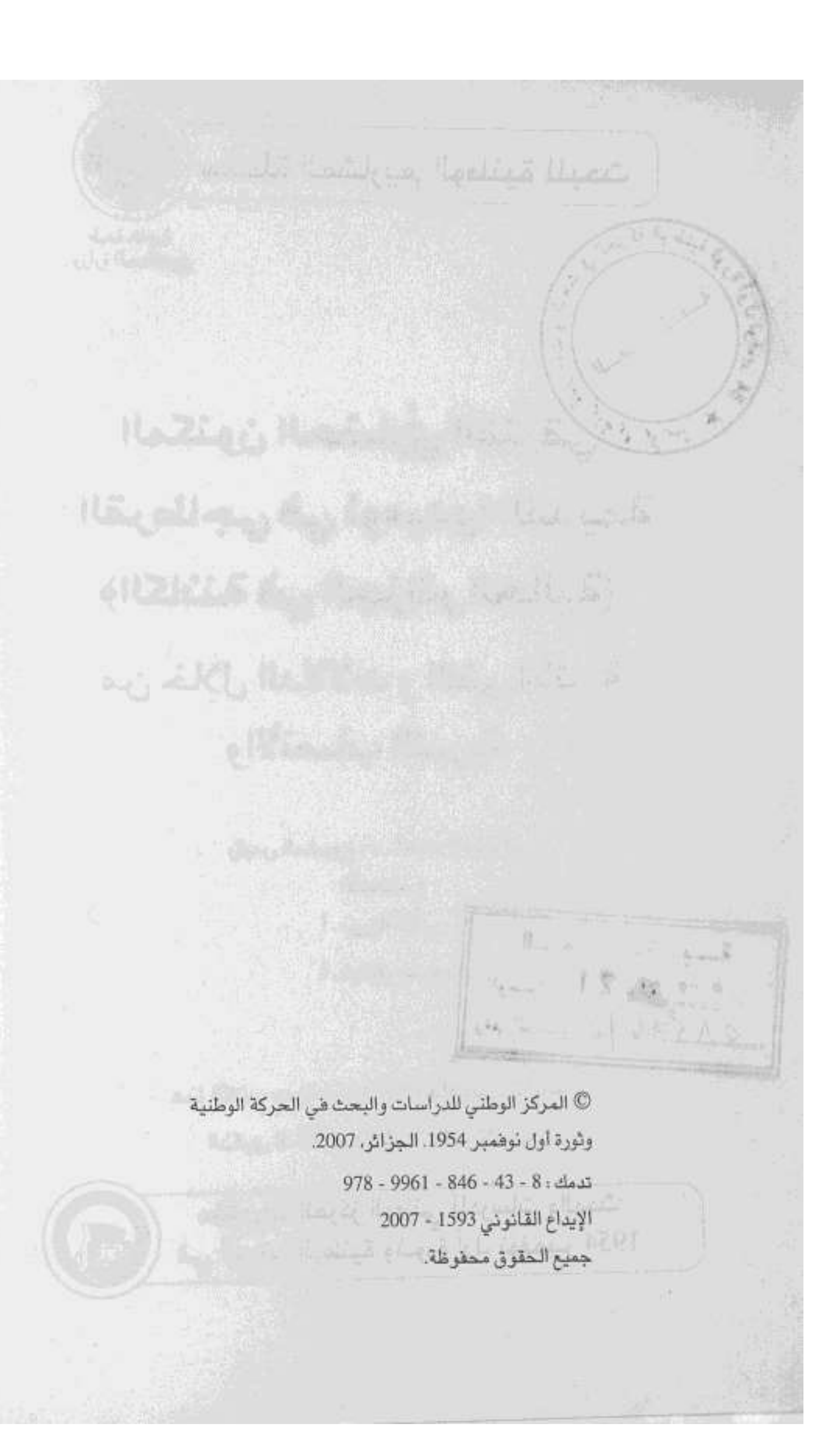
سلسلة المشاريع الوطنية للبحث

طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر



منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث
في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954



تدمك : 8 - 43 - 846 - 9961 - 978
الإيداع القانوني 1593 - 2007



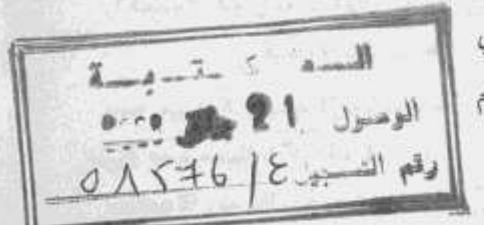


طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

المكنون الحضاري الفنيقي القرطاجي في نوميديا القديمة «الكائنة في الجزائر الحالية»

من خلال الدلالات و اللقى الأثرية والأنصاب الندرية

رئيس المشروع : د. أحمد السليماني
الأعضاء :
أ. نورية أكلي
أ. توفيق حموم



هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين بمناسبة
الذكرى الـ 45 لعيد الإستقلال والشباب



منشورات المركز الوطني للدرسات والبحث
في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

تصدير بقلم معالي وزير المجاهدين

كثيرا ما عادت إلى ذهني عبارة قالها المؤرخ الشاعر الموسوعي الدكتور أبو القاسم سعد الله حفظه الله، مفادها أننا شعب يحسن صناعة التاريخ ولكنه لا يجيد روايته والتأريخ لما يصنعه.

وإذا كان هذا الإستنتاج المشحون بغصّة أكيدة هو وليد معاناة البحث والإستقصاء التي تحمّلها هذا العالم الفاضل، وهو يقلب دفاتر الماضي ويدقّق ويغوص بخبرته وعلميته وسعة اطلاعه في ثنايا تاريخنا الوطني ويرى بأم عينيه كم هو قليل عدد الذين يخوضون معه غمار هذا اليم الواسع المليء بالأسرار والمكنونات، والمليء أيضا بالبحارة المزيفين أو المناوئين الذين لم ولن يدخروا ما في وسعهم للمضي في تزوير الحقيقة التاريخية أو تزييفها أو تغليفها بما يخدم الأهداف المعلنة وغير المعلنة للعدو، والتي ما اتسع حقلها و علا صوتها إلا بسبب ما بدر من المؤرخ الوطني من انسحاب وغياب وما ظهر فينا من سلوك غالب لا يعير التاريخ الأهمية التي تستحق والأولوية التي يجب أن يتبوأها .

ولله الحمد إذ وقعت همسة الدكتور أبو القاسم سعد الله الهادفة ومعها كثير من الدعوات الواعية في سمع راعية أمينة حملت همسة الاستغاثة هذه على محمل الجد وقالت معه ومع غيره من الغيورين على التاريخ الوطني، أنه حان الوقت لعمل جاد لاستغلال هذا الفضاء الحيوي وإعادة ترتيبه ليكون من بين أهم الاهتمامات الأولوية

والفضل في هذا المنحى يعود بالدرجة الأولى إلى فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة الذي ما كان ليفوت مناسبة وطنية أو محلية إلا وقد حث الهمم ونبّه إلى الآثار السيئة والثقوب الخطيرة التي بدأت تبدو على هذا المستوى أو ذاك من الأعطاب التي تصيب الذاكرة الوطنية، والتي بدأت نتائجها السلبية واضحة في وعي الأجيال الجديدة وتصرفاتها.

قالها فخامته بلغة واضحة أننا وإن كنا مجبرين على التكيف مع المستجدات الحاصلة من حولنا والمشاركة كطرف فاعل في الفضاء الإنساني الجديد، إلا أن نوعية مشاركتنا

وحماية مصالحنا مرهونتان بنجاحنا في تغذية الأجيال الجديدة بالمرجعيات الذاتية ومرتكزات القوة التي تجعلهم يشاركون ولا يذوبون يتصدرون ولا يكونون تبعا لغيرهم، وليس لبلوغ هذه الغاية من خيار غير العناية بالتاريخ وتطعيم هذه الأجيال بخلاصاته.

وقد تمّ الحرص في كل هذا الجهد المتكامل على وضع الأسس لمدرسة تاريخية وطنية لا تستغني عن المناهج العلمية الموضوعية والائتمان على الحقيقة، ولا تسعى في محصلتها إلى زرع الأحقاد كما تفعل المدرسة التاريخية الكولونيالية، ولكنها مع ذلك لا تنسى أنها إزاء بحث علمي إنساني اجتماعي في المقام الأول، وأنها تخوض غمار العمل في حقل ظل مسكوناً بالمغالطات والتعصب في الكثير من المؤلفات التي صدرت عن المؤرخين الإستعماريين، وإنه من حقها أن تعيد ترتيب الحقائق كما وقعت بالفعل وبالصورة التي تبين للأجيال كفاح آبائهم، وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله (من حفظ التاريخ زاد عقله).

في سياق هذا الجهد الذي ابتدأ منذ بضع سنوات و احتفاء بالذكرى الخامسة والأربعين لاستعادة السيادة الوطنية يقدم المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 مجموعة جديدة من البحوث العلمية التاريخية قامت بإعدادها بالتعاون مع المركز، كوكبة من الباحثين والمؤرخين والأساتذة، المعروفين بقدراتهم العلمية، وبمساهماتهم المتخصصة في هذا المجال .

وإني لأغتنم هذه الفرصة لأوجه إلى هؤلاء الأساتذة جزيل التقدير على ما تحملوه من عناء البحث والتنقيب والتدقيق ليقدموا هذا الإنتاج الذي سيكون خير عون للطلبة والباحثين والراغبين في التعرف على التاريخ الوطني من منابعه الصافية.

كما أعبر عن بالغ التقدير والشكر لجميع القطاعات التي ساهمت إلى جانب وزارة المجاهدين، في إنجاز هذا المشروع وأخص بالذكر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والوزارة المنتدبة للبحث العلمي اللذين وجدنا فيهما خير مساند في هذا المسعى الوطني الرفيع.

وفق الله الجميع في خدمة التاريخ الوطني، وتخليد مآثر الأمة الأزلية، ومن سار على الدرب وصل.

السيد : محمد الشريف عباس

تقديم بقلم مدير المركز

يتشرف المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بإصدار ثلاثين دراسة علمية، هي ثمرة عمل مشاريع البحث المنجزة في إطار البرنامج الوطني للبحث العلمي، والتي نال المركز شرف تأطيرها منذ انطلاقها إلى اليوم.

وإذ تتناول هذه الدراسات تاريخ الجزائر بكل مراحله، فإن ذلك يعتبر تأكيدا لفكرة: أن التاريخ الوطني كل لا يتجزأ على اختلاف العصور والأحداث والأزمنة التي عرفتها بلادنا، وأن هذا المكنون التاريخي، مترابطة مراحله ومتواصلة من القديم إلى الوسيط إلى الحديث والمعاصر، بما في ذلك فترتي المقاومة والثورة التحريرية.

وإذا كان الهدف البعيد في طبع ونشر هذه الأعمال هو إبراز دور المركز ومساهمته الفعالة في كتابة تاريخ الجزائر، في إطار الدور المنوط به منذ نشأته سنة 1995، فإن الهدف القريب و المباشر يتمثل في تدعيم المكتبة الوطنية بعصارة جهد ثلة من خيرة الأساتذة الجامعيين والباحثين الجزائريين المشهود لهم بالخبرة والكفاءة والاختصاص، وإثراء الرصيد العلمي والمعرفي للطلبة والمهتمين والباحثين.

ولا يفوتنا بمناسبة نشر هذه الأعمال أن نهنئ أنفسنا وشعبنا وأن نشكر وزارة المجاهدين وعلى رأسها معالي الوزير السيد محمد الشريف عباس، على رعايته واهتمامه البالغ بهذا المشروع، كما نثني على الدور الكبير الذي لعبته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الوزارة المنتدبة للبحث العلمي، الأساتذة والباحثون ،وكل الذين حرصوا وساهموا في إخراج هذا المشروع إلى النور.

د: جمال يحياوي

طليعة البحث

لا يخفى على أحد أن البحث التاريخي في العصور القديمة في إفريقيا الشمالية ليس بالعمل الهين، لأن المؤرخ والأثري يستعينان في إخراج الحقيقة التاريخية إلى حيز الوجود بالعمل الميداني، وتتجلى في الحفريات الأثرية ورصد الشواهد والتماثيل والأدوات الأثرية في المتاحف العالمية، لعله بهذا العمل ينفض الغبار ويزيل الإبهام الذي يحيط بالأحداث التاريخية. وينطبق هذا الأمر على الرصيد الحضاري الفنيقي القرطاجي في الجزائر القديمة، حيث أن رصد وضبط هذا التراث العظيم ليس بعمل سهل، فعند بداية البحث في هذا المجال ، إعترضت فرقتي عقبات جمة، منها إدارية وعملية وتاريخية وأثرية، ولولا إرادتي القوية ورغبتي وعزيمتي لما إستطعت أن أكمل عملي ، وسطرت في أول وهلة منهاج بحث سرت على خطاه حتى إكمالي لهذا البحث، وإن زياراتي المتكررة إلى تونس ولقائي بالدكتور محمد حسين فنطر قد أفادني كثيرا؛ كل هذا قوى بداخلي عزيمة مواصلة البحث، وإن مشاركتي في حفريات كركوان – وهي مدينة قرطاجية تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد موجودة في الوطن القبلي Cap bon – قد ساعدني ذلك على مواصلة البحث بكل ثبات، وأدى بي للإطلاع على التراث الأثري القرطاجي عن كثب من خلال الإكتشافات الأثرية للجرات والمجوهرات الذهبية ، والهياكل العظمية القرطاجية، وأدوات ومأكولات بمافيها "الرايب" الذي عثر عليه في المقابر البونية داخل جرات صغيرة الحجم، كل ذلك أضاء لي بعض الجوانب التي كانت غامضة عندي ، وهي تخص التراث القرطاجي، ورأيت تفاصيل حول البيت البوني في مدينة

كركوان، وهو يتكون من الحمام والمطبخ والغرف ومجاري المياه وحفرت مع أعضاء فرقتي في تعرية التراب من البيت البوني الذي أعدنا تشكيله من جديد.

وعلى كل حال فإن تقدم الإكتشافات والحفريات المستمرة للنقوش، والبقايا الأثرية التي حملت معلومات هامة حول الرصيد الحضاري الفنيقي والقرطاجي في الجزائروهو موضوع أثري محض، لأنه يعتمد على الرصيد الأثري في كتابة تاريخ هذا الرصيد، فهناك علاقة عضوية بين التاريخ والآثار في هذا المجال، ولقدإستعنت بالوسائل السمعية البصرية من أجل تصوير كل ما له علاقة بهذا الرصيد الحضاري القرطاجي، وقد عثرت على كثير من الآثار القديمة في متاحف جزائرية مثل، متحف قيرتا (سيرتا) بقسنطينة ومتحف ڤالمة، ومتحف صغير في (حمام المسخوطين)، ومتحف حديقة الحريــة (ستيڤان غزال) ومتحف باردو في تونس، ومتحف قرطاج، ومتحف بيروت.

ومتحف دمشق على كثير من المعروضات الأثرية التي لها علاقة بموضوع المشروع، ألا وهو الرصيد الفنيقي - القرطاجي في الجزائر القديمة، فقمت بتصويرها وجمعها في ألبوم سوف أصنفها وأرتبها في كتاب مستقبلا ضمن منشورات فرقة البحث هذه إن شاء الله.

وكما هو معلوم أن أغلبية الدراسات الحديثة التي تطرقت إلى موضوع الرصيد الحضاري القرطاجي، قام بها أثريون وباحثون أجانب من فرنسا على الخصوص وإيطاليا وإسبانيا، وفي هذا المضمار بالذات كان من الواجب علينا - نحن- كجزائريين الإهتمام والمساهمة بقدر ما نستطيع في البحث عن آثار وتاريخ الجزائر في الحقبة الفينيقية والقرطاجية بشكل مفصل، فلا نترك الميدان للأجانب وحدهم الذين كتبوا وبحثوا وأعدوا دراسات جيدة وذات قيمة كبيرة رغم بعض المآخذ في بعض الأحيان .

ولقد ركزت في بحثي على الرصيد الحضاري في مدينة قيرتا (قسنطينة) التي يوجد فيها أكبر رصيد أثري ديني في شمال إفريقيا الشمالية، وتتمثل في الأنصاب النذرية - وهي أنصاب لها طابع ديني قرطاجي محض - وقمت بدراسة الكتابات البونية الموجودة على الأنصاب.

واستعنت مع أعضاء فرقتي على ثلاثة أنواع من المصادر : وهي المصادر المادية التي تشمل النقوش والآثار والمصادر الكلاسيكية وكذلك المراجع والمقالات، علاوة عن معروضات المتاحف والآثار التي قمت بتصويرها والتعليق عليها بعد دراستها وتحليل مضامينها.

أما فيما يخص المصادر المادية المتمثلة في النقوش والآثار البونية والبونية الجديدة والصور والرموز المنحوتة فوق الأنصاب النذرية والبقايا الأثرية الأخرى فقد إحتلت قسنطينة المرتبة الأولى فيما يخص أعداد الأنصاب، وسجلت في ديوان النقوش السامية. Centre Inscriptionum Semiticarum, Paris prima 3 tomes "CIS". ومنها ما هو مسجل في المجلة الأسيوية، وآخر في دراسات نشرت في المجلة الإفريقية(R.A) والبعض الآخر من الدراسات حول الرصيد الحضاري الفنيقي البوني في الجزائر القديمة : منشورات مجلة Cemetica, وReppal وفي مدونة Mazard للمسكوكات. وفيما يخص المصادر الأدبية وأعني بذلك النصوص القديمة، فتتجلى في مؤلفات المؤرخين الإغريق واللاتين وهي قليلة، وأخبار القرطاجيين فيها مبعثرة ومشتتة عبر مجموعة من الكتب أذكر منها المؤرخ بوليبيوس الذي عاش مابين 210 و122 ق.م، وتعرض إلى الهيمنة الرومانية في غرب المتوسط واحتلالها العسكري وتعرض إلى حملة حنبعل على روما، ويعد بوليبيوس أهم مصدر قديم للإطلاع ودراسة الآلهة البونية.

ومن المصادر الموثوقة ديودور الصقلي الذي يراه البعض من أوثق المصادرحول تاريخ ديانة القرطاجيين، فرغم أنه لم يعاصر الأحداث التي تحدث عنها؛ ومع هذا فقد نقل إلينا بعض الأخبار المتعلقة بعملية تقديم التضحيات البشرية للإله بعل حمون والتي أثارت نقاشا كبيرا في أوساط الباحثين من مؤرخين وأثريين من العصر الحديث، ولاسيما الشق المتعلق بفدية الأطفال، هل جرت فعلا بقرطاجة وغيرها من البلاد النوميدية (الجزائر القديمة) أم لا...؟ وهذا المؤلف تعرضت إليه في بحثي ويتطلب دراسة معمقة للحسم في هذا الشأن بالذات.

هذا ومما يجب ذكره أن هناك بعض المصادر الأخرى لا غنى للباحث للعودة إليها، منها التاريخ الطبيعي للمؤرخ بلين الكبير من القرن الأول الميلادي، وسالوست صاحب كتاب حرب يوغرطة، وهيرودوت الذي ألف التاريخ العالمي، وسترابون الجغرافي الإغريقي الشهير، والمقالات والمؤلفات.

وإستفدت كثيرا من كتاب جديد ألفه محمد حسين فنطر بالعربية؛ عنوانه: (الحرف والصورة في عالم قرطاج) وهو كتاب ممتع فعلا، حيث يعرج فيه على نشأة قرطاجة ودور الآثار في الكشف عن حقائق تاريخية هامة، وكذلك تماثيل وأنصاب وأقنعة قرطاجية تفسر التاريخ القرطاجي وتفصله تفصيلا.

أما ستيفان قزال فقد إستعنا بكتابه الضخم (تاريخ إفريقيا الشمالية القديم) في ثمانية مجلدات؛ وهو يعد مرجعا رئيسيا في التعرف على الحضارات القديمة في بلاد المغرب القديم من ناحية أصولها ومجتمعاتها، وتطورها السياسي والديني، وكانت أعمال برتي وشارلي اللذان ألفا كتاب:(المعبد البوني في الحفرة) بقسنطينة بمثابة نبراسا يقتدى به حول مدى النفوذ البوني في أعماق نوميديا، أو في داخل قسنطينة، وهي قيرتا في القديم التي عثر فيها على أكبر أنصاب بونية في نوميديا كلها بعد تونس طبعا، كما سلف ذكره.

Bertier (A) , Charlier(A.R) le sanctuaire punique d'Elhofra. ولا ننسى ما كتبه بيرتراندي Bertrandy وسنيسر Sznycer حول الأنصاب البونية التي كشفت عنها في قسنطينة les steles punique de Constantine وقامت الباحثة التونسية عالية كرندل بن يونس بأداء دراسة هامة بالفرنسية، كانت موضوع أطروحة دكتراه دولة في التاريخ القديم؛ عنوانها : (الحضور البوني في البلاد النوميدية) وحصلت على نسخة منها بفضل سخاء السيد محمد حسين فنطرمن مكتبته العامرة في المعهد الوطني للتراث البوني، وقد أفادتني هذه الدراسة للإطلاع على آثار المدن النوميدية ذات التأثير في الجزائر القديمة. وعنوان الكتاب وإسم المؤلفة كالآتي:

Alia krandel Ben Younes(la presence punique en pays numide).

وقرأت كتب عديدة لسباتينو موسكاتي؛ عميد الدراسات البونية والفنيقية في إيطاليا، الذي خطفته يد المنون أخيرا، وقد خلفه على كرسي الدراسات البونية بارتولوني Bartoloni وهو أستاذ في جامعة سردينيا تعرفت عليه خلال حفريات كركوان في شهر غشت 2003، وهي مدينة قرطاجية في جنوب الحمامات التونسية في الوطن القبلي (Cap Bon). وتعرضنا في هذا البحث إلى المكنون الحضاري الفنيقي والقرطاجي في المدن النوميدية الكائنة في الجزائر الحالية، وبدأنا الدراسة بمجيء البحارة الفنيقيين في غرب البحر المتوسط، وتعرضنا إلى أهم المصادر القديمة التي ذكرت الرحلات البحرية لأهل صور، وكذا دور طرسوس، وأهمية نشأة قرطاجة، والمعطيات التاريخية المتعلقة بهذه المدينة.وجرى التعريج على المجتمع القرطاجي وعبيد قرطاجة، وخصصنا حيزا إلى الفن القرطاجي من خلال اللقى الأثرية وولع حنبعل بالتماثيل.

وخصصنا فصلا كاملا للرصيد الحضاري الفنيقي والبوني على الخصوص في الجزائر القديمة التي كانت تدعى نوميديا القديمة، بما في ذلك مضامينه الأثرية، حيث تم إشعاع بوني في مدن نوميدية (الكائنة في الجزائر القديمة) وتتجلى في آثار قرطاجية (بونية) عثر عليها في أوجلا Uzel وسيغوس، وتيغزيرت تاقصبيت (يومنيوم) وقالمة، والقصيبة، وعنابة، وسكيكدة، ودلس، وكاب جانيت، وإيكوسيوم، وتيبازة، ويول (شرشال)، وأرزيو، وتبسة، وقيرتا.ثم تطرقنا إلى أثر الديانة البونية في البلاد النوميدية، منها عبادة بعل حمون وتانيت في قيرتا وغيرها، ومسألة تضحية الأطفال، وكذا أثراللغة البونية في نوميديا.ولم ننس التذكير بمملكة ماسينسن من خلال النقائش البونية، كالأنصاب المكتوبة التي عثر عليها في معبد الحفرة بقسنطينة. كما خصصنا فصلا آخر بالآنية الزجاجية البونية المسواة على قاعدة عثر عليها في مدن الجزائر القديمة. وفي الأخير تعرضنا إلى الأثر البوني من الناحية الإجتماعية والعمرانية، وكذا الأثر البوني في ضريح المدراسن وضريح قبر الرومية بالقرب من تيبازة.

هذه نظرة موجزة على مضامين فصول الدراسة التي تطلبت جهدا كبيرا لإعدادها وتحريرها، وهذا لايعني أن موضوع الرصيد الحضاري الفنيقي القرطاجي قد إكتمل بل مازال الطريق طويلا ويحتاج هذا المشروع إلى مزيد من الجهد والمثابرة والتآزر والتفاني لإتمام ما بقي عالقا كالأنصاب الندرية البونية التي لم تدرس بعد، بعضها تحت التراب في منطقة قالمة، وعنابة وبعضها الآخر موجود بمتاحف في الهواء الطلق، تحتاج إلى دراسة إيبيكرافية وأثرية، وهذا ما نود إتمامه إنشاء الله ؛ ويذكرني ذلك بقول الشاعر العربي لله دره عندما قال :

﴿ ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار ما لم تزود ﴾

فالرصيد الحضاري هذا بمثابة بحر لابد من خوض غماره لإكتشاف ما بين ثناياه من كنوز ثمينة، وهذا ما نود فعله بحول الله وقوته والسلام.

رئيس المشروع الدكتور أحمد السليماني

الفصل الأول

الرحلة البحرية القديمة مضامينها ودورها التجاري والاستكشافي إبان العهد القديم

بقلم الدكتور أحمد حسين السليماني
أستاذ محاضر للحضارات القديمة بجامعة الجزائر قسم التاريخ
ورئيس فرقة البحث بمركز الحركة الوطنية حول الرصيد
الحضاري الفينيقي-القرطاجي
في الجزائر القديمة

الرحلة البحرية الفنيقية

إن الدافع الرئيسي للقيام بالرحلة البحرية في القديم عند الفينيقيين، والفراعنة، والفارسيين، والقرطاجيين، والنوميديين، يكمن في حب المغامرة، وحب الإطلاع، وإكتشاف المجهول، وارتياد عوالم كانت مجهولة لدى البشرية في العهد القديم، والفراعنة القدماء حاولوا التعرف على البلاد البعيدة، والتي يفصل بينها وبين أرض مصر آلاف الأميال، وما رحلة سنوحي التي أوردتها الروايات الفرعونية القديمة إلا مظهر حي في هذا المجال ؛ وهي تشبه في بعض الأوجه رحلة السندباد البحري التي وردت في ألف ليلة وليلة في العصر الإسلامي، وكانت رحلة سنوحي مصدر إلهام للكاتب الكبير عباس محمود العقاد الذي كتب عن مغامرات سنوحي في وادي النيل وكذا الصعوبات التي إعترضته، وإن الرحلات التي قام بها الملوك القرطاجيون في غرب المتوسط والمحيط الأطلسي تعبر عن إرادتهم الخالصة في إكتشاف العالم القديم بواسطة السفن الشراعية والمجاديف، وفي دراستي هذه أحاول أن أرصد مدى إمكانية الرحلة البحرية في القديم كوسيلة تواصل ومد الجسور بين الناس من مختلف الأعراق بدون تمييز وفي كنف المودة والحب والسلام .أجل إن زوال قرطاجة على يد الرومان من مسرح التاريخ القديم والتي كانت أعظم إمبراطورية بحرية في حوض المتوسط القديم، إن ذلك قد غير حركة التاريخ ومساره حيث أصبحت هيمنة العنصر الهندوأوربي المتمثل في الرومان على العنصر السامي المتمثل في القرطاجيين والذي ترك أبلغ الأثر في الحضارة واكتشاف وارتياد بلاد بعيدة بواسطة السفينة والرحلة المنظمة، فكان ما كان وهذا هو حال الزمان ؛ ولله در الشاعر الذي قال :

لكـل شـــيء مـا تم نقصان * فلا يغـر بطيـب العيش إنسان

الفينيقيون والحضارة السورية

عندما وصل الفينيقيون إلى بلاد المغرب القديم وأنشأوا محطات صغيرة في عدة مدن ساحلية خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد وما بعده من أجل تنمية التجارة وإقامة تبادل تجاري بواسطة المقايضة، ويعد الإ ستيطان الفينيقي المبكر في هذه الديار بمثابة أول بادرة جرت لتعمير إفريقيا الشمالية على يد مشارقة قبل ظهور الاستعمار الإغريقي والروماني في حوض المتوسط الغربي . وترك الفينيقيون أولا ثم القرطاجيون فيما بعد بصمات بارزة في ميدان العلاقات الاجتماعية والسياسية والتجارية والحضارية مع أهالي الجزائر والمغرب لا ينكرها إلا جاحد .

والبحارة الفينيقيون ينتمون إلى تراث مشترك معروف بالتاريخ السوري، وينعت تراثهم العتيق و مكوناته السياسية بالحضارة السورية، لأن موطن نشأة هذه الحضارة هي بلاد سوريا ،واستطاعت العناصر السورية في القديم مقاومة الغزاة.

مناقب الحضارة السورية

ينسب إلى الحضارة السورية أعمال جليلة تتمثل أولا في اختراع الحروف الهجائية التي انتشرت في المغرب القديم بفضل الرحلات التجارية الفينيقية، والعنصر الثاني يعد مفخرة للفينيقيين هو اكتشاف المحيط، وهو جزء من بيت القصيد في بحثي حول الرحلة البحرية في القديم. أما العنصر الثالث فهو التوصل إلى فكرة خاصة عن الله مشتركة بين اليهودية والزرادشتية والمسيحية والإسلام، لكنها فكرة غريبة عن الفراعنة والسومريين والسند و الهيلينستية.[1]

أما المبدع الأول للحروف الهجائية فهو مجهول[2] ولكن من المتعارف عليه تقليديا نسبتها إلى الفينيقيين، وربما نقلها الفلسطينيون في صورة بدائية من العالم المينوي [3] وبسبب ضآلة معارفنا في هذا المضمار يجب أن يترك مهد اختراع الحروف الهجائية بلا تعيين.

1- أنظر أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ص 154.

2 - نفس المرجع ص 154 - 155.

3 - نفس المرجع ص 155.

الفينيقيون الذين حطوا الرحال في غرب المتوسط هم الذين أنشأوا قرط حدشت على الساحل التونسي،ليس بعيدا عن مدينة تونس الحديثة من طرف ديدون أو عليسة التي هربت من أخيها، الذي قتل زوجها واغتصب الحكم الملكي في مدينة صور، وكما هو معلوم أن إسم فينيقية القديم كان يخص المنطقة الجغرافية المتعلقة بالساحل السوري و اللبناني الحالي.وكانت بلاد فينيقيا تتكون من صور، وصيدون، وبيروت، وجبيل،(بيبلوس)، وطرابلس، وجزيرة أرواد وهي مشهورة بصناعة السفن، وفي أقصى شمال1 الساحل السوري توجد رأس الشمرا وأوغاريت.4

موطن الفينيقيين الأول

يرى هيرودوت[5] أن موطن الفينيقيين كان في جوار البحر الأحمر، وأكد هذا الإحتمال ما ورد في مخطوطات رأس الشمرا[6] التي تعد أساطير وقصائد دينية وملحمية كتبت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. فرضت تجارة القوافل على الفينيقيين أن يحتلوا لبنان ومرفأي صور وصيدون،وأنشأوا أسطولا بحريا وتمكنوا من توسيع علاقاتهم التجارية، وظهر التأثير المصري في جبيل حوالي الألف الثالث ق م ولم ينقطع أهلها عن التبادل التجاري مع المصريين، ولا يستبعد هيرودوت أن تأسيس صور جرى في حوالي 2750 ق م وساد تأثير المصريين في فينيقيا في نهاية الألف الثالث ومطلع الألف الثاني ق م لكن معظم المدن الفينيقية ظلت تقاوم باستمرار للحفاظ على استقلالها، وعانت المدن الفينيقية من غزو شعوب آتية من الشمال في حدود 1200 ق م ولم تتوقف إلا عند حدود مصر، وقد انشغلت هذه الأخيرة في الدفاع عن نفسها مما أدى إلى تخليها عن الوصاية التي كانت تفرضها على المدن الفينيقية، فعرفت صور ازدهارا لا مثيل له وكانت بمثابة أعظم مرحلة تاريخية عرفها التوسع

4 - هذه المدن الساحلية التي سلف ذكرها أعلاه أصبح سكانها من أمهر الملاحين بفضل الموارد البحرية التي تدفقت عليها من خلال موانئها الكثيرة .أما فيما يخص جزيرة أرواد كان لي شرف زيارتها إبان رحلة أثرية في القطر السوري عام 1998 م إذا لم تخني الذاكرة، ولاحظت فيها استمرارية صناعة السفن الخشبية الصغيرة، وهذه الجزيرة قريبة جدا من مدينة طر سوس الساحلية.

5- أنظر هيرودوت التاريخ الكامل، المترجم من الإغريقية إلى الفرنسية.

6- إن مخطوطات رأس الشمرا و أوغاريت عثر عليها علماء الآثار و تعد كمادة رئيسية في تاريخ الفينيقيين القدماء.

الفينيقي في هذه الفترة بالذات، فالبواخر الفينيقية كانت تحمل بضائع ومواد أولية متجهة بها في أنحاء مختلفة من حوض البحر المتوسط، وكان التجار الفينيقيون يقومون بتأسيس مستوطنات و مرافئ للتجمع و همزة وصل في مناطق معينة بالحوض الغربي للمتوسط وأسسوا مراكز مبادلات كانت تعود بالفائدة والغنى لمدينة صور وكذلك للمتعاملين معها وأصبحت صور كمركز تموين عالمي بفضل ما تحمله بواخرها، وكذلك بفضل صناعتها الراقية فمصانعها كانت تصنع أنسجة من الحرير والصوف والخيط فاقت في دقتها وجودتها جمال المنسوجات المصرية في عهد الفراعنة وكانت تنتج جواهر ومطروزات رفيعة وعطور لها شهرة عالمية .[7]

الرحلات الفينيقية الأولى نحو غرب المتوسط

قامت جماعة من صور تحت قيادة عليسة بنزول حوالي 814 ق م في خليج تونس حيث أنشأوا مدينة قرط حدشت ومعناها بالفينيقية المدينة الجديدة التي كان لها شأن كبير إلى جانب روما وأثينا في التاريخ القديم . وقبل ذلك بعدة قرون كانت السفن الفينيقية المحملة بالبضائع والمواد الأولية تجوب مياه حوض المتوسط وتفتح الأسواق وتنسج شبكة واسعة للمبادلات مع صور بفينيقيا،ثم إن البذرة التي ستنبت فيما بعد وهي ملكة البحار قرطاجنة لها أصول شرقية عريقة رغم أن الأرض التي ظهرت فيها إفريقية.

لا يمكننا إدراك الأهمية التاريخية لتأسيس قرطاجنة ولا القيمة المذهلة لهذه المدينة العريقة دون التطرق إلى النشاطات البحرية التجارية و الروحية.وكان لهذا الكيان الجديد المزروع في قلب الغرب المتوسطي - قرطاجنة- مزايا الإطار الجغرافي الذي أتاح له كل مقومات الصعود والازدهار.

انتهزت صور في نهاية الألفية الثانية ضعف الإمبراطوريتين الآشورية والمصرية لتصبح أكبر عاصمة لفينيقيا الجنوبية، وعرفت بحكم نشاطها التجاري عصرا ذهبيا في فجرالعصورالتاريخية.

7. Tlatli Salah Eddine,La Carthage punique, p22.

الفينيقيون في الجزر البريطانية (فرضية تاريخية للمناقشة)

هل وصل الفينيقيون إلى الجزر البريطانية الواقعة في شمال أوربا ؟

اعتمادا على المصادر القديمة التي في حوزتنا والمتعلقة بفرضية الرحلة الفينيقية إلى أوربا الشمالية والتي كان لها أهدافا تجارية، ذلك لأن الجزر البريطانية كانت تزخر بمناجم القصدير ؛ مما جعل الفينيقيون يقومون برحلات بحرية إلى هذه المناطق، بحثا عن هذه المناجم [40].

والعلماء البريطانيون المهتمون بالموضوع صرحوا قائلين : ليس هناك تأكيد أثري (أركيولوجي) يثبت مجيء الفينيقيين إلى بريطانيا العظمى[41]، ولكن اعتمادا على نصوص تاريخية قديمة أثبتت أن الفينيقيين كانت لهم علاقات تجارية مع الجزر البريطانية، منها ما ذكره الجغرافي الإغريقي سترابون الذي تحدث عن وجود الفينيقيين بمدينة قادش[42] (جنوب الجزيرة الإيبيرية)

أي جنوب إسبانيا الحالي؟[43] كانوا يمارسون التجارة مع الكاستيريديين و إسم كاستيريد يعني في الحقيقة جزر جنوب غرب بريطانيا، وبتعبير آخر جزر سيليScilly، والتي تدعى سورلانغ Sorlingues بالفرنسية. وكانت الرحلات البحرية تهدف إلى مد الجسور وربط العلاقات بين المحطات المختلفة ورحلات استكشافية للفينيقيين وأحفادهم القرطاجيين، ووقعت هذه الرحلات البحرية عن طريق ملوك مصريين وقرطاجيين سنتحدث عنهم في مقام لاحق، على كل حال فيما يخص إسم كاستيريد فقد اشتق من الإسم الذي يعني (منجم القصدير)[44]. ومازال علماء المناجم إلى يومنا هذا يواصلون استعمال هذا اللفظ للدلالة على منجم القصدير.

40- Voir Mazel Jean: Avec les Phéniciens .p: 165.

41-Id Ibid , p: 165.

42 - Voir, Strabon,livre IIIp: 176

43 - Id Ibid, Strabon,livre IIIp: 176.

44- Voir Mazel jean,avec les phéniciens , p : 166.

ومما يجب ذكره أن أفيينوس Avienus وهو شاعر لاتيني استلهم مضامين قصائده من قصة (ضائعة)لرحالة من مرسيليا عاش في القرن السادس قبل الميلاد حيث ذكر في كتابه المعنون أوراماريتيما Oramaritima فقال الطرطوسيون والقرطاجيون كانوا يمارسون التجارة مع شمال أوربا في منطقة أبعد من منطقة الأوستريمند Ostreymindes وهي تعني الجزر البريطانية وفنبستر وتدعى أيضا جزر المرجان (les Iles des huitres). ولدينا مصدر آخر وهو ما ذكره لنا ديودور الذي عاصرأوغست، الذي عاش في فترة ما قبل المسيحية بقليل[45].

قال ديودور إن سكان الجهة القصوى من بريطانيا؛ والتي تدعى بليريون Belerion اشتهروا بكرمهم وتعود هذه الشهرة إلى روابطهم مع التجار الأجانب، وكذا لطريقة عيشهم المتحضرة، ويقومون بإعداد القصدير الموجود في أرضهم ويحملون كميات هامة منه في عربات ثم يبعثونه إلى بلاد (إكتيس)Iktis .

هل وصل الفينيقيون إلى لندن...؟

هناك من يرى أن شبه جزيرة كور ناي التي تقابل هضاب سان مشال Saint Michel الفرنسية وهي تقع بالقرب من لندن حيث كان هناك منجم للقصدير، والشاهد على ذلك هو الآثار المتبقية لمناجم القصدير في هذه المنطقة العائدة إلى فترة الألفين سنة قبل الميلاد "[46]"، هذا مع العلم أن القصدير كان يوجد في كور نايCornailles وليس في جزر سيلي"[47]"، والسؤال المطروح على بساط النقاش هو: هل بالإمكان التأكيد على مجيء الفينيقيين إلى جزر الكاستريد البريطانية لاستغلال القصدير"[48]".

فيجيبنا على هذا السؤال الرحالة الفرنسي الشهير جون مازيل [49]Gean Mazel قائلا: حسب قناعتي القويمة والعميقة على كل حال فإن الفينيقيين كانوا يستغلون مناجم القصدير عن طريق وسطاء. وفي غالب الأحيان لم يشتروه مباشرة، ويفترض

45- Id Ibid , p: 16
46- Id Ibid, p:166.}
47- Id Ibid, p:169
48- Id Ibid, p:170.

49 – لقد كتب جون مازيل كتابا حول الفينيقيين القدماء اعتمدنا عليه في دراستنا، وقد تابع فيه الآثار المادية الفينيـ-قية في بلاد المغرب وجزر الكناري وأوربا لرصد بصمات الرحلات الاستكشافية القديمة التي قام بها الفينيقيون في شمال أوربا وإفريقيا مثل رحلة خيملك وحنون، وانظر الى كتاب جون مازيل بالفرنسية المذكور أعلاه في الهامش 38..

أن هؤلاء الوسطاء كانوا يسافرون عن طريق التنقل من ميناء إلى آخر لحمل ونقل مادة القصدير من خلال طريق منطقة البروتان والتي تعني إقليم بروتان الفرنسي الواقع في غرب فرنسا..

وهكذا فإن البحارة الإيبيريين والفينيتيين أو (الفنيت)"[50]" كانوا يقومون بضمان جزء هام من هذه المبادلات التي تصل في نهاية الأمر إلى قاد ش، ويدخل في هذا النطاق وسطاء آخرون وهم الغاليون والكاليسيون وكل ذلك يؤدي إلى رفع رسوم جديدة تخص تكلفة القصدير مما يؤدي إلى رفع سعر مادته "[51]" .كما هو سائد اليوم عند الشركات التجارية الكبرى، ومن أجل تجنب ظاهرة الوسطاء سعى الفينيقيون في البداية للقيام برحلات بحرية قصيرة المدى بين الحين والآخر من أجل إجراء حملة مباشرة un raide directe والتي تهدف أساسا إلى خفض أسعار القصدير.

فرضية رحلة الفينيقيين إلى أمريكا

قضية أخرى مطروحة على بساط النقاش عند الباحثين وهي: هل قام الفينيقيون برحلات بحرية إلى ما بعد الجزر البريطانية الكاستيريد؟ وهل غامر الفينيقيون بخوض عباب المحيط الأطلسي الواسع والبارد؛ ووصلوا إلى أمريكا ؟ ثم إن المعطيات التاريخية والمادية تبين أنه كانت هناك صلات في القديم بين مناطق عديدة نائية، والطريق البحري في شمال الأطلسي عرف حركة بحرية في العهد القديم بين أهالي إسلاندا وأمريكا بواسطة طرق الشمال الأوربي، هذا مع العلم أن بلوتارك[52] كان ينعت أمريكا بقارة الكرونية Cronien)).

---

50 – الفنيتين المقصود بهم سكان منطقة فينيت وهي ناحية في إيطاليا تجمع عدة أقاليم :(بللينو، وباردو، ورفيكو، ترفيست، وفيرون، وفيسونس، والعاصمة فينيسيا (البندقية) وفنيت تعد ناحية لها طابع تاريخي تقع في شمال شرق إيطاليا.

51- Id Ibid, Mazel ,p:174

52 – بلوتارك عاش ما بين (125 ق م – 49 ق م) وهو كاتب إغريقي ولد في بيوتية وعاش في أثينا وروما ألف كتبا في الأخلاق وسير مشاهير الإغريق والرومان،أما كتاب الأخلاق فهو يخص الدين والسياسة والأدب، وحرر ذلك على شكل حوار أفلاطوني

ويرى المستشرق الكونت أونفروي Onffroy الذي عاش في القرن التاسع عشر وهو من مدينة طورون، ومشاركة بعض العلماء في البحث حول احتمال قيام الفينيقيين برحلة إلى أمريكا، حيث تعرفوا على نقيشة حجرية عثر عليها في مدينة دايتون Dighton بالولايات المتحدة الأمريكية، فلوحظ بعد البحث الدقيق وجود خليط أحرف فينيقية مع عدة حروف محرفة، ويؤكد الكونت أونفروي أنه تم التعرف على إحدى عشر كلمة فنيقية.

ومن جهة أخرى فإن الدانمركيين يصرحون أن النص المعنى في النقيشة الحجرية بديكتون له علاقة بمغامرات ثورفين كار لسن Thorfin Karl sonالذي جاء إلى نواحي ديكتون بأمريكا منذ تسعة قرون خلت، ثم إن شرح نص النقيشة هو كالآتي : إن رفاق ثورفين يقترحون احتلال هذه الأرض (أمريكا) بعد ما قاموا بإجراء الطقوس والعادات المتبعة في عمليات التمليك"[53].

وبعد ذلك قام جمع من العلماء يناهز ثلاثمائة عالم، منهم أشريون، وفلاسفة مختصون في علم النقوش Epigraphie، انصبوا على دراسة جادة للنقيشة المذكورة سالفا وهي نقيشة ديكتون، وصرحوا تصريحا مخالفا تماما لما سبق ذكره حول احتمال قيام رحلة فينيقية إلى أمريكا، وهو تصريح مدهش فعلا.وفي الأعوام الماضية أدلى البروفسور الأمريكي دولابار Delabarre بدلوه في هذا المضمار، فوضع تصورا نهائيا في الموضوع [54].

حيث صرح أن أصحاب هذه النقيشة والمقصود ناحتوها ماهم إلا بقايا ممن قاموا برحلة بعثة اكتشاف أمريكا على يد الرحالة البرتغالي ميغال كورت ريالCorte Real Miguel، الذي ذهب في عام 1505م متوجها إلى أمريكا الشمالية[55] للبحث عن أخيه الذي كان موجودا في مكان ما بأمريكا، والذي لم يعثر عليه ولم يعد بعد ذلك [56].

53 - Mazel, avec les phéniciens, p : 176.
54 - Mazel, avec les phéniciens, p : 176.
55 - Mazel, avec les phéniciens, p : 176.
56 - Mazel, avec les phéniciens, p : 176.

وبعد البحث الذي قام به البروفسور دولابار سالف ذكره، اجتهد باحث آخر وهو الدكتور داسيلفا Dasilva الذي استطاع أن يكشف رسوما أخرى موجودة فوق صخرة ديكتون (و المقصودهي النقيشة سالف ذكرها)، وقد تعرف على أربعة صلبان(جمع صليب) برتغالية، وفك رموزا أخرى منها إسم ميغال كورت ريال Miguel Corte Real، بتاريخ 1511م.

بالنسبة للنقيشة المعنية بالدراسة، لاحظ مازيلMazel الرحالة والمؤرخ الفرنسي ؛ أنه بعد تمعن- في النقيشة التي رآها في عين المكان - وجد ارتباط وثيق بين أحرف تعود إلى عائلة الأبجدية الفينيقية (أو قل من أصل فينيقي)[57].

وعلاوة على ذلك لوحظ أن هناك أحرف وبعض الإشارات الموجودة لها صبغة غامضة، مما يعني أن لها طابع سحري وديني، حيث نقشت وأعيد نقشها بعد ذلك . ولا يوجد حسب الرحالة مازيل الفرنسي أي أثر لإسم الرحالة ميغال كورت ريال على صخرة ديكتون أو في الرسوم الصخرية بديكتون. والأهم من كل هذا أن الصخرة – التي توجد عليها الرسوم المنقوشة – توجد في أمريكا التي هاجر إليها المعمرون الإنكليز الأوائل، وبنوا منازل خشبية، وكل شيء في ديكتون مطلي باللون الأبيض، ويوجد متحف عتيق، كما تبعد عن مدينة نيويورك بثلاثمائة وخمسين كيلومتر حسب المعطيات التاريخية والأثرية المادية، ويستبعد احتمال اكتشاف الفينيقيين لأمريكا،ولم تتم زيارتها عن طريق التجار الفينيقيين إنطلاقا من مدينة صور وصيدا، لأنه لا توجد أدلة مادية تثبت وقوع رحلة الفينيقيين إلى بلاد العالم الجديد...(أمريكا).

الرحلات البحرية المنظمة رحلة نخاو (الفرعونية - الفينيقية)

افتقار الأدلة حول اكتشاف الفينيقيين لأمريكا؛ هذا لا يمنعنا من تصور فرضيات معقولة أخرى حول رحلات فينيقية للقارة الإفريقية، فالبحارة الفينيقيون استطاعوا في زمن مبكر الوصول إلى شبه جزيرة الصومال عن طريق البحر الأحمر، وهناك شهادة المؤرخ الإغريقي هيرودوت الذي يذكر أنه في عهد الملك

57 - Mazel, avec les phéniciens, p : 176.

الفرعوني نخاو في القرن السادس قبل الميلاد[58] الذي أمر البحارة الفينيقيين للقيام برحلة كاملة لإفريقيا انطلاقا من البحر الأحمر نحو قارة إفريقيا مع العودة عن طريق حوض البحر المتوسط، واستغرقت هذه الرحلة ثلاثة أعوام، وكان البحارة يتوقفون في بداية فصل كل شتاء ويضعون سفنهم على اليابسة، ويحطون الرحال وينصبون الخيام ويزرعون الحبوب وينتظرون الحصاد، وحسب هذه الرواية فإن الأغرب بل الأصعب تصديقه؛ هو أنه كانوا يشاهدون غروب الشمس على يمينهم، ثم يرون غروبها على يسارهم فيما بعد...! [59]

وهناك دلالات تبين أن الفينيقيين قاموا بالإبحار نحو المناطق الإستوائية في إفريقيا منذ القرن السابع ق.م، وعثر على إيناء فضي حيث اكتشف في برينيستPrenest بإيطاليا، لكنها مصنوعة في فينيقيا، وهذا الاكتشاف الأثري يبين رسم لصياد مستولي على قرد معتدل الحجم ليس له ذيل وهو من نوع الشامبانزي أوالغريلا. كما أن الإكتشافات الأخيرة بإفريقيا الجنوبية لرسوم صخرية يظهر فيها رجال بيض،هذه الإكتشافات الأثرية المختلفة التي تثبت أن الفينيقيين كانوا يجوبون البحار وبالتالي ليس من المستبعد أن تكون لهم رحلات إلى مختلف مناطق القارات.

رحلة ستاسبيس الفارسي

إن قرطاجنة لم يكن لها أي ضلع أو مشاركة مهما كان نوعها في رحلة الملك نحاو ولم يكن لها أيضا أي دخل أو علاقة برحلة الرحالة الفارسي الإيراني ستاسبيس؛ هذا البحار الإيراني الفتى الذي يعود بنسبه وحسبه إلى عائلة نبيلة والذي كان بمثابة ابن عم الملك الفارسي قورش، فقام هذا الشاب (ستاسبيس) بهتك عرض فتاة جميلة من نبيلات فارس وعندما علم الملك بالحادث سن قانونا لإعدام صاحب الجريمة رغم القرابة التي تجمع بينهما[60]. لكن بعد التروي في الأمر، وبفضل دعاء

58 - Gilbert et Colette , Charle Picard, la vie quotidienne a cartage , p: 236, Hachette.
59 - Id Ibid, p : 236.
60 - Id Ibid, p : 237.

وابتهالات وصلوات والدة ستاسبيس؛ عدل الملك عن قتل الشاب بشرط أن يقوم برحلة جديدة حول إفريقيا، وبعد ذلك ذهب ستاسبيس إلى مصر وجهز سفينته من أجل الإبحار عن طريق أعمدة هرقل(جبل طارق)، وخليج كانتين(صولوييس)، وتابع إبحاره طويلا في المحيط الأطلسي[61]. وأخيرا وصل إلى بلاد يسكنها قوم أقزام يرتدون لباسا من أوراق النخيل؛ وبمجرد ما شاهد هؤلاء الأقزام البحارة الفارسيون يقتربون منهم غادروا القرية التي يقيمون فيها وفروا إلى الجبال خوفا وهلعا من البحارة[62]. ولم يكن في استطاعة البحار الفارسي ستاسبيس التوجه إلى أبعد من تلك المنطقة، وفشلت البعثة لأسباب مناخية، فهدوء مناخ المنطقة الإستوائي وقلة رياحه لا تدفع السفن الشراعية إلى الإتجاه الذي تريده، وأخيرا عاد هذا البحار إلى بلاده(فارس) بعدما عدل عن مواصلة المسيرة البحرية، إلا أن الملك اتهمه بالافتراء والكذب ثم عزله عن مهمته التي كلفه بها[63].

رحلة خيملك القرطاجي (المعروف بهاملكون.)

إن الغاية المرجوة من رحلة خيملك والتي جرت قبل رحلة حانون بفترة ليست طويلة ؛ هو الوصول إلى مناجم القصدير والتعرف إليها عن كثب وربط الصلة مع الذين كانوا يشرفون على استغلالها، ولكن هناك بعض الغموض الذي يكتنف تفاصيل الأحداث التي عاشها خيملك (هاميلكون) وأصحابه أثناء المغامرة البحرية التي أوصلتهم إلى شمال أوربا، فانطلقوا من قرطاجة متوجهين إلى جنوب الجزيرة الإيبيرية (جنوب إسبانيا حاليا)والغالب أن سفنهم حطت الرحال في ميناء جديرة (تارشيش في المصادر العربية)[64]، وهي مدينة ساحلية أنشأها الفينيقيون في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد، ولما ذهب إليها خيملك (هاميلكون كما ينعته الأوربيون)

---

61 - Id Ibid, p : 237.
62 - Id Ibid, p : 237.
63 - Id Ibid, p : 237.

64 – أنظر محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج ص : 124.

كانت جديرة مدينة في أوج عظمتها ولا سيما في ميدان البحر والملاحة [65]، وورثت مدينة جديرة تقاليد وأساليب تقنية جاء بها الأسلاف والأجداد على متن سفنهم من ترشيش والتي جاء ذكرها في أسفار التوراة[66]، وقد مر الأمير القرطاجي خيملك مع البحارة المرافقين له على مدينة جديرة استعدادا لرحلة طويلة، وبقي فيها مدة قصيرة، ثم توجه بعد ذلك بسفنه نحو مضيق هرقل.

رحلة خيملك من خلال المصادر الأدبية القديمة

جرى تدوين رحلة خيملك القرطاجي اعتمادا واستنادا إلى سجل خيملك نفسه؛ قائد البعثة القرطاجية، ولكن أخبار هذه الرحلة ضاعت واندثرت ولم تصلنا عنها سوى أصداء عبر كتب إبلينيوس الأكبر المؤرخ الروماني[67] وتناقلت أخبار الرحلة عبر أرجوزة شعرية تدعى أهازيج البحر من تأليف أديب لاتيني بل أحد أعمدة النحو اللاتيني، عاش في القرن الرابع الميلادي وهو روفيوس فيسنوس أفيينوس، وقد ذكر ما ترمي إليه رحلة خيملك وهو الوصول إلى مناجم القصدير بالكورنواي السالف ذكرها الواقعة جنوب غربي إنجلترا بين بحر المانش وقناة بريسطول[68]، أن القصدير كان يشحن على سفن مصنوعة من القصب ومبطنة بالجلود فيأتي به إلى جزر أسترومينيد، ومنها يأخذه التجار إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط فهل كان القرطاجيون من بين هؤلاء يا ترى...؟ وأورد أفيينوس في أشعاره المخاطر التي اعترضت البحار خيملك القرطاجي وقال أنه استقاها من حوليات قرطاجية، ومهما كان الأمر المتعلق بصدق الأرجوزة الشعرية والرواية الواردة فيها فإن المرجح هو تاريخية رحلة خيملك ووجودها كمغامرة بحرية جرت بالفعل، وحصلت القيادة القرطاجية عل تقرير مفصل من الأمير خيملك، والسؤال المطروح : هل استفاد

---

65. Gsell Stéphane ,Histoire ancienne de L'Afrique du nord volume, IV, Paris 1920,p:213

66 - أنظر محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج ص : 124.

67- Voir : Pline , Histoire naturelle , Tome II,P: 169.

68 - انظر محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج ص : 124.

القرطاجيون من رحلة خيملك في تلك الجهات البعيدة مثل آسترومينيد[69]، وهل استمروا في زيارة تلك البقاع ... ؟ الجواب هو : أنه لاتوجد وثائق تثبت أو تنفي ذلك حول الإستفادة واستمرارية هاته الرحلة. نستطيع الإعتماد على رواية المؤرخ بلينيوس فيما يتعلق برحلة خيملك كما أوردها المؤرخ الفرنسي ستيفان غازال 4في كتابه تاريخ إفريقيا الشمالية القديم في الجزء الأول[70] .

حيث قال بلينيوس: إبان ازدهار الإمبراطورية القرطاجية التي كانت في أوج عظمتها ؛ قام حانون برحلة بحرية انطلاقا من قاد ش، ويزعم أنه قام بجولة مكوكية على إفريقيا حتى أقصى منطقة من شبه الجزيرة العربية .

هذه الرواية يغلب عليها طابع الخيال حول دورة حانون على إفريقيا، وتم التعرف على حانون كما يشير غازال Gsell[71] من خلال كتابات المؤرخين حول هذه الرحلة .وقام هاميلكون في نفس العهد باكتشاف الأجزاء الخارجية من أوربا، على كل حال فإن البعثتين البحريتين لخيملك وحانون كانتا معاصرتين من الناحية الزمانية واللتان جرتا في القرن الخامس قبل الميلاد، إلا أن رحلة خيملك كانت أسبق ثم جاءت بعد ذلك رحلة حانون الذي كان متربعا عليعرش الإمبراطورية القرطاجية فمن المعلوم أنه كان القاضي الأول ورئيس الدولة في آن واحد، ومن خلال رصد علاقة خيملك تبين أنه ذهب في رحلته اعتمادا على قرار من القرطاجيين ؛ ونعني بذلك السلطة الحاكمة في البلاد[72]. أما الكتابات التاريخية المتعلقة برحلة خيملك التي قام بها في حدود سنة 450 ق م، والتي ذكرها بلينيوس في كتابه الخامس، لكن المؤرخ الفرنسي غازال يرى أن هذا لا يبرهن تماما أن بلينيوس قرأ نص الرحلة أو اطلع عليها[73].

69 –إن جزر آسترومينيد Oestrymnis وهو إسم محطة بحرية الواقعة في أقصى الجهة الغربية من بروطانيا الفرنسية Bretagne francaise وهي بدون شك ما يعرف في تلك الجهة المقصودة بسانت ماتيو ST Mathieu بينما جزر اوسترومينيد فالمقصود بهاوسان مضخبنزوير والجزر المجاورة منها سورلانغ أو سيلي .Les Solingues ou Scilly

70 - Gsell Stéphane ,Histoire ancienne de L'Afrique du nord tome I, p : 468.

71 - Gsell Stéphane ,Histoire ancienne de L'Afrique du nord tome I, p : 468- 469.

72. ID Ibid I.

73 – انظر الترجمة الفرنسية من اللاتينية لكتاب بلينيوس تحت عنوان :Pline tome I,5 والتي أوردها المؤرخ الفرنسي غزال ستيفان في كتاب: تاريخ إفريقيا الشمالية القديم الجزء I والتي رجعت إليه.

رواية أفيينوس حول الرحلة

مكن التعرف على تفاصيل هذه الرحلة (خيملك) من خلال ما أورده لنا أفيينوس Avienus الذي عاش في القرن الرابع الميلادي، والذي سبقت الإشارة إليه في مقام سابق من دراستنا هاته[74].

حيث تحدث عن خيملك وكيف عانى في إبحاره من الأهوال التي اعترضته في البحر المحيط، وكيف واجه حيوانات بحرية مفترسة. وهناك جزء من شعر أفيينوس يخص بحر المحيط الأطلسي ما بعد مدينة قادس، وربما أيضا مصب نهر غاديانا Guadiana وعموما فإن اتجاه رحلة خيملك على ما وصفه لنا أفيينوس كان من الشمال إلى الجنوب بينما تابع خيملك إبحاره بطريقة عكسية أي انطلاقا من الجنوب إلى الشمال، و من المؤكد أنه وصل إلى منطقة جزر الأسترومينيد التي تمتاز بثرائها القصديري والرصاصي.

وكان من الواجب الإبحار في مدة يومين للذهاب والوصول إلى الجزيرة المقدسة (إيرلندا) التي يسكنها قوم هيرني Hierni[75]. ثم إن القصدير الذي ذكره أفيينوس مستخرج من منطقة كورناي، وكان الأهالي يضعونه في سبائك وينقل عبر السفن إلى الجزر حيث يوجد التجار الأجانب الذين يأتون من أجله، وهذا النوع من التجارة يعود إلى عهد قديم جدا . أما مدة رحلة خيملك فهي أربعة أشهر حسب ما رواها أفيينوس و إذا كانت المدة الزمنية صحيحة فإن معنى هذا أن رحلته البحرية عانت من التأخر، وهذا نظرا لطول إقامته في عدة محطات على الساحل الأطلسي، أو نظرا إلى ظروف مناخية غير ملائمة أدت إلى طول المدة (هدوء البحر وقلة الرياح أو هبوب رياح معاكسة للإتجاه المطلوب)، ويعتقد غزال أنه ليس هناك برهان يشير إلى أن خيملك ذهب مبحرا إلى منطقة أبعد من جزر الأسترومينيد[76]، ويجهل هل كلف خيملك مثل حانون الذي جاء بعده بتأسيس مستعمرات أومستوطنات خارج نطاق جبل طارق(مضيق أعمدة هرقل القديم)[77].

74 - Voir Festus Avienus , Oramartima ,5117-9/383,412-3.-[74]

75 - Id Ibid,Gesell,tome I p:470

76 - Id Ibid,Gesell,tome I p:471.

77 - Id Ibid,Gesell,tome I p:471.

ومهمة خيملك بل أصل بعثته كانت تخص أن يضمن للقرطاجيين والقادسيينGaditiens، وحلفاء قرطاجة احتكار سوق المناجم الكبرى الموجودة في شمال غرب أوربا[78]وكذا تسهيل أسفارهم عن طريق تأسيس محطات صغيرة ويجري ذلك بواسطة ربط علاقات مع الأهالي المقيمين في السواحل الإسبانية والغالية، ولكن لا ندري هل هذا الهدف قد جرى تحقيقه أم لا...؟[79].

وهناك باحث آخر وهو سيغلان Mr. Sieglin الذي يعتقد أن القرطاجيين – بعد فترة وجيزة من رحلة خيملك - عدلوا أو توقف ترددهم على سوق القصدير لأسباب مجهولة[80]، ولكن سيغلان لا يبرهن على ذلك التصور أو الفكرة الواردة، هذا مع العلم أن رحلة حانون كانت أكثر وضوحا، وتتعرف عليها أكثر من ناحية التفاصيل لأن هناك ترجمة إغريقية لتقرير رحلة حانون وهي وثيقة قصيرة لكنها مهمة من حيث مضمونها المفيد.

رحلة حانون القرطاجي

إن وثيقة الرحلة هي عبارة عن مخطوط وضعه حانون نفسه في معبد بعل حمون بقرطاجة والذي ينعت أيضا بمعبد كرونوس آلفا، ثم إن الترجمة الإغريقية لهذا النص القرطاجي(البوني)جرت على يد رجل له منحى أدبي أو بمعنى آخر فهو مترجم وأديب يتقن الترجمة، عاش في بداية القرن الثالث قبل الميلاد، أو تقريبا في أواسط القرن الرابع ق.م، ويستحيل القول بدقة هذه الوثيقة المخطوطة[81]؛ عند تحرير ترجمتها من البونية إلى الإغريقية والتي كانت معروفة عند عدد من المؤلفين الإغريق واللاتين، ونتساءل حول ما إذا كان الملك النوميدي(الجزائري) بحوزته نسخة من مخطوط هذه الوثيقة أم لا...؟[82]. وكما هو معلوم أن الوثيقة الإغريقية ترجمت من نص فينيقي والذي ضاع مع الأسف، وهو معروف بنص هيدلبرغ .

78 - Id Ibid,Gesell,tome I p.472.

79 – هذا هو رأي ستيفان غزال كما أورده في كتابه تاريخ إفريقيا الشمالية القديم الجزء الأول /ص:472 (بالفرنسية).

80 - Voir Sieglin L,C-p:852- 4.

81 - Gsell Stéphane ,Histoire ancienne de L'Afrique du nord tome I., p : 475.

82 – يتساءل ستيفان غزال في كتابه تاريخ إفريقيا الشمالية القديم الجزء الأول، ص: 475 هل كان لدى الإغريق معلومات تحصلوا عليها من مصدر آخر حول البعثة البحرية القرطاجية تحت قيادة حانون.

جرت هذه الرحلة في القرن الخامس قبل الميلاد، وسبقتها رحلات استكشافية أخرى ؛منها رحلة (الفرعون نخاو)التي تمت في نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس ق م، وأرسل هذا الفرعون بحارين فينيقيين في رحلة اكتشاف لإفريقيا انطلاقا من البحر الأحمر حتى وصلوا إلى البحر المتوسط مرورا بإفريقيا.

وقد استغرقت مدة عامين ونصف، وكانت مسافتها خمسة وعشرون ألف كيلومتر(25.000كلم).

وقد أورد هيرودوت أخبار رحلة حانون وأكد أنها جاءت بعد رحلة خيملك السالف ذكره ...أجل إن رحلة حانون تعد كهمزة وصل بين قرطاجة اللوبيين، والتي عبر من خلالها بسفنه على الساحل التونسي، ثم عرج على الساحل الجزائري(نوميديا آنذاك)، التي كانت توجد فيها مدن ساحلية مثل بونة، وإيجيلجيلي، وإيكوسيوم، وتيبازة، ويول، ورشقون، لكن مع الأسف لم تذكر - هذه المدن الجزائرية التي عرج عليها حانون - في هذه الوثيقة.

وهذا التجاهل ربما ليس مقصودا، ثم إننا نتساءل: لماذا قام بتأسيس مدن لوبيو فينيقية على الساحل المغربي وهي شخص شواطئ المحيط الأطلسي؛ وعجزعن تأسيس مثلها في نوميديا (الجزائر القديمة)... وهل يعود ذلك إلى عوامل استراتيجية واقتصادية...؟أم هو تجاهل مقصود بالذات...؟لا أعتقد أن حانون عمد إلى عدم تأسيس مدن على الساحل الجزائري، لاسيما أننا نعلم أن الساحل الأطلسي كان يومئذ ذا جاذبية من الناحية الطبيعية والتجارية فقد كان هذا الساحل ممرا استراتجيا يؤدي إلى بلاد مناجم الذهب، لكن لا ننسى أن الساحل الجزائري كان له أيضا دور استراتيجي وخصوصا من ناحية طريق البر؛ انطلاقا من حوض البحر المتوسط مرورا بالأطلس التلي للولوج داخل الصحراء الكبرى التي كانت تحتوي على حضارة متكاملة وكنوز منجمية كالذهب،والنحاس، والقصدير الذي كان موجودا في بلدان جنوب الصحراء. ولقد أخطأ بلين عندما اعتقد أن حانون قام بالإبحار انطلاقا من قادس حتى حدود الجزيرة العربية ...؟ وهذا خطأ.

إختلاف الآراء حول حقيقة الرحلة

يوجد خلاف كبير في وجهات النظر لدى الباحثين الغربيين حول حقيقة رحلة حانون من الناحية التاريخية، فاعتمادا على النص الإغريقي الآنف ذكره ؛ هناك من المؤرخين والباحثين الفرنسيين من يشكون في الأماكن العمرانية (المدن) التي أنشأها أو زارها حانون في المغرب الأقصى منهم على سبيل المثال كاركوبينو،وروبيفة، Carcobino et Robufa، اللذان يلاحظان أن الحفريات التي جرت لم تسمح بوجود آثار لاستعمار حقيقي لا يتجاوز سبعين إلى ستين

(60-70) ق .م[83]. ويؤكد روبيفة أن اللقى الأثرية التي عثر عليها تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد، والتي نجد أن الأصل المحدد لها يمكن أن ننسبه بكل تأكيد إلى البونيين وهي تعود إلى تاريخ ساحق بعيد بالمقارنة مع عهد المؤرخ بسودوسيلاكس Pseudoscylax وهو القرن الرابع قبل الميلاد، وأكثر من ذلك إلى عهد الملك حانون.

هذا وحتى ولوأن بعض الأشياء القديمة التي تم العثور عليها كشاهد حي؛ فإن ذلك لا يبرهن على أصالة المدينتين (تيمياتريون وتاموسيدا)أما كرابيسCrapis، فممكن ألا يكون هو نهر سبو[84].

وعلاوة على ذلك فإن موقع تيمياتريون بالمقارنة مع ليكسوس في رحلة حانون، وتلك المتعلقة بأخبار بسودوسيلاكس متناقضة، ومما يستحق ذكره حسب روبيفة فإن الليكسوس ليس له علاقة أخرى إلا الإسم الوارد في الرحلة بمعنى الواد، هذا مع العلم أن روبيفة له تحفظ كبير في إمكان استمرارية رحلة حانون حتى منطقة الكامرون، ويرى أن حانون قام بجولة كبيرة في الأطلس

عن طريق واد الليكسوس، ثم بعد ذلك قام بجولة أخرى في واد سبو؛ هذا مجمل الرحلة التي قام بها، ويعارض فكرة أن حانون واصل إبحاره حتى ما بعد الساقية الحمراء وواد الذهب ثم إلى نهاية المطاف.

---

83 - Voir : Jacques Ramin, Le périple d Hannon,p: 50 Bar supplémentaire
84 - Id Ibid, p: 50.

وهي منطقة السنغال ثم الكامرون، فهو يستبعد وقوع ذلك، بعكس ما يراه جون آرمان JeanArmin صاحب دراسة وافية عن رحلة حانون في المغرب الأقصى، ويقارن الأسماء الواردة في الرحلة للمدن التي أنشأها حانون أو المدن الفينيقية التي كانت موجودة قبل حانون مثل آكاد ير وموقادور، وطنجة وغيرها بما جاء ذكره في أخبار المؤرخين الإغريق والرومان؛ مثل هيرودوت، وبطولمي، واسترا بون، وبلين الطبيعي وبسودوسيلاكس[85].

ويورد جون أرمان أن إفريقيا الشمالية كانت مرتعا لحيوانات انقرضت ؛ جاء ذكرها في رحلة حانون والتي كان البعض منها يصدر إلى روما ؛ ذلك أن الرومان كانوا من هواة العراك مع الحيوانات[86] ومما يورده أيضا أن استرابون تحدث عن أنهار موريس التي يقصد بها المغرب الأقصى والتي كانت تحتوي على تماسيح وحيوانات أخرى تشبه ما نراه في النيل، ويتعرض بلين إلى حيوانات خاصة بإفريقيا الغربية (المغرب الأقصى) كانت ترعى بجوار نهر أناتيس وهو واد أم الربيع وواد درعة[87]، كما يتحدث عن ضواحي سلا بالقرب من الرباط المغربية والتي كانت مرتعا للفيلة أما الكوريلا، وهي نوع من القردة والتي جاء ذكرها في رحلة حانون فالغالب أنها من فصيلة أورانغ – أوتانغ وكانت تعيش بالمغرب في أدغال ومناطق غابية.

فيما يخص المؤرخ الإغريقي هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، لم يشر إلى أي شيء يتعلق برحلة حانون ما عدا بعض الفقرات حول المقايضة الصامتة بين أهالي البربر والقرطاجيين بمواد تجارية كالذهب، وسلع محلية من إنتاج البربر[88]. وهل يمكن أن نعتبر القرطاجيين الذين جاء ذكرهم عند هيرودوت هم الذين توجهوا إلى إفريقيا السوداء من أجل الحصول على الذهب ...؟ وهل هم الذين اصطحبوا حانون في رحلته المشهورة...؟

---

85 – نفس المرجع، ص : 50.

86 - انظر دراسة نشرت باللغة الفرنسية لجون أرمان Jean Armen Le périple D'Hannon رحلة حانون يحتوي على 125 صفحة ويحتوي على كتاب بالفرنسية تم تحريره باللغة الإنكليزية لنفس المؤلف.

87 - Jean Armen Le périple D?Hannon , p:32. - {87}
Hérodote,d aprÈs Stéphane Gsell,textes relatifs a l histoire de l Afrique du nord P.35du livre
88 - IV chapitre CLXVI

لا نستطيع أن نجزم بالإيجاب لتأييد فكرة أن الناس الذين ذكرهم هيرودوت هم أصحاب رحلة حانون، لماذا..؟ لأن عدم ذكر الرحلة في كتاب التاريخ لهيرودوت يجعلنا نتحفظ في نعت المقايضة الواردة بأنها إشارة للرحلة في حد ذاتها .على كل فإن المصدر الأساسي للرحلة هو الوثيقة المترجمة إلى الإغريقية، والتي نقلها إلى الفرنسية المؤرخ الفرنسي الشهير ستيفان كازال الذي عاش في بداية القرن العشرين، وكان أستاذا للتاريخ القديم بجامعة الجزائر، ألف كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية القديم في ثماني مجلدات وله كتاب الأطلس الأثري للجزائر، وكان يجيد الإغريقية واللاتينية والفينيقية والألمانية والإنكليزية، فكان وحيد عصره في تاريخ المغرب القديم والجزائر القديمة، وهو عمدة العصور القديمة بحق، فاعتمدنا على ترجمته الفرنسية حول رحلة حانون وقمت بترجمتها أنا شخصيا إلى لغة الضاد، ويبدأ النص بذكر علاقة حانون ملك القرطاجيين في الأراضي اللولبية ما وراء أعمدة هرقل والنص تم تقديمه إلى معبد كرونوس[89]. ونص الوثيقة مقسم إلى فقرات أو مواد مرقمة من1إلى18 مادة، ورد في المادة الأولى أنه كان يبدو مستحسنا للقرطاجيين على أن يبحر حانون خارج نطاق أعمدة هرقل، ويؤسس مدنا ليبو-فينيقية Libyphénicien. ثم بعد ذلك أبحر وأخذ معه ستون سفينة مع خمسين مجدافا، وجمهور من الرجال والنساء تعداده تقريبا ثلاثون ألفا، مع قوت العيش ولوازم أخرى ضرورية [90]. وفي المادة الثانية ذكر حانون أنه (بعد المرور على طول أعمدة هرقل والإبحار ما وراء هذه الأعمدة على مدى يومين، أسسنا المدينة الأولى والتي سميناها تيمياتيريون، وتحتها يوجد سهل كبير)، فيما يتعلق بالعنصر الأول الذي يخص تعداد السفن فهو معقول ومقبول، لكن هناك مبالغة في عدد الناس الذين اصطحبهم في رحلته فمن غير المعقول أن تحمل ستون سفينة بشكلها القديم المعروف في العهد الفينيقي والقرطاجي ما تعداده ثلاثون ألفا، وإنما المقبول

---

89 - Voir Gsell, Histoire ancienne de L'Afrique du nord,tome I. p:472,473-474,...489.

90- أورد ترجمة ستيفان كازال المذكور اعلاه Gsell المؤرخ الفرنسي جون أرمان Gean Armin في كتابه رحلة حانون البحرية (le périple d'Hanon الذي سبق لي ذكره وذلك في صفحات : 59، 60، 61.

والمرجح منطقيا هو حوالي ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف مسافر (3000إلى 5000) لا غير، حيث أن عدد المسافرين على متن السفينة الواحدة هو ثمانون شخصا، لأن السفن القرطاجية كان هيكلها محدود جدا، لهذا السبب لا يمكن وصفها بدقة، ومع هذا نستطيع تقدير وزنها ؛ بحيث لا يتجاوز الخمسين طنا.

أما طول السفينة فيساوي ثلاثون مترا ويرجح المؤرخ الإيطالي الكبير سباتينو موسكاتي أن عدد المشاركين في رحلة حانون لا يفوق ثلاثة آلاف مسافر لاغير[91].

خلاصة القول أن هذه الرحلة تعد مشكلة تاريخية،لأن كل الأمور المتعلقة بعلاقات حانون بهذه الرحلة تعتمد أساسا على النص الإغريقي- المترجم من النص القرطاجي، أو قل فينيقي لأنه مكتوب أصلا باللغة الفينيقية-وعلى الحفريات والآثار الموجودة في المدن المغربية وغيرها، ففي هذه الحالة تعد الرحلة في حد ذاتها عبارة عن فرضيات مع اختلاف في الآراء حول ذلك، ومما يجب ذكره هو رأي الباحث التاريخي نديجي Nedeije الذي يرى في بعثة حانون (أنها وقعت فعلا لكنها لم تتجاوز نهر الليكسوس[92]، كما أنها محدودة في اكتشاف ومعرفة منظمة للساحل ما بين جبل طارق ونهر الليكسوس فهي من إبداع إغريقي لا غير[93] لأن حانون لم يتجاوز نهر الليكسوس).

وهذه مجرد فرضية لباحث في اعتقادي .لكن الإعتقاد الغالب والمرجح هو وقوع الرحلة فعلا مع مشاركة اللوليبين كمترجمين وبحارين وكانت هذه الرحلة وسيلة اتصال حانون مع أهالي المغرب القديم وجنوب طنجة في المدن التي أنشأها مثل تيماتريون وسرني وغيرهما، ولنا في هذا الشأن شهادات المؤرخين الإغريق مثل بسودوسيلاكس وسباتينو و بلينيوس حول حقيقة الرحلة ومسارها، كما أنه لدينا أيضا شهادات موثوقة من العصر الحديث بصدق وقوع الرحلة ؛ منها ما أورده محمد حسين فنطر من تونس، وسباتينو موسكاتي من إيطاليا،وكلا المؤرخين يعتقدان

91 - Sabatino, Moscati, L Empire de Carthage.p:6 et 7, et Voir aussi p: 243, 244.
92 -Voir NEDIIJEE Laucyric Dajeu, les grands explorateurs ,p:21, Edition Larousse Paris 1966.
93 - Id Ibid , p:21.

بوجود هذه الرحلة فعلا، وللتذكير فإن هذه الرحلة جرت بتاريخ محدد وهو425 ق.م حسب ما يرويه لنا المؤرخ الإيطالي سباتينو موسكاتي[94].

الرحلة النوميدية بعثة يوبا الثاني إلى جزر الكناري

حياة الملك يوبا الثاني

قبل الحديث عن البعثة الإستكشافيةالتي بعثها الملك النوميدي (الجزائري)يوبا الثاني، نود تقديم نبذة وجيزة عن هذا الملك الذي ترك بصمات مميزة في تاريخ الجزائر الثقافي القديم كملك عالم دخل إلى معترك السياسة والعلم من بابه الواسع بفضل رضا الرومان عليه. ومما تجدر الإشارة إليه أن روما لم تنتقم من الأبناء بسبب أخطاء ارتكبها الآباء، ففي عام 46 ق.م، شاهد يوبا الثاني بأم عينيه انتصار القيصر الروماني في المعركة ثم انهزام وانتحار أبيه، ورغم هذا بقي هذا الفتى في إيطاليا حيث تلقى تعليما أميريا من النوع الراقي، وكان في رفقته مواطنة رومانية من طينة خاصة ألا وهي كليوباترا سليني ابنة كليوباترا ملكة مصر الفرعونية، وكان في المدرسة الأميرية هذه بعض الفتيان النبلاء الرومان من جملتهم بعض الشرقيين الذين وفدوا على الخصوص كرهائن وطلبة علم؛ مثل الفتى يوبا الثاني، والذين يصبحون- في يوم من الأيام ببلدانهم الأصلية- أمراء يكنون الطاعة والولاء لروما.

وتبوأ يوبا الثاني مكانة سامية على مسرح التاريخ كملك عالم ومثقف قلما نجد مثله في تاريخ إفريقيا الشمالية القديم، وعاش يوبا الثاني وهو جزائري الحسب والنسب في الفترة ما بين 52 ق.م إلى 24 بعد الميلاد، وكان هذا الملك الشاب قد عاش في روما غريبا عن وطنه ردحا من الزمن وتربى فيها على يد أخت أوكتافيوس في ظل حياة أسرة عمها الرخاء، وتشاء الأقدار أن يتزوج يوبا الثاني بكليوباترا سلني التي تربت معه في ظل الإمبراطور بروما، إبنة كليوباترا الكبرى وزوجة أنطونيو الشهير.ونال يوبا الثاني تقدير واحترام معاصريه بمساهماته الفكرية في عالم المعرفة الإنسانية وكان يعد واحد من كبار المؤرخين العلماء باللغة الإغريقية.

94 - Voir Sabatino Moscati, L'Empire de Carthage,p:243, édition Paris - Méditerranée,1996.

ذا ثقافة واسعة وإحاطة عميقة بعلوم كثيرة من ضمنها التاريخ، والجغرافيا، والتاريخ الطبيعي، وتاريخ الفنون، والشعر بمختلف أصنافه، والنحو، شغوفا بالقراءة وحب الإطلاع على علوم عصره، كما يعرف عنه ميله الكبير لجمع الألفاظ والمصطلحات الأجنبية، إلا أن كل كتبه تقريبا ضاعت، ولم يصلنا منها إلا أخبار عن طريق مؤرخين وعلماء متأخرين زمنيا عنه.

وللتذكير فقد حكم يوبا في موريطانيا القيصرية، وجعل مدينة يول (شر شال) عاصمة سياسية لمملكته، وشجع الثقافة والعلوم إلى درجة أن قصره كان منتدى وقبلة للمثقفين والعلماء.

دور يوبا الثاني في الرحلة إلى جزر الكناري

كانت هناك خلفيات وجذور علمية قبل تنظيم الرحلة نحو بقاع جزر الكناري، ولقد أشرنا في الفقرة السابقة أن هذا الملك العظيم كان واسع الإطلاع حيث أنه قرأ نصا قرطاجيا أصليا عن رحلة حانون القرطاجي لسواحل المغرب الأقصى وسواحل إفريقيا الغربية، والشاهد على هذه الرحلة يتمثل في الآثار الكتابية التي عثر عليها في معبد بعل حمون كما ذكرنا سالفا في مقام سابق، كما اطلع يوبا الثاني على معلومات تخص منبع النيل وجدها في كتب قرطاجية بحوزة جده هيمبصال، مع العلم أن هذه الكتب كان لها مكانة واعتبار في مكتبة يوبا العامرة، ولا يستبعد أن هذا الملك النوميدي حصل على هذه الكتب البونية بواسطة مجلس الشيوخ الروماني الذي تركها مباشرة لأمراء من عائلة يوبا.

يوبا الثاني ومنبع وادي النيل

من الأخطاء الجغرافية التي ارتكبها يوبا الثاني، أنه كان يعتقد أن نهر النيل يوجد منبعه الأول في المغرب الأقصى وبالتحديد في جبال جنوب المغرب، واعتمد في نظريته هذه على وجود التماسيح وبعض النباتات التي كانت موجودة في واد النيل وضفافه، كما نجدها أيضا في بعض الأنهار التي تنبع من جبال الأطلس في المغرب الأقصى ثم تصب وتضيع في رمال الصحراء، وبعث لهذا الغرض جماعة من كبار

العلماء، ولا سيما أن المعلومات المتعلقة بأصل منبع النيل وجدها في الكتب القرطاجنية، وهذا الإعتقاد كان أيضا سائدا عند اليونانيين.[95]، وهذا ما كان يراه بروماتوس دوساموس Promatos de Samos [96] وأورد هذه الرواية أرسطو، ويونانيون آخرون، كما نلاحظ أصداء وأخبار ذلك رواها سترابون وفيتروف Strabon et Vitrof وكلاهما معاصران ليوبا الثاني علاوةعليماذكره في هذا الشأن بومبونيوس ميلا Pomponios Méla..[97].

ثم قام يوبا الثاني بدراسة مقارنة لأوجه الشبه بين هاته الحيوانات والنباتات الآنف ذكرها في المنطقتين مصر والمغرب الأقصى، كما قام بتحقيق ميداني في المغرب الأقصى(رغم أنه على خطأ)حول منبع النيل في جبال الأطلس غير بعيد عن المحيط الأطلسي، ويتكون هذا المنبع من بحيرة نيليد Nilides[98].

ويوجد فيها أنواع عديدة من الأسماك، وأخذ تمساح كبرهان على الرحلة العلمية حول منبع النيل ..ووضعه كشاهد حي في معبد إيزيس بمدينة يول القيصرية (مدينة شر شال حاليا والتي تبعد عن مدينة الجزائر غربا بحوالي مائة كيلومتر).

وحسب زعم يوبا الثاني أن نهر النيل تجري مياهه في منطقة رملية ؛ و في أفق عدة أيام بعد ذلك من السير يختفي تماما ثم يظهر من جديد وتنبثق منه بحيرة أكبر تقع في بلاد الماسيسل Masaesyles في موريطانيا القيصرية، ولما تمعن يوبا في التجمعات البشرية ثم شاهد نفس الحيوانات في الأنهار المختلفة التي تكون لديه برهان أنه أمام نفس النهر، ثم بعد مسيرة عشرين يوما يضيع هذا النهر للمرة الثانية في وسط رمال الصحراء ليصل إلى بلاد الإثيوبيين المحاذين لموريطانيا وهناك يوجد منبع نيكريسNigris[99] وهو يفصل إثيوبيا عن إفريقيا وعلى ضفافه تقطن شعوب مع حيوانات عظيمة ضخمة مفترسة، وتكونت غابات وأدغال من جراء رطوبته

95 - Voir Gsell Stéphane, Juba II, savant et écrivain.p:172.
96 - Id Ibid , p:172.-{96}
97 - Voir Gsell Stéphane,p:211-3,217-221.
98 -
99 - Revue Africaine N°68- Année 1927., 174.

كما أنه يمر في وسط بلاد الإثيوبيين أستابوس Astapus. يروي لنا المؤرخ بلينيوس نتائج البحث والتحقيق الميداني للبعثة التي أرسلها يوبا الثاني إلى جزر الكناري[100] وهي بمثابة رحلة استكشافية لهذا الأرخبيل الذي يضم مجموعة من الجزر تنعت باسم جزر السعداء Iles des biens heureux [101] منها جزيرة مادير Madère وجزيرة بورتو سانتو Porto-Santo وجزر الميسرين أو الأثرياء Iles des fortunés... هذا الإكتشاف لا يعود الفضل فيه إلى النوميديين تحت ريادة يوبا الثاني ولا يعد الأول من نوعه بل كان للفينيقيين قصب السبق في هذا المضمار.

مسار ووصف الرحلة البحرية لبعثة يوبا في الجزر

انطلقت هذه الرحلة من جزر البوربنير Purpunaires والمقصود بهاموغادور Mogador[102] وهي جزيرة قريبة من مدينة الصويرة المغربية، وبعد تردد قام أعضاء البعثة بالسير على منوال طريق بحري معين، لا سيما أنه لابد من معرفة أحوال الشارات ونظام الرياح في هذا الجزء من المحيط ومما يجب ذكره حسب ما أورده بلينيوس - اعتمادا ونقلا عن يوبا الثاني - أن جزر الميسورين Iles des fortuné تقع جنوبا بالقرب من جزر البوربنيرية Purpunairia بمسافة تقدر ب625 ميل بحيث يتم عبور البحر بمسافة 250ميل غربا،ثم بعد ذلك بمسافة 375 ميل شرقا، ولكن الرقم الأخير مبالغ فيه، لأن الرقم الحقيقي حسب ما يراه الباحث الفرنسي فيدال لابلاش Vidal la blache هو 275 ميلا لاغير [103].

تحدث بلينيوس عن رحلة بعثة يوبا الثاني في جزر الكناري [104]، ويلاحظ أن الملك يوبا الثاني حافظ على الإسم الإغريقي للدلالة على الجزيرة الجنوبية الأولى،

100 - Id Ibid.p:174.

101 - Id Ibid.p:174.

102 - Voir Gsell,Juba II,savant et écrivain,p:175,Revue Africaine N°68- Année 1927, nouvelle édition O.P.U. Alger-05-86.

103 – هذا ما أورده الباحث الفرنسي في البحث المكتوب بالفرنسية وهو : Dans les mélanges Pérrot, p: 228

104. Voir Pline VI 202,

أنظر الجزء الرابع، ص: 202. في دراسته عن يوبا في المجلة الإفريقية العدد68 لعام 1927، وذلك اعتمادا على ما أورده ستيفان غزال في المرجع السابق المذكور أعلاه.

بينما قام بالترجمة اللاتينية لأسماء الجزر الأخرى، هذا مع العلم أن الجزيرة الأولى تدعى أمبريوس ومعناها جزيرة الأمطار (Ile des pluies) ولا يوجد في هذه الجزيرة أي أثر لأبنية مشيدة يستحق ذكرها، كما يوجد مستنقع في وسط الجبال وأشجار تشبه نبات الحلتيت التي يعصر منها ماء مر وهو المعروف بالماء الأسود [105]، لكن يوجد فيها أيضا ماء عذب صالح للشرب ويمتاز هذا الأخير بلون خفيف غير قاتم، وتوجد جزيرة أخرى تسمى يونونيا Iunonia أو جزيرة جونون de Junon Ileحسب ما أورد ذلك المؤرخ ستيفان غازال[106].

وتوجد فيها خلية مبنية بالحجر، وبالقرب منها يلاحظ وجود جزيرة تحمل نفس الإسم، وبعدها تظهر جزيرة كبراريا Caprariaومعناها جزيرة الماعز والتي يكثر فيها زواحف كبيرة الحجم والتي تدعى باللهجة العامية الجزائرية والمغربية ب:(الزرمومية) والجمع زرموميات كما تدعى بالفرنسية(grands lپzards)، وتوجد أمام مرأى هذه الجزر جزيرة أخرى تسمى نينغاريا Ninguaria[107] لأن الثلوج الدائمة الموجودة فيها أدت إلى اشتقاق اسمها من ذلك، كما هو معروف من هذه الجزيرة أنها مغطاة بالضباب[108].

كلاب الكناري

والجزيرة الأقرب وخيرات الجزر منها هي جزيرة كنارياCanaria وسميت بهذا الإسم[109] الذي ينسب إلى الكلاب نظرا لوجود كثرة الكلاب بها و التي لها قامات ضخمة، وقامت بعثة الملك النوميدي بجلب كلبين إلى يوبا الثاني، كما توجد بهذه الجزيرة آثار مباني تبدو للعيان، هذا ومما يجب ذكره أنها تكثر فيها الطيور بأصناف مختلفة[110]، وتتوفر على كمية كبيرة من أشجار الفواكه والنخيل المنتج

105 - Voir Gsell Stéphane ,Juba savant et écrivain,p:176.

106 - Id Ibid Gsell p:176.

107 - Id Ibid,Gsell,p:176.

108- إن جزيرة نينكاريا المعروفة اليوم بتناريف Tananarif وتدعى بالفرنسية Ténérif تبعد عن فورتوفورا ب200 كلم .

109 - Id Ibid,Gsell,p :176.

110 - Id Ibid,Gsell,p :176.

للتمور والصنوبر وأشجار ورق البردي التي توجد على ضفاف أنهار هذه الجزيرة، ولا يفوتنا ذكر الأسماك الموجودة في هاته الأنهار، كذلك العسل الموجود فيها بكميات كبيرة يدل على وجود أعداد هائلة من النحل[111].

ومما يستحق ذكره أن مبعوثي يوبا الثاني لم يقوموا برحلة في الجزر الغربية للأرخبيل، منها جزر بالما، وكوميرا، وهييرو، Palma,Comera et Hierro فبقيت مجهولة في القديم، وعلى كل حال فالمعلومات التي حصلت عليها - عن بعثة يوبا الثاني في جزر الكناري - ضعيفة وغير وافية ومتواضعة وغير صحيحة أحيانا، كما أشرنا سالفا فيما يخص منبع نهر النيل مثلا.

وأخيرا في إمكان يوبا الثاني الملك العالم الجليل[112] أن يقدم إجابة تشفي الغليل حول مشكلة حيرت القدماء الذين عاشوا في العهود القديمة في قرطاجة وروما وفينيقيا وبلاد الفراعنة والإغريق، وهذه القضية تتجلى في هل كان بالإمكان القيام برحلة أو قل بدورة حول إفريقيا عن طريق البحر ؟

كان يوبا يعتقد أن الدورة على إفريقيا بحرا يمكن تحقيقها، إلا أنه ليس من الضروري أن يقوم أسطوله البحري بإجراء هذه الرحلة للبرهنة على ذلك، فعندما قام بتحرير بحثه حول الجزيرة العربية المسماة آرابيكا Arabicaقال أن هناك حطام سفن إسبانية عثر عليها في البحر الأحمر[113].

خلاصة البحث

إن البحث حول موضوع الرحلة القديمة في حوض المتوسط ليس بالأمر الهين، وهذا بسبب قلة المصادر المادية والكتابية في هذا الشأن، ولولا المصادر الإغريقية

111 - Id Ibid,Gsell,p:176.

112 - Id Ibid,Gsell, p;176.

113 - وهذه الإشارة قد أوردها بلينيوس (Pline) Plin,II,168، اعتمادا على رواية يوبا الثاني المذكورة في مؤلفه حول الجزيرة العربية والتي قدمها إلى القيصر كبحث أكاديمي ممتاز من جهة أخرى أود أن أشير أن هناك من الباحثين من يرى أن يوبا كان في استطاعته أن يقدم خدمات جليلة للعلوم ولا سيما كانت له الإمكانيات لتحقيق ذلك ولكنه لم يفعل.

واللاتينية التي قدمت لنا مادة خام حول الرحلة القديمة؛ لما استطعنا أن نكتب ولو صفحة واحدة في هذا الموضوع الشيق، والوثيقة القديمة كانت لنا بمثابة نبراسا نضيء به تاريخ البحرية في القديم، وأعترف أن أبو التاريخ هيرودوت المؤرخ الإغريقي (القرن الخامس ق.م) أفادنا كثيرا في التعرف على العلاقات الفينيقية- النوميدية في القديم، وكذا تعرضه إلى ظاهرة المقايضة بين القرطاجيين النوميديين، ولا ننسى المصادر التاريخية التي وصلتنا عن طريق الشاعر الروماني أفيينوس Avienus الذي عاش في القرن الرابع الميلادي والذي تحدث بإسهاب في أرجوزته الشعرية عن رحلة خيملك القرطاجي الذي قام برحلة في الجزر البريطانية في 450 ق.م، كما اعتمدت أيضا على أخبار بلينيوس وتيمايوس وسترابون، فكل هؤلاء كانوا لي خير معين في السير بالبحث إلى نهايته المرجوة، كما اعتمدت أيضا على الدراسات الغربية الحديثة، ولاسيما أبحاث المدرسة التاريخية الفرنسية ؛ حيث أن المؤرخين الفرنسيين درسوا موضوع الرحلات البحرية الكبرى في حوض المتوسط والمحيط الأطلسي بشكل عميق ودقيق، وقاموا بحفريات أثرية في عدة محطات بحرية في شمال وجنوب المتوسط لإزالة الغموض على بعض الأمور مثل المعبد والمبادلات التجارية المبكرة، ومسألة المقايضة بين الفينيقيين وأهالي المغرب القديم، مثال ذلك المؤرخ الفرنسي سنتاس وستيفان غزال وروبيفة من فرنسا ،والمؤرخ سباتينو موسكاتي وبارتولوني من إيطاليا ، ومحمد حسين فنطر من تونس، كما تشرفت بإجراء حفريات مع الأستاذ فنطر في مدينة كركوان القرطاجية على مدى ثلاثة أعوام من خلال حفريات أوت 2003 وأوت 2004 وأوت 2006 وكركوان مدينة ساحلية متوسطية عرفت أوج ازدهارها في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد.

ومما يستحق ذكره أن المؤرخين العرب القدماء في العصر الوسيط وفي العصر الحديث كتبوا عن الرحالة العرب البارزين في المشرق والمغرب ونشرت مخطوطات لرحالة عرب مثل ابن بطوطة والبلوي والتمغروتي والعياشي وابن زاكور وابن حماد وش، لكن العرب لم يكتبوا عن كبار الرحالة الذين عاشوا ما قبل الإسلام مثل حانون

وخيملك، ولكن الكتب السماوية كان لها إلتفاتة إلى رحلات الملوك والأمراء من بلد إلى آخر، ونقدم مثالا على ذلك :رحلة ملكة سبأ في اليمن؛ حيث قامت بسفر مشهور، بل عبارة عن رحلة ملكية جاء ذكرها في القرآن الكريم نحو الملك نبي الله سيدنا سليمان عليه السلام في فلسطين، كما نجد ذكر رحلة سيدنا نوح عليه السلام،ثم هناك أيضا رحلة العبور لسيدنا موسى عليه السلام مع العبرانيين إلى طور سيناء ثم إلى فلسطين . ولكن لانجد سوى إشارات غير كافية في كتاب التوراة (العهد القديم) لرحلات السفن الفينيقية نحو بلاد طرسوس في شبه الجزيرة الإيبيرية.

ولكن لاتوجد تفاصيل حول كبار الرحالة القدماء في الكتب السماوية ولا عند المؤرخين العرب سواء أكانوا رحالة فراعنة أو قرطاجيين أو نوميديين ...ولا أعتبر ذلك تقصيرا عند المؤرخين العرب في العصر الوسيط، لكن المشكل المطروح أن الرحالة العرب القدماء لم تكن لديهم الوثائق الكافية للكتابة مع الأسف، فالمسألة إذن متعلقة بندرة التوثيق، وكذلك النقص الملحوظ في المصادر الإغريقية والرومانية لدى المؤرخين العرب ... وخلاصة القول أن تلك العهود تعتبر بعصر الجاهلية ولكن يمكن أن نستثني إبن خلدون وأبي الحسن الوزان اللذان إطلعا على المصادر الإغريقية واللاتينية بطرق عديدة يضيق المقام عن ذكرها بالتفصيل منها دور المترجمين اليهود الأندلسيين في الأندلس.

وأعود إلى لب الموضوع فأقول أن البحث حول الرحالة القدماء الذين قاموا برحلات في المتوسط والمحيط الأطلسي ؛ يكشف عن أحداث مفعمة بالمفاجئات والأخبار الجديدة المدهشة مثلما وقع للرحالة الفارسي ستاسبيس الذي وصل إلى الساحل الإفريقي في جولته البحرية وصادف- أثناء نزوله إلى اليابسة مع رفاقه ?قوم من الأقزام الذين هربوا إلى الأدغال عندما شاهدوهم خوفا منه ومن جماعته والغريب في الأمر أن هؤلاء الأقزام قصيري القامة من العنصر الزنجي...!

على كل حال فإن البحث في الرحلات القديمة يحتاج إلى مزيد من الوقت والتفرغ أكثر للكشف عن بعض الجوانب التي لم تدرس من قبل، ويضيق بنا المقام عن ذكرها

الآن جميعا، مثل الرحلات والإكتشافات التي جرت في جنوب الصحراء منذ القديم في فترة حضارة الصحراء المعروفة بعهد حضارة الرسوم المنقوشة التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتقييم الموضوعي ...والسلام.

جدول الرحلات البحرية الكبرى مضامينها ودورها التجاري والإستكشافي إبان العهد القديم

- الرحلة الفينيقية الأولى في غرب المتوسط والأطلسي(القرن12-11ق.م)
- رحلة عليسة الفينيقية إلى تونس لإنشاءقرطاجنةفي عام (814ق.م)
- رحلة نخاو الفرعوني في حدود :(593-609 ق.م).
- رحلة ستاسبيس الفارسي في سنة: 470قبل الميلاد.
- رحلة خيملك القرطاجي في سنة450 قبل الميلاد
- رحلة حانون القرطاجي في سنة:425قبل الميلاد
- الرحلة النوميدية:(بعثة الملك يوبا الثاني الجزائري إلى جزر الكناري) مع بداية القرن الأول الميلادي.

الفصـل الثاني

البحارة الفنيقيون في غرب البحر المتوسط

- [illegible] الرحلات البحرية [illegible] ودورها التح[illegible]
[illegible] إبان العهد [illegible]

- الرحلة الفينيقية الأولى في [illegible]
- رحلة حنون الفينيقية [illegible]
- رحلة نخاو الفرعوني في حدود [illegible]
- رحلة [illegible]
- رحلة [illegible] القرطاجي [illegible]
- رحلة هملكون القرطاجي في [illegible]
- الرحلة [illegible] الملك [illegible]
[illegible] الأول [illegible]

يحسن بنا قبل الحديث في موضوع نشأة قرطاجة وتطورها التاريخي الذي عرفته، أن نعرج على العوامل السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي أدت إلى توسع الفنيقيين في بلدان حوض المتوسط على العموم، وفي غربه على الخصوص.

ومن عوامل التوسع الفنيقي وجود صراع مصري حيثي أدى إلى صدام في معركة قادش عام 1296 ق.م. بين الجيشين المصري والتحالف الأمورى الحيثي .ثم وقع غزو شعوب البحر على بلاد الشام بما في ذلك فلسطين في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد ؛ فقضت على الإمبراطورية الحيثية في آسيا الصغرى، وعانت فنيقيا من جيرانها داخليا مثل الأشوريين والأراميين والعبرانيين والفلسطنيين، وإزداد نفوذ الأشوريين في عهد الملك تجلات فلاسر الذي غزى سوريا وبلاد الحيثيين في حوالي 1094 ق.م ودفعت فنيقياالجزية للآشوريين في عهد تجلات فلاسرالثالث الذي حكم ما بين (745-727ق.م)وفي عهد إبنه شلمناصر وهذا يدل على هيمنة الآشوريين على منطقة الساحل الفنيقي.[1]

ولابد من التذكير أن الأراميين الذين نافسوا الفنيقيين في التجارة البرية مع بلاد ما بين النهرين كانت عاصمتهم دمشق مركزا هاما شبيها بمدينة صور على الساحل الفنيقي.وفي جنوب سوريا كان العبرانيون أي اليهود يطمحون إلى الحصول على مكانة ممتازة على الشاطىء الفنيقي ولا سيما في عهد نبي الله الملك داود وسيدنا سليمان عليهما السلام رغم صداقتهم للمك حيرام في القرن 10 ق.م، كل هذه الإضطرابات السياسية والإجتماعية سمحت للفنيقيين بأن يستغلوا ضعف البحرية الإغريقية التي تلاشت عقب غزو شعوب البحر في بداية القرن الثاني عشر ق.م، وإنطلق الفنيقيون

1 - أنظر فيليب حتى تاريخ الشرق القديم وأنظر محمد الصغير غانم : التوسع الفنيقي في غرب البحر المتوسط، ص:81.82.83.84.85.

بعد ذلك إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط من أجل بناء مستوطنات تجارية بعيدا عن الصراع الذي كان يشغل جزأه الشرقي، وإختار الفنيقيون الجزء الغربي للبحر المتوسط لوجود فراغ سياسي فيه يرجع إلى تأخر سكانه في التطور وضعف القوة الحربية لديهم في فترة توسعهم بالذات[2]. ويتناسب ذلك مع الروح التجارية الفنيقية التي كانت تميل إلى العلاقات السلمية حتى يتوفر لها المجال لتنفيذ أغراضها التجارية، وكان الفنيقيون يعملون كوسطاء تجاريين في إيصال بضائع دول شرق المتوسط إلى الشعوب التي كانت في حاجة إليها في جزر البحر المتوسط وشواطئه الغربية وسرعان ما نقلوا هذه الصناعات فأصبحت لهم بذلك شهرة صناعية خاصة في الثياب ذات اللون الأرجواني التي إنفردوا بصناعتها وصناعت الحلي والزجاج الشفاف، وإزدهرت هذه الصناعات ما بين القرن(12-8ق.م).

إبداعات الفنيقيين

وعندما نتحدث عن الفنيقيين يجدر بنا أن نركز على جانب هام وهو أن هؤلاء البحارة ينتمون إلى جنس واحد وهو الجنس الكنعاني ويدخل تاريخهم في نطاق تراث مشترك الذي يمكن أن ندعوه بالتاريخ السوري ويمكن أن نطلق على الفنيقيين بالمجتمع أو الشعب السوري نستطيع أن ننعت تراثهم القديم ومكوناتهم السياسية بالحضارة السورية.

وفي التاريخ السوري نجد عناصر السكان المختلفة التي وفدت إلى سوريا وإستطاعت مقاومة الغزو في العصر الذي تلا النزوح المينوي.

وينسب للحضارة السورية ثلاثة أعمال فذة:

أولا :إختراع الحروف الهجائية. 3

ثانيا :كشف المحيط الأطلسي.

---

2 – محمد الصغير غانم : التوسع الفنيقي في غرب البحر المتوسط. ص: 82.83.84.

3 – أنظر أرنولد توينبي : مختصر دراسة التاريخ ، ص:154.

ثالثا: التوصل إلى فكرة خاصة عن الله مشتركة بين اليهودية والزرادشتية والمسيحية والإسلام آخر الأديان السماوية لكنها فكرة غريبة عن كل من الفكرة[4] الدينية المصرية والسومرية والسندية والهلينية[5] فمن هي هذه الجماعات التي قدمت هذه المآثر ؟

فيما يخص الحروف الهجائية ليس لنا علم في الواقع من هو مبتدعها، إن كان المتعارف عليه تقليديا نسبتها إلى الفنيقيين، وقد يكون الفلسطينيون قد نقلوها في صورة بدائية من العالم المينوي، ومن ثم بالنظر لحالة معلوماتنا الراهنة يجب أن يترك ميدان إختراع الحروف الهجائية بلا تعيين . والفنيقيون هم الذين أنشأوا قرط حدشت على الساحل التونسي على يد عليسة أو ديدونفي 814 ق.م والتي هربت من أخيها الذي قتل زوجها وإغتصب الملك في مدينة صور وقد جاؤوا من مدينة صور وظهر تأثيرهم العميق في ديانة مدينة قرط حدشت المعروفة عند العرب بقرطاجنة

وليس قرطاجة كما يدعوها البعض وظهر التأثر الفينيقي أيضا في لغتها وحضارتها وإسم فنيقيا في القديم كان يطلق على على المنطقة الجغرافية التي تمتد تقريبا على الساحل السوري الحالي، وكانت فينيقيا تحتوي وتتكون من عشرين مدينة وضياعا كثيرة ومن مدنها الرئيسية إنطلاقا من جنوبها إلى شمالها فهي صور، وصيدون، وبيروت، وجبيل (بيبليوس)، وطرابلس، وجزيرة أرواد هذه الأخيرة مشهورة بصناعة السفن الفنيقية ومازالت هذه الصناعة موجودة فيها حتى اليوم، وفي أقصى الشمال من الساحل الفنيقي نجد رأس الشمرا، وأوغاريت وأصبح سكان هذه المدن من أمهر الفلاحين بفضل الموارد البحرية التي تدفقت عليها عبر موانئها المتعددة .

ويرى هيرودوت[6] أن موطن الفنيقيين كان في جوار البحر الأحمر، وأكد هذا الإحتمال ما ورد في مخطوطات رأس الشمرا التي تعد أساطير وقصائد دينية

4 - نفس المرجع، ص:154- 155.

5 - نفس المرجع، ص: 155.

6 - أنظر هيرودوت: التاريخ الكامل المترجم من الإغريقية إلى الفرنسية.

وملحمية كتبت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. فرضت تجارة القوافل على الفنيقيين أن يحتلوا لبنان ومرفأي صور وصيدون، وأنشأوا أسطولا بحريا وتمكنوا من توسيع علاقاتهم التجارية، وظهر التأثير المصري في جبيل حوالي الألف الثالث قبل الميلاد ولم ينقطع أهلها عن التبادل التجاري مع المصريين، ولا يستبعد هيرودوت أن تأسيس صور جرى في حوالي 2750 ق.م وساد تأثير المصريين في فنيقيا في نهاية الألف الثالث ومطلع الألف الثاني ق.م لكن معظم المدن الفنيقية ظلت تقاوم بإستمرار للحفاظ على إستقلالها وعانت المدن الفنيقية من غزو شعوب آتية من الشمال في 1200 ق.م ولم تتوقف إلا عند حدود مصر وقد إنشغلت هذه الأخيرة في الدفاع عن نفسها مما أدى إلى تخليها عن الوصاية التي كانت تفرضها على المدن الفنيقية، فعرفت صور إزدهارا لا مثيل له وكانت بمثابة أعظم مرحلة تاريخية عرفها التوسع الفنيقي في هذه الفترة بالذات فالبواخر الفنيقية كانت تحمل بضائع ومواد أولية متجهة بها في أنحاء مختلفة من حوض البحر المتوسط وكان التجار الفنيقيون يقومون بتأسيس مستوطنات ومرافئ للتجمع وهمزة وصل في مناطق معينة بالحوض الغربي للمتوسط وأسسوا مراكز مبادلات كانت تعود بالفائدة والغنى لمدينة صور وكذلك للمتعاملين معها. وأصبحت صور كمركز تموين عالمي بفضل ما تحمله بواخرها وكذلك بفضل صناعتها الراقية فمصانعها كانت تصنع أنسجة من الحرير والصوف والخيط فاقت في دقتها وجودتها جمال المنسوجات المصرية في عهد الفراعنة وكانت تنتج جواهر ومطروزات رفيعة وعطور لها شهرة عالمية[7].

صور والمرافئ التجارية الفينيقية الأولى في إفريقيا الشمالية

قامت جماعة من -صور- تحت قيادة - عليسة أو ديدون - بنزول حوالي814 ق.م في خليج تونس حيث أنشأوا مدينة - قرط حدشت - أي المدينة الجديدة التي كان لهاشأن كبير إلى جانب روما وأثينا في التاريخ القديم . وقبل ذلك بعد قرون

7 - إن مخطوطات رأس الشمراء وأوغاريت عثر عليها علماء الآثار، وتعد كمادة رئيسية في تاريخ الفنيقيين القدماء.

كانت السفن الفينيقية المحملة بالبضائع والمواد الأولية تجوب مياه حوض المتوسط وتفتح الأسواق وتنسج شبكة واسعة للمبادلات مع صور بفينيقيا. إن البذرة التي ستنبت فيما بعد وهي ملكة البحار قرطاجنة لها أصول شرقية عريقة رغم أن الأرض التي ظهرت عليها إفريقية.

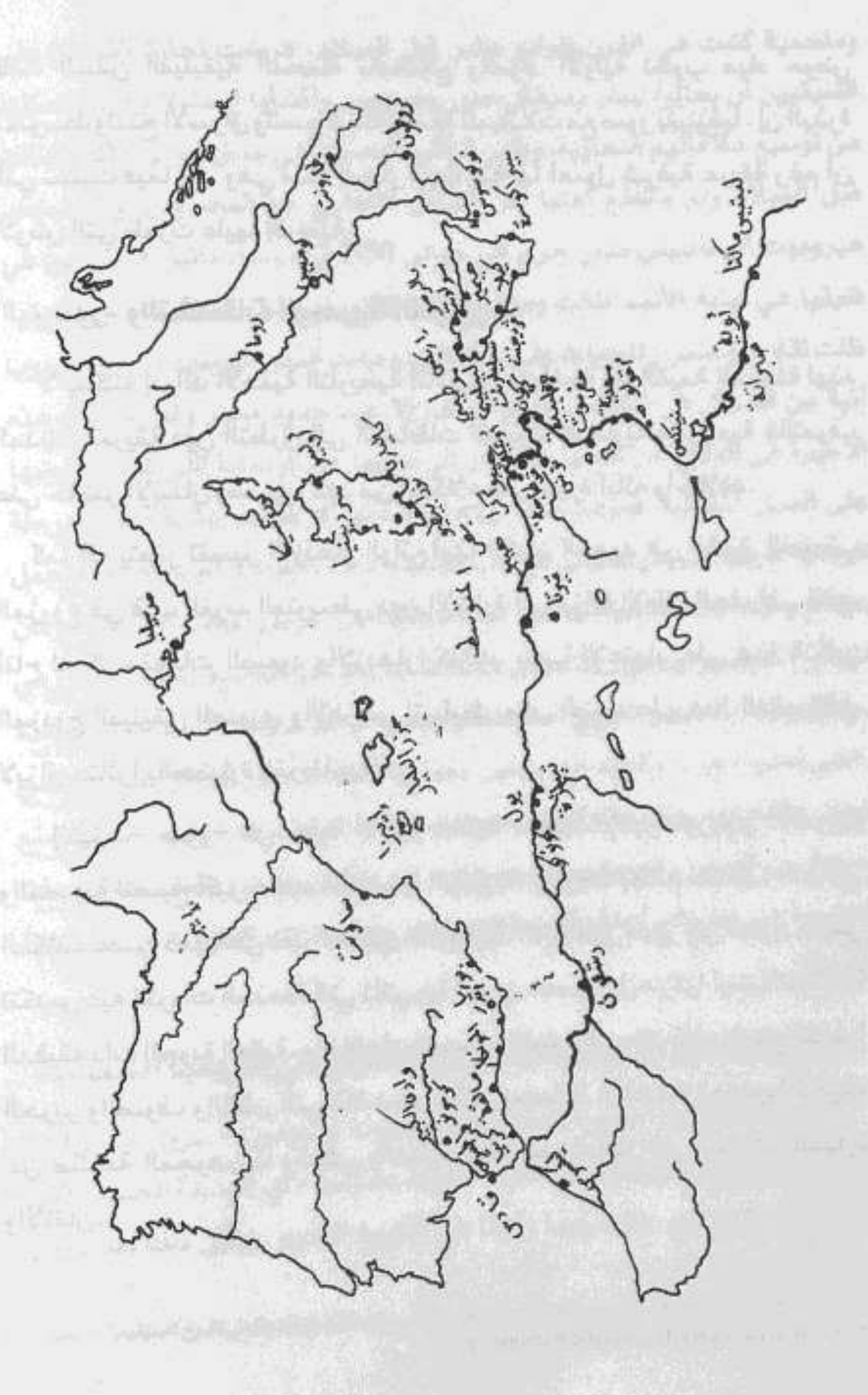
-صور- والنشاطات البحرية التجارية

لا يمكننا إدراك الأهمية التاريخية لتأسيس قرطاجة ولا القيمة المذهلة لهذه المدينة العريقة دون التطرق إلى النشاطات البحرية التجارية والروحية فالتعرف على حاضر الإنسان ومصيره لابد من الإطلاع على سيرة آبائه وأسلافه.

كما أنه يتعذر تفسير الإزدهار الرائع لهذا الكيان الجديد في الشرق الفينيقي المزروع في قلب الغرب المتوسطي دون الإشارة إلى مزايا الإطار الجغرافي الذي أتاح له كل مقومات الصعود والإزدهار؛ كذلك. يجب الإعتماد على هذا التأثير المزدوج الفينيقي الصوري والإفريقي لتسليط بعض الضوء على هذا العالم الذي لايزال متأثرا بالحضارة القرطاجية.

إنتهزت- صور- في نهاية الألفية الثانية ضعف الإمبراطوريتين الأشورية والمصرية لتصبح أكبر عاصمة لفينيقيا الجنوبية. وعرفت بحكم نشاطها التجاري المكثف عصرا ذهبيا في فجر العصور التاريخية.[8] لم تتحول صور إلى مخزن عالمي تتكدس فيه الثروات المذهلة التي تأتي بها السفن فحسب بل مركزا أيضا للصناعة الدقيقة ذات الجودة العالية. والواقع أن المصانع الفينيقية يومئذ كانت تنسج أقمشة الحرير والصوف والكتان التي فاقت في دقتها وجمالها الأقمشة المصرية ناهيك عن صناعة المجوهرات والحلي والعطور هذه الصناعات التي إمتازت بالمهارة والإتقان.

8- Tlatli Salah Edine:la carthage punique , p:22.



المصادر القديمة حول الرحلات البحرية لأهل صور

كان أهل صور يسوقون مواد الزينة والحلي وأدوات الترف في كل أنحاء العالم القديم بحيث لا تجد في - بابل - أو - نينوى - أو - سوس - أو - بريسيوس- إمرأة جميلة لا تحسد على إستعمالها لتلك العطور الرفيعة المستوردة من فينيقيا أو تلك الخمارات الحريرية الشفافة التي لم يكن يعرف سر صناعتها إلا مصانع صور.

قال هوميروس: (نزل هرقل إلى غرفته المعطرة والمزينة بمختلف الستائر الرائعة التي نسجتها نساء صور وقد جاء بها -باريس- بنفسه من فينيقيا) إن تنبأ حزقائيل في القرن6 ق.م بهلاك الأمم الوثنية يوحي بإزدهار كبير لإمبراطورية فينيقيا فقد جاء في نص حزقائيل عن الإزدهار الفينيقي ما يلي :

(جاء في كتاب العهد القديم):

أنت التي تجلسين على مشارف البحر

أنت التي تتاجرين مع شعوب الجزر العديدة

أيا صور، يا من قلت : أنا في أتم صحة

سلطتك تمتد إلى أعالي البحار

يقصدك الملاحون بسفنهم لتبادل البضائع

جيشك فيه الفارسيون والليبيون والليديون[9]

إنهم يعلقون دروعهم على جدرانك فيجعلونك يا صور فائقة الجمال

طرسوس تبادلك الثروات المتنوعة من فضة وحديد ورصاص ونحاس وتدفع الثمن المقابل.

أيا صور أنت تتحكمين في تجارة جزر عديدة وتحصلين على قرون العاج والأبنوس

9- P:- Tlatli Salah Edine 24:قرطاجة الفينيقية، ص

دور طرسوس

لقد أجمع الكتاب القدامى والنصوص التوراتية على أهمية الدور الذي لعبته طرسوس في إزدهار صور حتى أن النبي إسحاق سماها إبنة طرسوس وهذا يدل على أنها إحتلت مكانة مرموقة في الحياة الإقتصادية للدولة الفينيقية الكبيرة.

على أن علماء الآثار لم يعثروا مطلقا على بلدة طرسوس أو طرشيش TARCHICHE أو كما يسميها الإغريق طرطسوس TUDETANIE كما أننا حتى الآن نجهل موقعها بالضبط .لكنه من المحتمل إستنادا إلى ما قدمه الكتاب المقدس من معلومات أن طرسوس كانت تقع جنوب إسبانيا بالقرب من الوادي الكبيرالأندلس وهناك مؤرخون مشهورون مثل ديودورس الصقلي وفيلاينس «VELLEINS «وبسيدو أرسطو PSEUDOARISTO وباتركولوس PATERCULUS وسترابون STRABON هؤلاء تحدثوا عن هذا البلد بطريقة تذكرنا بمنطقة ألدورادو الأمريكية التي تتوفرعلى خيرات كبيرة خاصة منها المعادن. [10]

توجد في طرسوس ثروات معدنية إلى جانب ثروات أخرى، وهذا أمرلا يدعو إلى العجب،فإذا كانت المناجم موجودة بكثرة في إيبيريا (إسبانيا) إلا أنها لاتتساوى كلها من ناحية الإنتاج، ولم يعثر لحد الآن على الذهب والفضة والنحاس والحديد بكميات وافرة وفي حالة صفاء طبيعي[11]، أما الذهب فلم يكن يستخرج من المناجم فحسب بل أيضا من مجاري الأنهار بواسطة المجارف. ومن الطبيعي أن يكون بلد غني كهذا محط أنظار سكان سواحل البحر المتوسط في نهاية العصر الحجري المتأخر، وبالتالي يبدو أن التجار الصوريين إستقروا في البلاد البحرية في وقت لاحق بعد الكريتيين بألف سنة تقريبا. كان الصوريون يعملون على إحتكار المعادن ولاسيما النحاس والقصدير الضروريين للصناعة القصديرية بالإعتماد على مناجم طرسوس التي لا تنضب، والإستحواذ على الطرق المؤدية إليها، ومن ثم كان النظام الإقتصادي

10- Id Ibid,p:24.

11- إيبيريا إسم قديم لشبه الجزيرة التي تتكون من الجزء الجنوبي الغربي من أوربا وتتقاسمه إسبانيا والبرتغال .

والتوجه السياسي لهذه المدينة التجارية مرتبطين إرتباطا وثيقابهذا الهدف أكثر مما كانت عليه طريق الهند بالنسبة إلى الإمبراطورية البريطانية طوال عدة قرون.

تأسيس قواعد ومرافئ البحر المتوسط

لعل أهم ما نجم عن سياسة مراقبة الطرق البحرية المؤدية إلى طرسوس هو تأسيس قرطاجنة[12] لقد حرص أهل صور على تأمين ملاحتهم وأقاموا من أجل ذلك عددا لايستهان به من القواعد البحرية والمراسي لأجل التي تجعل أسطولها في مأمنمن المفاجآت ومضايقات منافسيهم خاصة الإغريق منهم ، ثم أن الملاحة كانت حينئذ تقتصر على السواحل ومن ثم كان لزاما على السفن التوقف ليلا وإنتظار بزوغ الشمس لإستئناف الرحلات، والرسو إحتماءا من سوء الأحوال الجوية، وكذلك التزود بالمؤونة، كل ذلك يتطلب وجود مرافئ وملاجئ محمية على الجزر وشبه الجزر التي تقع على الطريق المؤدية إلى الجزيرة الإيبيرية، ومن المؤكد أن هذه المرافئ لم تنشأ لتنشيط المبادلات مع السكان المحليين؛ لأن أغلبها تأسس - حسب ديودورس الصقلي - بعد إكتشاف المناجم الإسبانية وإستغلالها، لكنها توسعت فيما بعد وتحول أحسنها موقعا إلى مدن حقيقية.

كان خط السير عند الذهاب يمر على قبرص، وكريت، ومالطة، وصقلية الغربية، وسردينيا، وجزر الباليار،والشواطئ الجنوبية لإسبانيا، وجبل طارق، وقادش على الساحل الأطلسي.أما عند الإياب فكان الملاحون يتبعون السواحل الإفريقية مستعينين بالتيار القوي الآتي من مضيق جبل طارق في إتجاه الشرق، إن أقدم مركز تجاري شهد توسعا وإزدهارا يتمثل في مدينة قادش GADIC (بالفينيقية) أو GADIX (بالإغريقية)، وتعرف اليوم بإسم قادش GADIX، وتقع على جزيرة ليون قرب الساحل الأطلسي الإسباني، ونظرا لقرب هذه المدينة من طرسوس نجد بعض المؤرخين القدامى لايفرقون بين قادش وطرسوس.

12 - نفس المرجع، ص:24

ويعتقد فيليوس باتركولوس[13] أن هذه المدينة تأسستثمانين سنة بعد سقوط طروادة أي حوالي 1110قبل الميلاد، ويضيف) أنشأت أساطيل صور المهيمنة على البحار آنذاك مدينة قادشعلى أطراف إسبانيا أي في أقصى العالم، وبعد سنوات ليلة أسس الصوريون أيضا مدينة عتيقة «UTIAUE» وسرعان ما تطورت المدينة الإيبيرية وإمتد إشعاعها من الجزيرة إلى القارة المجاورة، فالعديد من الكتاب القدامى تحدثوا عن بناء هيكل في جنوب الجزيرة حوالي القرن الثاني عشر إكراما لميلكارت«MEKQART»أو ملك المدينة أو هرقل الفينيقي الذي دفن حسب الأساطير في نفس مكان النصب ولعل ما يدل على صحة هذا القول أن مضيق جبل طارق الحالي كان يحمل آنذاك إسم «أعمدة هرقل»، وقد إتسعت قادش ونمت لقربها من طرسوس التي كانت تصدر إليها الخيرات والثروات، ولإستعمالها أيضا حلقة وصل على طريق القصدير الذي كانت تأتي به السفن الطرسوسية والصورية من جزر «سيلي»[14].

بالإضافة إلى هذا المعدن الثمين كانت سفن صور تشحن كميات كبيرة من النحاس المستخرج من المناجم المجاورة (حاليا :ميناس ديريو تينتوس TINTOS MINAS (DERIO وكذا الفضة والذهب ومنتوجات الفلاحة والصيد البحري التي كانت إيبيريا الجنوبية تزخر بها.

وقد تم العثور مؤخرا في قلعة سيراإليكسي «SERRA ILLIXI» على ألواح نحاسية وسبائك قصديرية يحتمل أن تكون من بقايا الحمولات الفينيقية البحرية. على أن أقوى دليل على وجود هذه الطرق البحرية التي كانت الأساطيل الصورية تسلكها يتمثل في ذلك التمثال الصغير من البرونز لإله فينيقي قد يكون (رشف RESHEF) الذي يرجع إلى القرن 11 أو 12 ق.م.

---

13 - فيليوس باتركولوس VELLEIUS PATERCULUS مؤرخ لاتيني (31 بعد الميلاد) ألف كتاب: «تاريخ الرومان من الأصول حتى 30 بعد الميلاد».

14 - جزر سيلي أو SORLINGUES تقع في الجنوب الغربي لبريطانيا.

كان هناك أيضا مرفأ تجاري آخر يقع على الساحل الأطلسي للمغرب الأقصى بالقرب من «العرائش» إنه ميناء «الليكسوس» الذي كان يستعمل في شحن ذهب إفريقيا السوداء، والعاج، والأبنوس، ومنتوجات أخرى متنوعة إستوائية؛ بما فيها القردة التي جاء ذكرها في الإنجيل عند ذكر سفن طرسوس، ولعل النصوص الإنجيلية تحدثت عن سفن طرسوس للدلالة على كل السفن الآتية من أقصى غرب البحر المتوسط.

في الفترة نفسها -أي نهاية القرن الثاني عشرحسب فيلين باتركولوس ULUS-VELLEIN PATERC-أنشأت قاعدة عتيقة UTIQUE التجارية، ويؤكد العديد من المؤرخين القدامى تاريخ تأسيس هذه القاعدة، فهناك نص قديم ينسب إلى أرسطو يقول أن «عتيقة» بناها الفينيقيون في287 عاما قبل قرطاجة:أي في عام 1101 ق.م.

في منتصف طريق المعادن، والمواد الأولية التي حرصت صور على إحتكارها، تتربع «عويتقة» على جزيرة صغيرة عند مصب نهر باغرداس «BAGRADAS» (مجردة عند الخليج التونسي حاليا) ويحتضنها خليج محمي على غرار قادش والمرافئ الفغينيقية الأخرى.

نشأة قرطاجة

أسطورة نشأة قرطاجة

القرطاجيون شرقيون ساميون أصلا ووصولهم إلى بلاد المغرب أملته عليهم ظروف وضرورات حيوية .

إن الملاحين الفينيقيين الذين نزلوا قرطاجة هم الذين شيدوا مدنا مثل عويتقة، وقرط حدشت (المدينة الجديدة باللغة الفينيقية) في 813/814 ق.م أيام حكم بيغماليون وهناك قصة أسطورية تتحدث عن وصول الفينيقيين إلى بلاد المغرب القديم فرارا من الملك الفينيقي بيغماليون، وتسلط بعض الضوء على الأصل المشرقي للقرطاجيين.

جاء في (محاوراة أفلاطون) أن عليسة أخت بيغماليون ملك صور هي التي شيدت قرطاجة في ليبيا حيث سماها الأهالي ديدون «DIDON»؛ عندما بلغها أن بيغماليون قتل زوجها، جهزت سفينة وشحنت عليها كل ما تملك من أموال ثم فرت مع بعض مواطنيها المخلصين إلى إفريقيا وهناك بنت مدينة قرطاجنة حيث لقبها الأهالي ديدون. ولما رغب ملك الليبيين في الزواج منها؛ رفضت لكنها تحت إلحاح السكان تظاهرت بإحياء حفلة تتحرر فيها من قسمها، فأحضرت حطبا كثيرا قرب منزلها وأضرمت فيه النار ثم ألقت بنفسها فيه[15].

ولئن كانت هذه الحكاية أقرب إلى الخيال من الواقع فإن البعض يشك في وجود أخت لبيغماليون إسمها عليسة ويشكون في هجرتها إلى إفريقيا.

وقد تحدث – كاتون – و-مياندر ديفيز- عن عليسة ولم يستندوا في ذلك إلى ما أورده «جوستين» ومهما يكن من أمر لابد من التسليم بصحة النصوص والشهادات التي تذهب لإلى أن قرطاجة كانت مستعمرة صورية بناها بعض أهالي صور الفارين رغم أنف حكومة صور[16]

الأسطورة حسب «جوستين»

«جوستين»المؤرخ اللاتيني من القرن الثاني وصاحب كتاب:(التاريخ العالمي) ساق لنا قصة أكثر تفصيلا لخصها لنا «ستيفان قزال» فيما يلي :

(ترك موتو MUTO ملك صور وريثا له هو إبنه بيغماليون الذي كان طفلا وكذلك إبنته عليسة وكانت فائقة الجمال لكن الشعب آثر تسليم الملك إلى بيغماليون أما عليسة فتزوجت عمها «هيابارص» وهو أحد الرهبان المقربين من هيرقل.

كان هيابارص يمتلك ثروات كبيرة خبأها في باطن الأرض خوفا من الملك ؛ لكن بيغماليون تمهيدا للإستلاء عليها قتل عمه وصهره في نفس الوقت، فصارت عليسة تكن له حقدا كبيرا ولكنها إستطاعت التحكم في مشاعرها ولم تبد نحوه شيئا ؛ ثم

15 - Gsell Stephane: Histoire Ancienne De l'Afrique du Nord,Tome I,P:390.
16 - Id Ibid,p:390.

راحت تحضر عملية فرارها سرا بمساعدة بعض المواطنين الذين يقاسمونها كره الملك. ثم خادعته يوما من الأيام بطلبها منه أن يأذن لها في الإقامة بجانبه زاعمة أن المنزل الذي تسكنه صار يبعث في نفسها الحزن والكآبة، فرضي بيغماليون ضانا أن ثروات هيارباص سوف ترجع إليه مع عليسة ... وذات مساء شحنت عليسة - بمساعدة الخدم الذين بعث بهم الملك - كل أموالها على السفينة، ولما وصلت إلى عرض البحر أجبرتهم على رمي أكياس مملوءة ترابا ومربوطة ربطا محكما كما لو كانت تحتوي على النقود، وعندئذ راحت تنادي بصوت ملؤه الحزن والأسى زوجها الراحل هيارباص راجية منه أن يقبل كهدية جنائزية الثروات التي كانت السبب في موته، ثم أخبرت الخدم أن الأكياس التي رموها في البحر كانت تحوي كنوزا؛ حذرتهم من العذاب الشديد الذي يسلطه عليهم الملك إن هم رجعوا إليه، فإرتعشوا خوفا وقبلوا عرض مرافقتها ؛ وفي الحقيقة لم تكن هذه إلا حيلة مخادعة دبرتها عليسة كي لا يتبعها بيغماليون، وأثناء الطريق لحق بها أتباعها، ثم هاجر الجميع إلى إقامات جديدة بعد أن قدموا لهرقل قرابين تكريمية[17].

كانت جزيرة قبرص أول محطة في سفرهم، وهناك أتاها الراهب « جينون» رفقة زوجته وأبنائه ليتقاسم الكنز مع عليسة وأكد لها أن الكرامة JUNON الكهنوتية ستشمل ذريتها وخلفائها .وجرت العادة في قبرص آنذاك أن تذهب الفتيات العذارى في أوقات معينة إلى الشاطئ للحصول هناك على مهورهن مقابل تقديم عذريتهن إلى(فينوس) فأخذت عليسة منهن ثمانين عذراء وواصلت رحلتها البحرية إلى أن بلغت خليج إفريقيا أي (تونس) حيث رحب بها الأهالي وإهتزوا طربا بهؤلاء الوافدين الغرباء أي عليسة وجماعتها.

أما بيغماليون أراد أن يتبع أخته عليسة عن طريق البحر لكن صلوات أمه وتحذيرات الرهبان أثنته عن عزمه.

17- S.GSELL :Histoire Ancienne De L' Afrique Du Nord, T I, p:380/381.

إشترت عليسة أرضا كبيرة تكفيها هي ورفاقها للإستراحة قبل الرحلة من جديد متابعة؛ لكن السكان المجاورين توافدوا حاملين بضائع كثيرة للبيع، ثم أتى أيضا مبعوثون من (أوتيك) وساعدوا إخوانهم على بناء قرط حدشت (قرطاجة)[18].

وأقامت عليسة في قطعة أرض بقرط حدشت بمقاسة جلد ثور إشترته من الأهالي الليبيين وقاست مساحة الأرض بشرائط ذلك الجلد وأقامت بهذه المساحة فكان ثمن الأرض قد حدد بذلك المقاس .عندما بدأت الأشغال إستخرج من باطن الأرض رأس ثور؛ وكان معنى هذا عندهم أن الربح سوف يتطلب الكثير من الجهد المضني.

وإنتقلت الأشغال إلى مكان آخر حيث تم العثور على رأس حصان وهو رمز القوة والشراسة الحربية، فاستقر الرأي على بناء المدينة الجديدة في هذا المكان.

جذبت مدينة قرطاجة إليها كثير من الناس بحيث صارت في وقت قصير آهلة المدعو هيارباص، HIARBAS المدعو MAXTANI مكستانيا بالناس مزدهرة، وإستدعى الملك ستة مواطنين من الأعيان وأبلغهم أنه يريد عليسة زوجة له، وفكر هؤلاء مليا وأدركوا أن رفض طلب الملك يعني الحرب، لكنهم أحجموا عن مصارحة عليسة بالأمر فلجأوا إلى حيلة قرطاجية حيث أخبروها أن الملك يحتاج إلى من يعلمه هو والإفريقيون عادات وتقاليد حضارية، وقالوا من هو هذا الذي يرضى مفارقة أهله وأصدقاءه ليعيش بين متوحشين ؟... عابت عليهم عليسة إحجامهم عن التضحية في سبيل مصلحة الوطن، وبعد ذلك صارحوها بنية الملك للزواج بها ؛ فأجهشت بالبكاء وراحت تردد إسم زوجها هيارباص بحسرة ثم كفكفة دموعها وأجابتهم أنها ستواجه قدرها مهما كلفها ذلك من ثمن[19].

بعد أن أخذت مهلة ثلاثة أشهر أحضرت كومة من الحطب في أحد أطراف المدينة وتظاهرت بتقديم أضاحي إستغفارية لروح زوجها الراحل قبل زواجها

---

18 - Id Ibd, p M 381.

19 - ملحمة شعرية من 12 قصيدة (29 - 19 ق م) تحكي قصة بناء روما.

بملكهم؛ فحملت سيفا ووضعته على المحرقة وتوجهت نحو شعبها قائلة: « إني ذاهبة إلى جانب زوجي كما شئتم » ثم إنتحرت. وهكذا ما دامت قرطاجة منتصرة؛ تبقى هذه الملكة مكرمة تكريم الآلهة . إنتهى نص جوستان .

ما هي العبر التي يمكن أن نجنيها من حكاية جوستين هذه؟ التي إقتبسها كتاب كثيرون مثل أبيانوس APPEIN وسيرفيوس SERVIUS وفرجيل VIRGILE في كتابه EEIDE أسطورة نشأة قرطاجة[20].

قرطاجة بين الأسطورة والحقيقة التاريخية

لاريب أن (موتو) أب عليسة وزوجها هياربلص يحملان أسماء فينيقية الأصل، وما يثبت وجود الأول هو قائمة زعماء صور الثلاث التي وضعها المؤرخ الإغريقي (مندرس) إستنادا إلى تاريخ فينيقيا، أما هيابارص أو أشريعل فيوجد إسمه منقوشا على أحد القبور في قرطاجنة[21].

ولكن ماذا عن البطلين الرئيسيين بيغماليون وعليسة ؟ لقد ورد ذكر بيغاليون صراحة في كتابات مندرس حيث جاء فيها :

(عاش بيغماليون ستة وخمسين سنة وحكم لمدة سبع وأربعين سنة. وفي السنة السابعة من ملكه إستقرت أخته بإفريقيا حيث أسست مدينة قرطاجة[22]

إن لهذا النص الذي لم يطلع عليه جوستسن حسبما يبدو ذو أهمية أساسية لأنه يؤكد على وجود شخصية بيغماليون ملك صور وهجرة أخته مؤسسة قرطاجة، ويلقي بعض الأضواء على تاريخ بناء قرطاجة.

وتجدر الإشارة إلى إكتشاف أثري هام يبرهن بوضوح على وجود بيغماليون مؤلها وقام بهذا الإكتشاف الأستاذ ديلاتر DELATREالذي وجد - في مقاطعة دونيمبر - قبر يادا ملك YADAMELER إبن باداي PADAY وكانت الميدالية الذهبية التي

---

20 - تلاتلي صلاح الدين : قرطاجة البونية، ص: 50 بالفرنسية

21 - نفس المرجع، ص:50.

22 - نفس المرجع، ص: 50.

عثر عليها فيها إهداء إلى بيغماليون وعشتارت. وبينت دراسة في علم النقوش أن هذه الكتابة تعود إلى نهاية القرن الثامن فبل الميلاد.

ويحتمل أن يكون بيغماليون حسبما يعتقد فيليب بيرجيه PHILIPE BERGER قد أله وألحق بمجمع الأرباب PANTHECN في قرطاجة منذ القرن الأول لبدأهذه المدينة.

صحة تسمية عليسة

أما عليسة فنجد إسمها محفورا في عدة نقوش بقرطاجنة الفينيقية وإن كان مندرس لم يذكرها صراحة إلا أن تيمييه TIMEEيقول أنها لقبت(بديدون) وأنها آلهت وإختلط إسمها بعستارت[23] وتانيت[24].

ومن ثم لا يسعنا إلا أن نجزم بوجود بيغماليون تاريخيا وأن أخته عليسة شخصية حقيقية وليست خيالية[25].

أما الوقائع التي ساقها جوستين في حكايته فيتعين الإمعان فيها وخاصة فيما يتعلق منها بمغادرة عليسة لفنيقيا ومرحلتها اللاحقة في قبرص ثم إقامتها في إفريقيا.

إن رحيل عليسة المفاجئ بعد مأساتها العائلية وما أعقبه من أحداث مثيرة يدعو إلى الإرتياب، فإذا كانت عليسة قد فرت رغم أنف أخيها بيغماليون رفقة معارضي النظام فقد كان أولى بمدينة قرطاجة التي شيدتها في إفريقيا أن تتحول إلى عدو لدود لصور، غير أن قرطاجة كانت على عكس ذلك فهي دائمة الإرتباط برباط الصداقة والتعاون الوثيق مع الوطن الأم فينيقيا.

---

23 – عشتارت إلاهة آشورية بابلية (إلاهة الحب والخصوبة).

24 – تانيت إلهة الخصوبة عند القرطاجيين.

25 – نفس المرجع السابق، تلاتلي صلاح الدين، قرطاجة البونية، ص:50.

وقد جاء على لسان العديد من المؤرخين أن وفدا رسميا كان يذهب محملا بالهدايا من قرطاجة إلى معبد ماقارت بفينيقيا[26].

ويرى ديودورس الصقلي أن هذه الأموال لم تكن سوى جزية كان يدفعها أهالي المستوطنة الجديدة إلى الوطن الأم فينيقيا .أما بوليبيوس أكد أن قرطاجة كانت قبل تدميرها تبعث سفنها محملة بالهدايا إلى صور[27].

ولا ريب أن روابط الصداقة هذه لا تتفق أبدا مع ما جاء في القصة من مشاعر الكراهية لدى عليسة والتي بها إلى الرحيل.

ولا يعقل أن ينسجم تأليه بيجماليون في قرطاجة مع تلك الاضطرابات المأساوية، كما لا يمكن تصور عليسة مقدسة و خاضعة لقاتل زوجها، ومن المستبعد أيضا أن يوافق المعارضون السياسيون أو أبنائهم على إدخال بيجماليون الذي نكل بهم وهجرهم إلى مجمع آلهة المدينة الجديدة .

والمرجح أن ما فعلته عليسة كان عملا منظما جرى تحضيره رسميا من طرف حكومة "صور"، وكان هدفه تأسيس مدينة ملكية جرى اكتشافها سابقا على طريق طرسوس.

ومن ثمة كانت مهمة عليسة تشبه إلى حد كبير عمل ملكة النحل التي تنطلق مع فرق النحل لبناء خلية جديدة (أي بناء المدينة الجديدة) "قرط حدشت".

وهكذا انطلق على ظهر أسطول كبير محمل بكنوز معتبرة حشد كبير متمثل في النخبة الأرستقراطية ورجال الدين والملاحين والخدم، وقدمت لهم قبرص - عند مرورهم بها الولاء الديني، والمعروف أن الجزء الشرقي من قبرص كان تابعا لمنطقة النفوذ الفنيقي كما أن "عوتيقة" سارعت بإرسال الهدايا إلى الوافدين الجدد. كل ذلك يقدم أبلغ دليل على أن الرحلة البحرية تمت برعاية ومساندة "صور"لتأسيس"صور" جديدة تخدم مصالحها السياسية والإقتصادية وترعاها.

26 - مالقارت سيد آلهة صور ومعناه ملك المدينة باللغة الفينيقية، وكان يعبده القرطاجيون أيضا.

27 - نفس المرجع السابق، تلاتلي ، ص:51.

والواقع أن "صور" في الوقت الذي كانت تعمل فيه على تشييد قرطاجة كان يتهددها خطر التوسع الأشوري، فالمدن والثغور الفينيقية رغم تحصيناتها باتت تحت رحمة الهجومات الشرسة لـ"آشورنا بيبعل"(884-860 ق م) واضطرابات لأن تدفع له الخراج.

ولما شعرت "صور" بمدى الأخطار التي تحيط بها توصلت انطلاقا من واقعية سياسية ونظرة مستقبلية صحيحة إلى تحويل جزء هام من قوتها وثروتها نحو غرب حوض البحر المتوسط .

أضف إلى ذلك أنها كانت مضطرة إلى إنشاء قاعدة بحرية كبيرة على طريق "طرسوس" التي كانت هي الأخرى تحت تهديد المنافسة النشيطة للإغريق والإتروسك[28] .

إن دولة "صور" التي بدأ الضعف يتسرب إليها تحت ضربات الأشوريين صارت عاجزة عن حماية ثرواتها في طرسوس فكان لزاما عليها نقل الإدراة السياسية والإقتصادية لصالح الفينيقيين في غرب المتوسط[29] .

ومهما يكن من أمر فإن قرطاجة بموقعها الجغرافي الممتاز وأصولها الملكية النبيلة تتميز عن بقية المرافئ التجارية الفينيقية، وهكذا أصبحت تسمى بحق "ملكة البحار" .

أما فيما يتعلق بالحسناء "ديدون" و مغامراتها و نهايتها البطولية يقدم لنا المؤرخ "جوستان" عناصر كثيرة قريبة من الحقيقة فشعب "ماكسيتانيا" الذي ورد ذكره في قصته كان يعيش في تونس القديمة حسب هيرودوت، أما الملك هيار باص الذي هو صورة إغريقية للملك الليبي "جاربا" فمن المرجح أنه كان موجودا فعلا[30]، فقد ذكره العديد من الكتاب من بينهم "كاتون الأونيكي"[31] وحمل اسمه بعض الحكام النومديين .

28- نفس المرجع صفحة 52.

29- G.PICARD : le monde de Carthage p.20-

30 – تلاتي صلاح الدين : قرطاجنة البونية صفحة 52 بالفرنسية.

31 – كاتون الأوتيكي : رجل دولة روماني (95 - 46 ق م).

أما اكتشاف جمجمة حصان عند وضع أولى أسس المدينة فأمر يتقارب أشد التقارب مع النقود الفينيقية القديمة التي كانت تحمل صورة حصان أو رأس حصان. ذلك يؤكد ما جاء في الأسطورة أم أن الأسطورة مستوحاة من الواقع ؟ إنه سؤال عسير يصعب الإجابة عنه32.

نشأة قرطاجة من الناحية التاريخية

يشير الأستاذ سينتاس إلى أن الدراسات الحديثة أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن كل التواريخ القديمة لغرب البحر الأبيض المتوسط بما فيها تاريخ روما قدرها المؤرخون حسب تاريخ معياري واحد .

ولحسن الحظ تتوفر لدينا عدة مصادر موثوق بها تتفق كلها على تحديد تاريخ تأسيس قرطاجة . فـ "تيمي" إستادا إلى شهادة "دونيس دالكار ناس" في كتابه (روما القديمة ص 74) يقدر أن قرطاجة تأسست 38 سنة قبل الألعب الأولمبية الأولى أي في عام 814 قبل الميلاد، ويؤكد هذا القول كتاب لاتينيون مثل "شيشرون" و"فيليوس باتركولوس" و"أبيين" أي أبيانوس.

وألف كاتب إغريقي من أسيا الصغرى يدعى "مناندر د يفيس" قصة عن مدينة صور معتمدا على أخبار الفينقيين وحدد تاريخ رحيل عليسة في السنة السابعة من حكم بيجماليون، ويتناسب هذا مع السنوات 825 و819 قبل الميلاد حسب النقاد المعاصرين الذين إستندوا في استنتاجهم على الآثار الصورية والأشورية والإكتشافات الأثرية الحديثة[33].

فلقد تم العثور في الآثار المكتشفة في قرطاجنة على أواني خزفية يرجعها الأستاذ "هاردون" إلى القرن الثامن قبل الميلاد، أما " سينتاس" فيرجعها إلى القرن التاسع قبل الميلاد. كما أن مقبرة الدرمش التي نقب عنها "غوكلر" كما سيأتي ذكره في الفصل الأخير فتنتسب إلى القرن الثامن قبل الميلاد.

32 – نفس المصدر صفحة 53.

33 - CHARLES PICARD : vie quotidienne à Carthage P 18.

خلاصة القول أن قرطاجة تأسست في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وبالتحديد حوالي السنة 814 أو 815 قبل الميلاد بجهود مجموعة من أهالي صور ترأسهم عليسة أخت ميجماليون .ولا يفوتنا في الأخير أن نشير إلى أن بعض الوقائع المتعلقة بنشأة قرطاجة لها جانب من الحقيقة رغم الهالة الأسطورية التي تحيطها .

المعطيــات التاريخيــة حول قرطاجــة

اتضح لقرطاجة - في نهاية القرن السابع قبل الميلاد - أنه بات لزاما عليها الإعتماد على نفسها، فجمعت من أجل الدفاع المشترك المستوطنات المتفرقة ابتداءا من جزيرة موقادور بالقرب من الصويرة، والليكسوس وقادش، وما وراء أعمدة هرقل حتى مالطا مرورا بـ "إبيزا" وسردينيا، وصقلية الغربية واتفقت معها على أن تقدم صور لقرطاجنة الحماية اللازمة مقابل أن تتنازل لها عن استقلالها الإقتصادي والسياسي، وما عدا هذا تبقى هذه المستوطنات متمتعة بحرية تسيير شؤونها في الميادين الأخرى.

على هذا النحو تشكلت إمبراطورية ذات نظام اقتصادي يقوم على تركيز ثروات الغرب - وخاصة الفضة والقصدير بإسبانيا - في المرفأ الإفريقي .

وتصور لنا أقوال هيرودوت حول قرطاجة في عام 650 قبل الميلاد دولة ناضجة وقوية وثرية[34].

كما أن الإكتشافات الأثرية تحدثنا عن قبور مبنية بناءا محكما تحوي أثاثا راقيا جاء معظمه من أيونا و"كورينث" وصقلية الإغريقية و مصر وإترووريا.

ورغم أن القرطاجنيين كانوا يشترون السلع والبضائع من كل مكان إلا أن فنونهم ظلت مستوحاة من بلدهم الأصلي ومصرعليغرارأسلافهم.

ولاغرو فإن العلاقات المتينة في الألفية الثانية بين "بيبلوس" و"أوغاريت" ومملكة الفراعنة كان من نتائجها تبني الفينقيين و أسلافهم لعادات وتقاليد أصلها

34 - CHARLES PICARD : vie quotidienne à CARTHAGE P18

من بلاد النيل. ويتبين مدى هذا الترابط من آثار الألفية الثالثة التي اكتشفها العالمان دومان ومونتي في «بيبلوس» والأستاذ شيفر في "رأس شامرا"[35].

لكن هذا الترابط بدأ يتقلص تحت تأثير (بلاد مابين النهرين) ومنطقة جنوب اليونان بالقرب من بحر إيجة، وهو أمر طبيعي نظرا للمكانة المرموقة التي بدأت تحتلها الحضارة اليونانية منذ القرن السادس قبل الميلاد رغم النزاعات بين الإغريق والقرطاجنيين في صقلية. وتحدثنا الروايات التاريخية عن ملوك قرطاجنة الذين قادوا الجيوش في صقلية. ورغم أننا لا نعرف كيفية اختيارهم إلا أن الظاهر أنهم كانوا ذوي نفوذ قوي وحزم كبير.

في عام 409 قبل الميلاد اغتنمت الحكومة القرطاجية ضعف أثينا عقب فشل محاولتها احتلال صقلية، فوقعت بينهما حرب ضروس[36] استمرت قرنا كاملا، وفي عام 397 ق.م منيَ هيميلكون الماجوني"[37] بهزيمة منكرة نجم عنها قيام ثورة سياسية قصت على النظام الملكي، ومن ثمة انتقلت السلطة إلى الأرستقراطية التي استبدت بالحكم طوال قرن ونصف في ظل نظام حكم القضاة المائة.

إن الإصلاح الديني الذي جرى في قرطاجة جعل «تانيت» في المرتبة الأولى كآلهة أولى في المدينة بعدما كان يتصدرها في السابق " بعل حمون" حامي الإمبراطورية الآفلة[38].

لكن الحرب ظلت مستمرة في صقلية، وزرعت الجيوش القرطاجية الدمار في المستعمرات الإغريقية جنوب الجزيرة، غير أن "ديروس دي سيراكوس"Syracuse Deruys de استطاع بعد مقاومة شديدة أن يحافظ على الوجود اليوناني، وفي نهاية

35 - نفس المرجع ص 18.

36 - نفس المرجع ص 18.

37 - بحار قرطاجني (عاش حوالي 450 قبل الميلاد) واكتشف شواطئ أوروبا إلى غاية إيرلندا.

38 - فيما يخص المؤلفات التي تناولت ديانة القرطاجنيين راجع مقال الأستاذ SZNYCER أساطير و آلهة الديانة الفينيقية في مجلة ARCHEOLOGIE فبراير 1968 ومؤلفات ستيفان جزيل G.C.PICARD'les religions de ʕafrique antiqueو

القرن الرابع قبل الميلاد قام "آكاثوكل" وهو أحد خلفائه بشن هجوم مضاد على إفريقيا كاد أن يؤدي إلى تدمير قرطاجة.

على أن العلاقات التجارية رغم هذا الصراع العنيف ظلت مستمرة ومنذ نهاية القرن الخامس رأت قرطاجنة نفسها مضطرة إلى إحتضان حضارة هؤلاء الإغريقيين الذين طالما حاربتهم.

إن سنة 396 قبل الميلاد التي شهدت بداية عبادة لإلاهتين إغريقيتين هما (ديميتر) إلهة القمح و(كور) إلهة المنى لتشكل منعطفا حاسما في تاريخ قرطاجة الثقافي. ثم إن إنشاء الإسكندر إمبراطورية إغريقية مهيمنة على المشرق كله بين عامي 334 ق م و323 ق م ألزم الفينقيين الغربيين بتغيير سياستهم وإعادة النظر في مواقفهم من العالم القديم الذين يعيشون حوله. فالعزلة والعدوانية كانتا تعنيان بالنسبة للقرطاجيين على المدى القصير الخراب الإقتصادي والفشل السياسي، والدليل على ذلك بعثة "آكاثوكل" التي شارك فيها مرتزقة ماسيدونيون و جعلهم يلمسون عن كثب الخطر الذي يتهددهم، لذلك حرصت الحكومة القرطاجنية على التقرب من اليونانيين وأقامت علاقات مع تارنت TARENTE والمملكة الفرعونية المصرية. ثم إن إنحطاط الإغريق أتاح لقرطاجة فرصة احتلال الصف الأول ضمن الدول القوية آنذاك. لكن روما سرعان ما نازعتها هذه الهيمنة فبعدما كانت روما بلدا زراعيا بحتا صارت في منتصف القرن الرابع والثلث الأول من القرن الثالث تعمل على إحكام سيطرتها على الموانئ الإغريقية في إيطاليا الجنوبية[39]، ودفعها ذلك دفعا إلى التدخل العسكري في صقلية وأحكمت قرطاجة قبضتها على كل الجزيرة.ومن ثمة اندلعت الحرب البونية الأولى (263 ق م – 241 ق م) رغم انهزام القائد الروماني ريغولوس.

---

39 – تتفق رواية "فلوبير" مع قصة "بوليبيوس" (وهو مؤرخ إغريقي) الذي كان صديقا لـ "سيبيون" الذي شارك في صفوف الرومانيين أثناء الحرب القرطاجنية الثالثة. و يتحدث كتاب بوليبوس عن التاريخ العام لعالم المتوسط من 220 إلى 167 قبل الميلاد بطريقة علمية.

لم يكن فقدان صقلية خطيرا وذا شأن بالنسبة للأسطول البحري القرطاجي والميزانية العامة لولا تلك الأزمة الإجتماعية الرهيبة التي أعقبت الهزيمة، فقد تمرد المرتزقة وطارت معهم الطبقات الفقيرة في الأرياف الإفريقية. إنها حرب لا ترحم التي استوحى منها (فلوبر) روايته الشهيرة (صالمبو) Salambo وهكذا تدهور النظام الأرستقراطي القرطاجي مس كل الميادين.

غير أن ما أنقذ قرطاجنة هي تلك الثورة الجديدة التي قام بها " أميلكار باركا " الذي أنشأ على غرار الإسكندر إمبراطورية عسكرية في إسبانيا وبقى زعيمها المطلق من 228 قم إلى 219 ق م وبعد موته اكتسح «حنيبعل» شبه الجزيرة الإيبيرية إلى أن وصلا إلى نهر «ابرى» وجعلا منها امبراطورية في غرب المتوسط تتشابه مع نمط البلاد اليونانية من حيث نظامها وحضارتها[40] ولم تفطن روما للخطر إلا بعد أن أخطرها أغريق مارسيليا و«أمبورياس» بأن القرطاجنيين على الأبواب، غير أن «حنيبعل» كان يخطط اعتمادا على القوة البشرية السلتية لسحق أعدائه وإخضاع إيطليا لحكم قرطاجة بعد القضاء على الهيمنة اللاتينية في (218 ق م). ونجح «حنيبعل» في المرحلة الأولى لخطته، لكنه فشل في المرحلة الثانية رغم انتصاراته في "ترازيمان" و"كان" (217 ق م – 216 ق م) ولعل ذلك يرجع إلى عدم إخلاص الملكين اليونانيين فيليب الخامس و"هيرون ديسيراكوز" في تحالفهما مع القرطاجنيين وعدم إلقاء كل ثقلهمافي المعارك، فانتهزت روما فرصة تفرق الجيوش المعادية وقتما كان "حنيبعل" محصورا في إيطاليا، وغزا القائد الروماني "سيبيون" إسبانيا بين عامي 210 ق.م و206 ق م.

واستعمل هذا القائد الروماني ضد قرطاجة طريقتها نفسها إذ استمال لصالحه نمو وتصاعد الروح الوطنية لدى الليبيين، فبعض قبائل التل والنوميديين شكلوا منذ القرن الرابع ق.م ممالك صغيرة تابعة لقرطاجة. وهكذا استغل "سيبيون" مواهب وطموح ملك نوميدي هو "ماسينيسا" الذي كانت مملكته تتحكم في تونس كلها تقريبا من الناحية الإستراتيجية.

---

40) - G. CH PICARD HANNIBAL P 280 PARIS 1967.

والواقع أن مصير دول حوض المتوسط بات متوقفا على نتيجة الصراع بين ماسينيسا وخصمه "صيفاقس" أما "سيبيون" فقد تفرغ لحنيبعل الذي انهزم أمامه تحت جدران العاصمة الماسيلية "زاما" سنة 207 ق.م إن هذه الهزيمة جعلت قرطاجنة تحت رحمة روما، وما ربع القرن الذي بقي لها أن تعيشه إلا بمثابة احتضار طويل .ولما أدركت أنها لا تستطيع أن تعتمد على نفسها سلمت مقاليد الأمور إلى "ماسينيسا" الذي بات يتحكم في مملكة إفريقية كبيرة لها من القوة ما يقلق روما التي حاصرت قرطاجنة ثلاث سنوات كاملة كانت كافية لاستنفاذ قواها فحطمت جدرانها وجعلوا سكانها رقيقا في 146 سنة قبل الميلاد.

الأهمية الإقتصادية لمدينة قرطاجنة

سنتحدث فيما بعد بإفاضة عن الحياة السياسية لقرطاجنة أما الآن فينصب على الحياة الإقتصادية لمدينة قرطاجة التي يمثل فيها الإقتصاد وخاصة التجارة عصب الحياة .ولو سئل إغريقي أو روماني آنذاك عن رأيه في القرطاجني الأصيل لتبادرت إلى ذهنه صورة تاجرلاغير؛ فإلى التجارة يرجع الفضل في ثراء قرطاجة التي عدت آنذاك أغنى مدينة في العالم .ومع ذلك لم تخلف التجارة سوى آثار نادرة، مع العلم أن قرطاجة لم تصك العملة قبل بداية القرن الثالث[41] قبل الميلاد.

على كل حال لم يحظ تاريخ تأسيس قرطاجة المألوف 813 ق م/814 ق.م الذي أوردته المصادرالأدبية الإغريقية والرومانية بتأييد جميع المؤرخين المعاصرين، فكون موضوع جدال متشعب بين مؤيدين ورافضين منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريبا، وتتمثل المسألة خاصة في التناقض بين المعلومات المأخوذة من النصادر الأدبية وبين المعطيات الأثرية ،فإذا كانت أهم النصوص تدعي أن قرطاجة تأسست في أواخر القرن التاسع ق.م فإن أقدم اللقى التي عثر عليها قبل سنة 1987[42] تعود إلى

41 - WARMINGTON BH Histoire et civilisation de Carthage Page 181.

42 - أنضر أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، ص9، المعهد الوطني للتراث تونس 1993 والمجمع الوطني التونسي للعلوم والداب والفنون، بيت الحكمة .

الربع الأخير من القرن الثامن ق.م أو إلى منتصفه حسب معظم المختصين في علم الفخار فنتج عن ذلك ظهور نظريتين متناقضتين بصفة عامة فالنظرية الأولى تعتمد وتعتقد في الشهادات الأدبية، بينما لا تعتبرالأخرى أي النظرية الثانية فهي تعتقد في المعطيات الأثرية وتقترح إنزال تاريخ تأسيس قرطاجة إلى ما تمليه آثار الموقع[43].

ولقد شعب القالب الأسطوري لقصة تأسيس قرطاجة هذا الموضع لأنه جعل أننا لا نعرف بداية تاريخ هذه المدينة، هذا مع العلم أن المصادر الأدبية المتعلقة بتأسيس قرطاجة هي عبارة عن مقتطفات تنقصها المستندات وينحدر أهمها من مصدر واحد يصعب إقرار مصداقيته، ثم لم تقنع الدراسات القليلة لأقدم لقي قرطاجة (أوان فخارية) جل المختصين، كما لم يعثر إلا على وحدات أثرية لا تتجاوز القرن الثامن ق.م من مواقع المستوطنات الفينيقية من غرب حوض البحر المتوسط، سواء من صقلية أو من إسبانيا[44].

إن تأسيسس قرطاجة من خلال النصوص الأدبية فيمكن توزيع الشهادات الأدبية إلى ثلاث أواع :

النوع الأول: ويتزعمه فيلوس السرقوسي الذي يأتي في المرتبة الولى، وهو إغريقي عاش في القرن الرابع ق.م، وأرخ تأسيس قرطاجة قبيل حرب طروادة من لدن شخصين أزرس وكركيدون، وقد اتبعه في ذلك أودقسوس وأبيانوس[45].

النوع الثاني: واستند فيه المؤرخون إلى تيميوس وهو مؤرخ إغريقي من القرن الرابع ق.م الذي أورد أن قرطاجة وروما لتا في السنة 38 قبل الأولمبياد وقد اعتمد معظم المؤرخين على هذا التقدير في تواريخهم لأحداث العاصمة البونية.

النوع الثالث: ويمثله أفليوس يوسيفوس وهو مؤرخ يهودي عاش في القرن الأول الميلادي اعتقد أن قرطاجة أنشئت في العام السابع لحكم بجميليون ملك صور،

43 – نفس المرجع ص9.

44 – نفس المرجع ص 11.

45 – نفس المرجع ص 11.

وقد استقى معلوماته من ميناندروس الأفسسي الذي قد يكون اطلع على الحوليات الملكية لمدينة صور[46].

وهناك عدة فرضيات حول تأسيس قرطاجة، منها فرضية أو إفتراض ميلتزر الذي يرى أن التاريخ الذي قدمه تيميوس 813 ق م – 814 ق م مشكوك فيه وغير مدعم، كما زعم أن هذا المؤرخ قد خلط عند محاولته تفسير أسطورة تأسيس قرطاجة بين بجماليون (أحد آلهة قرطاجة) وبين بجمياليون ملك صور الذي عاش في القرن 9 ق.م فأدى هذا الخلط إلى وضع التاريخ المتداول بيننا لتأسيس قرطاجة، لكن اعتبار بيجماليون كان إلاها من قرطاجة يبدو أمرا غير مؤكد، فقد ورد هذا الإسم في نقيشة واحدة (مدونة 6057).

على كل حال لم يحظ تاريخ تأسيس قرطاجة المألوف 813 ق م/814 ق.م الذي أوردته المصادر الأدبية الإغريقية والرومانية بتأييد جميع المؤرخين المعاصرين، فكون موضوع جدال متشعب بين مؤيدين ورافضين منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريبا، وتتمثل المسألة خاصة في التناقض بين المعلومات المأخوذة من المصادر الأدبية وبين المعطيات الأثرية، فإذا كانت أهم النصوص تدعي أن قرطاجة تأسست في أواخر القرن التاسع ق.م فإن أقدم اللقى التي عثر عليها قبل سنة 1987[47]. تعود إلى الربع الأخير من القرن الثامن ق.م أو إلى منتصفه حسب معظم المختصين في علم الفخار فنتج عن ذلك ظهور نظريتين متناقضتين بصفة عامة فالنظرية الأولى تعتمد وتعتقد في الشهادات الأدبية، بينما لا تعتبرالأخرى أي النظرية الثانية فهي تعتقد في المعطيات الأثرية و تقترح إنزال تاريخ تأسيس قرطاجة إلى ما تمليه آثار الموقع[48].

---

46 – نفس المرجع أحمد الفرجاوي ص 11، و قد ذكر لنا أحمد الفرجاوي المرجع الألماني:

o.Meltzre Geschichte der Karthager TI,Berlin 1879 P28-29.

47 – أنظر أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، ص: 9. المعهد الوطني للتراث تونس 1993 والمجمع الوطني التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة.

48 – نفس المرجع، ص: 9

ولقد شعب القالب الأسطوري لقصة تأسيس قرطاجة هذا الموضع لأنه جعل أننا لا نعرف بداية تاريخ هذه المدينة، هذا مع العلم أن المصادر الأدبية المتعلقة بتأسيس قرطاجة هي عبارة عن مقتطفات تنقصها المستندات وينحدر أهمها من مصدر واحد يصعب إقرار مصداقيته، ثم لم تقنع الدراسات القليلة لأقدم لقي قرطاجة (أوان فخارية) جل المختصين،كما لم يعثر إلا على وحدات أثرية لا تتجاوز القرن الثامن ق.م من مواقع المستوطنات الفينيقية من غرب حوض البحر المتوسط، سواء من صقلية أو من سردينيا أو من إسبانيا[49].

وبما أنه كان لقرطاجة وروما أرشفة قد تكون احتوت على تواريخ تأسيسها رغم أن هناك ادعاء وهو غير صحيح يعتقده لاكور Laqueur حيث يرى أن الكتاب الإغريق و الرومان ذهبوا في عصر تيميوس، تحت تأثير الحرب الأولى بين هاتين المدينتين إلى اعتقاد بأنهما أسستا في فترتين متقاربتين[50].

ولقد تبنى أ. افريوزل هذا الإدعاء مضيفا أن هؤلاء الكتاب رأوا أن إنشاء قرطاجة كان أقدم لأنهم استقوا معلوماتهم من مصادر بونية، ثم إنهم عاشوا في عصر بعيد عن عهد تأسيس هذه المدينة[51].

ويرى كربنتار - صاحب دراسة الفينيقيون في الغرب بالإنجليزية R.CARPENTER,Phoenicians in the west, dans ATA,62.1958.P:37 - أن وجود تارخين لتأسيس قرطاجة الأول 813 ق.م - 814 ق م الناتج عن تيميوس و751 ق م - 752 ق.م الذي قدمه أبيونس، استنتج أن هذين التاريخين نتجا عن كتابات هوميريوس حول الفينيقيين ومع هذا فإن كربنتار لم يدعم افتراضه، ومن جهة أخرى فإن هذين التاريخين غير متناقضين، ولقد كان أبيونس يعتقد أن تأسيس قرطاجة وروما حدث في نفس الفترة، وهناك تناقضات حول شخصية عليسة في المصادر الأدبية القديمة تنقص من قيمة التاريخ المتداول 813 ق.م - 814 ق م لكن هذه التناقضات لا تعتبر في حقيقة الأمر مهمة.

---

49 - نفس المرجع، ص:11.

50 - أحمد الفرجاوي نفس المرجع ص13/ و أنظر أيضا : Laqueur timaios dans Reacol1079

51 - نفس المرجع/أنظر أيضا :

E.Frewouls.une nouvelle hypothese sur la fondation de carthage dans Bch 79-1955.P:161.

وهناك قسم آخر من المؤرخين يروي أن الأميرة عليسة شقيقة الملك بيجماليون قد تكون أسست قرطاجة،و لم يبين أي أحد من المؤرخين المعاصرين أن التاريخ المتداول لتأسيس قرطاجة هو من صنع تيميوس،كما أنه لم يقع إثبات اعتماد هذا التاريخ على شهادات تاريخية صحيحة.

ونظرا لإتلاف مؤلفات تيميوس ما عدا بعض المقتطفات، فلا نستطيع في نظر ج.بيكار[52] إثبات صحة تاريخ تأسيس قرطاجة لأننا لا نعرف مصدره، ويجب حسب هذين الكاتبين، إصلاح العديد من التقديرات التي قدمها بعض المؤرخين القدامى، لكن جهلنا بمصدر هذا المؤرخ لا يؤدي إلى القدح من صحة شهادته ولا سيما أن المؤرخين الذين جاءوا بعده اعتمدوا عليه في تقديراتهم عند وضعهم للجدول التاريخي لمدينة روما، وهذا يؤكد الثقة التي كان يحظى بها لديهم[53] ويرى ستيفان قزال أن هناك قرائن عديدة تؤكد مصداقية هذا التاريخ لأنه يصعب التصور أن تيميوس اصطنع هذا التاريخ إذ أنه عاش في صقلية وقد يكون على علم بتاريخ أكبر منافس للإغريق.

وكان لقرطاجة حوليات رسمية وأرشفة منظمة وتبين بعض الجزئيات لأسطورة أحداث قرطاجة أن المؤرخين الإغريق والرومان كانوا على اطلاع على العالم الفينيقي والبوني مثل الإشارة إلى عبادة الإله هرقل (ملقرت) في صور والبغاء المقدس في جزيرة قبرص وأقدمية مدينة أوتيكا بالنسبة إلى قرطاجة و دفع ضريبة للوبيين من قبل قرطاجة[54].

ويمكن الشك في خطأ واحد نابع من تقديرات تيميوس ذاته أو المتعلق بالمصدر المعتمد عليه وهوالإعتماد علىالأولمبياد في تقدير تاريخ إنشاء قرطاجة لأن الأولمبياد حددت بصفة اصطناعية[55].

---

52 -C ET G. Charlio Picard vie et mort de Carthage paris 1970 p 30.

53 – انظر احمد الفرجاوي بحوث العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة ص14.

54 – نفس المرجع احمد الفرجاوي ص 15.

55 – نفس المرجع ص 15.

على كل فإن الإنتقادات التي ذكرها المؤرخون المعاصرون للتاريخ المتداول لتأسيس قرطاجة ضد شهادة تيميوس غير مركزة فأغلبها افتراضات أو مأخذ وإن تاريخ تيميوس المتعلق بنشأة قرطاجة 813 ق م– 814 ق م يوافق معطيات أثرية مستمدة من موقع قرطاجة.

شهادة اللقى الأثرية حول موقع قرطاجة و تاريخ تأسيسها

كما هو معلوم عثر في سنة 1920 على لقى أثرية قديمة في قرطاجة أصبحت فيما بعد المستند الأساسي لتاريخ إحداثها واستخرجت في الأعوام القليلة الماضية قطع أخرى ستساهم في حل مشكلة تاريخ نشأة قرطاجة وجدت اللقى الأولى في هيكل غير مغطى أطلق عليه اسم توفاة وهي كلمة عبرية منقولة عن التوراة لم يدقق معناها ويستحسن تسمية هذا المعبد بالبونية قادش[56] (قوادش) أي المكان المقدس كما ذكر ذلك في نقيشة مستخرجة من هذا المعبد الذي كانت تقدم فيه القرابيين تبرعا للإله بعل حمون والإله تانيت[57].

ولم تذكر تقارير الحفريات الأولى لهذا المعلم العلاقة بين تاريخي هذه الأواني وتأسيس قرطاجة إلى حدود سنة 1950 حيث نشر ب دومارني عرضا لكتاب ب سانتاس الفخار البوني وقد أرخ هذا المؤلف القطع الفخارية وبداية استعمال الهيكل في بداية القرن الثامن ق.م أي فترة إنشاء قرطاجة[58] حسب الشهادات الأدبية لكن أرجع ب دومارني هذه الأواني إلى الربع الأخير من القرن الثامن ق.م والجرة الشرقية الأصل إلى النصف الثاني من هذا القرن مؤرخا بذلك استعمال المعبد بين 725 ق م – 700 ق.م لكنه لاحظ غياب أية علاقة بين عهدي بناء المعبد وتأسيس قرطاجة لعدم وجود لقى إلى موفى القرن التاسع ق.م وقد أدى هذا العرض إلى

56 – نظر أحمد الفرجاوي بحوث العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة ص 17.

57 – نفس المرجع ص17.

58 – نفس المرجع ص18.

رفض التاريخ المعهود لنشأة العاصمة البونية اعتمادا عليالشهادات الأدبية وتاريخها طبقا للمعطيات الأثرية أي في الربع الأخير من القرن الثامن أو في منتصفه على أقصى تقدير[59].

ولكن هذا التيار الفكري الذي يعتمد اللقى الأثرية في تحليله لا يصمد أمام النقد لضعف مستنداته وقرائنه فالحجة الأولى التي يقدمها غياب كلي للأشياء المؤرخة في نهاية القرن التاسع تعد هشة لأننا نجهل ما ستكتشفه الحفريات في المستقبل ثم أننا لسنا متأكدين أنناوصلنا إلى أسفل طبقة لمعبد حامون وتانيت أو استوفيناها لعدم انتهاء أشغال الحفريات.

وجرى تاريخ تأسيس قرطاجة اعتمادا على الفخار الإغريقي الذي وجد في موقع قرطاجة حيث عثر على شقفات صغيرة لفخار الذي قد يكون صنع في قرطاجة وتعود هذه الأواني حسب م.فيجاس إلى الربع الثاني والثالث من القرن الثامن ق م.ويوجد فخار ذو طابع شرقي في الطبقة الأثرية الأولى للمعبد بجانب القطع الفخارية الإغريقية أو المنتمية إلى هذا النوع وقد تغافل عنه معظم أنصار تاريخ قرطاجة الذين يعتمدون على المعطيات الأثرية[60].

وقد اختار ب سانتاس عينات شرقية ليقارنها بالقطع البونية واعتمادها في تاريخه وما تمكن ملاحظته أن تاريخ هذه العينات يمتد فترة طويلة تناهز القرن في بعض الأحيان[61].

ويتبين بنا من خلال هذه الدراسات أننا لا نعرف كما ينبغي لحد الآن تاريخ صنع هذا الفخار ولا أصوله فلا نستطيع إذن تدقيق تاريخ الطبقة التي استخرج منها ولا تاريخ بداية استعمال الهيكل ولا معرفة تاريخ إحداث قرطاجة انطلاقا من هذا الفخار يفند الإفتراض الذي يؤرخ بناء الهيكل اعتمادا على الأواني ذات الطابع الإغريقي وينبئنا أنه في حوالي سنة 750 ق.م.

59- نفس المرجع ص 18.

60 – نفس المرجع أحمد الفرجاوي ص22.

61 – نفس المرجع ص 22.

كانت لقرطاجة علاقات تجارية تربطها بالشرق الفينيقي وعلاوة على ذلك عثر على مقبرة بونية مع أثاث جنائزي يعود إلى القرن 8 ق.م.

بعد التعرض للشهادات الأدبية والمعطيات الأثرية المتعلقة بتاريخ إنشاء قرطاجة هل نستطيع توضيح ظروف تأسيسها؟[62]

في الواقع ليس في حوزتنا من الوثائق التاريخية سوى القصة التي تروي هذا الحدث وهي قصة عليسة مؤسسة قرط حدشت التي أوردها تيميوس وميناندروس الذي أخذ عنه افليووس يوسيفوس وكذلك ورجليوس و يوستنوس الذي يبدو أنه اورد هذه القصة كاملة ولهذه القصة علاقة بالأسطورة إذ أن بعض جزئياتها مثل ذكر الخدم وبعض أعضاء مجلس الشيوخ لمدينة صور الذين رافقوا عليسة في رحلتها يبين تأثيرا رومانيا مع إنشاء مجلس شيوخ ومجلس شعب حسب التصور الروماني.

إذا كانت هذه القصة لا تفيدنا بشيء ملموس عن ظروف إحداث قرطاجة فجوهرها يسمح بإبداء ملاحظتين:

1) كانت قرطاجة في بداية عهدها قاعدة تجارية تابعة لمدينة صور

2) لقد مر تطورها بثلاث مراحل نتج عنها أولا استقرار[63] الاجئين في أرض صغيرة تكون مركز تجاري تحول إلى موقع تبادل تجاري مع اللوبيين أي الأهالي الأصليين و كأنما مجيء الفينيقيين [64] هذا هو هدفه لا غير ثانيا نلاحظ استقرار بعض السكان للمناطق المجاورة لقرطاجة كنتيجة لتطور التبادل التجاري

تتمثل المرحلة الثالثة والأخيرة تحول مدينة قرطاجة من قاعدة تجارية صغيرة إلى مدينة بعد الإتفاق الذي حصل بينها وبين المحليين وسكان أوتيكا[65].

62 – نفس المرجع ص 27.

63 – نفس المرجع ص28.

64 – نفس المرجع 28.

65 – نفس المرجع ص 28.

إن المعطيات الأثرية الحالية تفيد وجود علاقات تجارية كانت تربط قرطاجة بالشرق الفينيقي من ناحية، والعالم الإغريقي من ناحية أخرى في الربع الثاني من القرن الثامن، وتشهد عليأن تأسيس مدينة قرطاجة حدث[66] قبل تلك الفترة، ولذا فهي تحثنا على أن نثق في التاريخ المتداول 814/813 ق.م أو على الأقل في فترة قريبة منه[67].

والحضور الفنيقي في المغرب الكبير انتشر وتعدد وتنوع وتكثف طيلة قرون حتى أدرك أوجه بتأسيس قرطاجة في نهاية القرن التاسع ق.م أي سنة 814 ق.م العام الآنف ذكره أعلاه وهوتاريخ ضبط على أساس معلومات أوردها القدماء نقلا فيما يبدو عن تيمايوس التاورميني الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد، فكان يستطيع مراجعة المصادر البونيةالشفوية منها والمكتوبة[68]، وتناول ستيفان اكسال النصوص التي تخص تأسيس قرطاج ودرسها درسا نقديا محللا إياها تحليلا دقيقا أملا في الوصول إلى ما قد تحتويه غضونها من عناصر ثابتة تفيد المؤرخ وهو عمل مازال قائما لا يستغني عنه[69].

حاول بعض المؤرخين المعاصرين التشكيك في توريخ نشأة قرطاج مستندين إلى غياب معطيات أثرية تعود إلى القرن التاسع قبل ميلاد المسيح وهو افتراض عماده الصمت أوغياب الوثيقة ومعلوم أن حجة الصمت لاغية لا وزن لها وفي هذا الشأن نجد نظرة سنتاس صاحب كتاب أصول علم الآثار البوني في صفحة 24/22 من المجلد الذي يسير في هذا المنحى الغريب كما يرى دكتور محمد حسين فنطر.

---

66 – يرى أحمد الفرجاوي في المرجع السابق ص 29/ انه تجاوزت معلوماتنا إقتراح ر.روبيفا المتمثل في إعطاء القرن الثامن كتاريخ لحدث تأسيس قرطاجة، لأنه تغافل عن المسالة الأساسية المتمثلة في حصر دقيق لفترة معينة من هذا القرن تم فيها هذا التأسيس/ أنظر لمزيد من التفاصيل

.R.Rebuffat,Notes sur les premiers temps de Cartage.(comte rendu de P.Cintas,: MAP,TI (1970)dans RGA 73,(1971),P:159-175

67 –أحمد الفرجاوي نفس المرجع ص29

68 – أنظر د. محمد حسين فنطر، الحرف و الصورة في عالم قرطاج ص 16 منشورات البحر المتوسط أليف، مركز النشر الجامعي تونس 1999.

69 – نفس المرجع ص 16.

على كل حال فلا أحد اليوم يجرأ على الطعن في التوريخ التقليدي الذي أصبح يحظى بإجماع المؤرخين المعاصرين لا سيما بعد الحفريات التي أجريت في قرطاج ضمن الحملة الدولية التي نضمت بالتعاون مع اليونسكو تحت إشراف المعهد القومي للآثار في تونس[70]. فما انفك ملف قرطاج الأثري يزداد سمكا من حيث الكم والنوع، هذه قبور بونية تعود إلى القرن الثامن ق.م وهي في التوفاة أدرك المعول طبقات نسبت إلى القرن الثامن ق.م، ولا بد من إشارة إلى نتائج حفرية قامت بها بعثة ألمانية خلال السنوات الأخيرة ومن نتائجها كشف الغطاء على أطلال فينيقية على عمق أمتار عديدة تحمل ملامح القرن الثامن ق.م إنها أقدم الوثائق المتوفرة حول فضاء تحرك فيه سكان المدينة كأحياء خارج المعابد والمدافن[71] ولئن لم ترق الوثائق المكتشفة إلى حدود القرن التاسع ق.م فلقد قربتنا من سنة 814 ق.م وأبعدتنا عن القرن السابع الذي اقترحه بعض غلاة النقد لتوريخ مولد قرطاج[72].

مازالت المسافة تفصلنا عن بداية المدينة الحديثة وقد يكون مرد ذلك إلى عدم تعميم الحفريات على كامل المساحة التي غطتها قرطاج البونية ولانرى اليم كيف يمكن التفكير في تعميمها نظرا لزحف العمران وتواضع الإمكانيات المجودة للبحث والتنقيب ثم أنه يعسرالوقوف على أولى خطوات مدينة[73]، فقد تكون بداية العمارة فيها أخصاصا أو أكواخا من طوب أو بنايات أخرى تقام بمواد هشة لا تصمد ولا يستطيع الباحث تشخيص بصماتها .وكم من مستوطنة يقيم فيها المؤسسون أحيانا ويموتون في أوطانهم فلا غرو إذا لم يجد الآثاريون قبور القرن التاسع ق.م فلقد أسست مدينة القيروان سنة 670 ميلاديا ولكن لا يوجد فيها حتى اليوم عنصر أثري واحد يرقى إلى ذلك التاريخ إن أقدم العناصر المتوفرة لا يتعدى في القدم حدود

70- د محمد حسين فنطر الحرف والصورة في عالم قرطاج ص 18 و لمزيد من التفاصيل أنظر
A.Ennabli(edit),pour sauver Carthage exploration et conservation de la cité punique de byzantine UNESCO .INNA .Paris1992.

71 - أنظر نفس المرجع د. فنطر ص 18.

72 - نفس المرجع ص 18.

القرن التاسع ميلاديا فماذا يقال عن قرطاج إذن؟[74]. فمهما يكن من أمر فالنصوص القديمة تتلاقى والوثائق الأثرية لتثبت أن تأسيس قرطاج يعود إلى نهاية القرن التاسع قبل ميلاد المسيح ولا مانع لقبول الرواية التي تثبت أنها أسست قبل الألعاب الأولمبية بثمان وثلاثين سنة أي سنة 814 ق م، فبتأسيس قرطاج تخلى الفينيقيون عن سياسة المصارف الوقتية وتوخوا سياسة جديدة تقوم على المستوطنات والحضور المستديم ودون ما دخول في التفاصيل حول الأسباب والأهداف التي أدت إلى تأسيس هذه المدينة الفينيقية فثابت أن ما صنف حول الأميرة عليسة أقرب من الخيال منه إلى الواقع التاريخي إذ هي قصة خيالية من وحي الواقع شأنها[75]. في ذلك شأن الأساطير عامة على أن الذين أوردوها وتناقلوها لم يترددوا في إثرائها بعناصر اقتبسوها من محيطهم كذلك فعل ورجيليوس[76]. وكذلك فعلبوستينيوس[77] وغيرهما من السابقين واللاحقين.أما الأسباب والأهداف التاريخية التي أنجبت تلك المدينة فقد يستشفها المؤرخ في الأوضاع التي سيطرت في الشرق والغرب مختلفة متزامنة.

إنشاء قرطاجة لمدن على السواحل المتوسطية و الأطلسيـة

أنشأ القرطاجيون المدن والمرافئ التجارية لتأمين تجارة المعادن النافعة أو الثمينة وممارسة الصيد على السواحل الإغريقية والأطلسية للمغرب.

ولعل "الليكسوس" أقدم مدينة لأن تاريخ بنائها يعود إلى القرن الحادي عشر أما "موغادور" بالقرب من الصويرة فقد بنيت جنوبا وفقا للطابع الفينيقي المميز قبل رحلة"حانون" لأن الخزف الذي عثر عليه بها يعود إلى عام 650 ق.م تقريبا ويبدوا أنها على غرار باقي أجزاء أطراف الصحراء كانت مركزا رئيسيا لتجارة الذهب لأنه

73 - نفس المرجع ص 18.

74 - نفس المرجع ص18.

75 - انظر د محمد حسين فطر الحرف و الصورة في عالم قرطاج ص 19.

76 - نفس المرجع ص 19.

77 - نفس المرجع ص 19.

المعدن الوحيد الكفيل باجتذاب القرطاجيين والرومانيين فيما بعد نظرا لوعورة الطرق.وكلما أراد الفينيقيون ربط مركزين رئيسيين اتجه اهتمامهم إلى إنشاء محطات تبعد كل منها عن الأخرى بـ35 كلم وهذه المسافة على أساس الرحلة نهارا بين"روزيكاد" (سكيكدة) و"كولو"(القل) وبين "إكوسيوم" (الجزائر) وتيبازة و بين "يول" (شرشال) و"غونياغو"(غورايا)[78].

وقد كانت شبه جزيرة "رأس بون" هي الأخرى منطقة فلاحية وتجارية متميزة حيث لعبة دورا لا يستهان به في تموين اقتصاد قرطاجنة.

أما على الساحل الشرقي لتونس فقد كانت مدينة "حضر موت" (سوسة حاليا) تصلها الثروات الفلاحية و الرعوية للساحل وتونس الوسطى ولذلك اعتبرت بحق أهم مرفأ على الإطلاق.

إن الآثار التي عثر عليها في منطقة حضر موت وتعود إلى القرن السابع ق.م تدل على قدم هذه المدينة بحيث اعتبرها بعض المؤرخين أقدم من قرطاجة نفسها.

وكلما توغلنا جنوبا تصادفنا مراكز أخرى مثل "لبتيس مينور" (لمطا) و"ثابسوس" (مهدية) و"أشلا" (بوتريا) كانت تتيح للملاحين الذهاب إلى منطقة "سيرتا الصغرى" (خليج قابس حاليا) التي كانت تعد مفتاح الإقتصاد القرطاجي.

المبادلات التجارية بين قرطاجة و الأفارقة

إن العمليات التجارية التي كانت تدر ربحا وفيرا على القرطاجنيين هي تلك التي كانت تتم مع القبائل الإفريقية التي كانت تقدم المعادن الثمينة كالذهب،و الفضة، والقصدير، والحديد مقابل أشياء استهلاكية ضعيفة القيمة مثل النبيذ والثياب الراقية كما تحدثنا بذلك النصوص الأدبية.

وتقوم التجارة الفينيقية على استيراد بعض المواد و إعادة تصديرها ويدخل في هذه العملية جزء من المعادن الذي نحصل عليه من الأفارقة ولا يعرف إن كانت الدولة تتدخل في مثل هذه العمليات.

---

78 - نفس المرجع السابق تلاتلي صلاح الدين قرطاجة البونية ص/ 241-242

وتحدثنا قصة "حانون" بهذا الصدد عن جهود قرطاجة في احتكار تجارة الذهب بغرب إفريقيا حيث أن الخزينة العامة القرطاجية كانت بحاجة ماسة إلى مبالغ معتبرة من الذهب لمواجهة نفقات توظيف المأجورين .

احتكار البحرية التجارية في غرب البحر المتوسط

لم يكن احتكار قرطاجة للملاحة في غرب المتوسط يوفر لها المعادن فحسب بل كان يمثل أيضا مصدرا من مصدر الربح ومن المرجح أن السفن القرطاجنية هي التي أتت بالمنتوجات الإغريقية والمصرية والساردينية والإسبانية التي عثر عليها في شمال افريقيا وبينما ظلت قرطاجة تقاوم للإحتفاظ بهيمنتها على غرب البحر المتوسط كان يسمح للتجار الأجانب أن يمارسوا التجارة في قرطاجة مثل المواطنين القرطاجيين تماما. وجل البضائع التي كانوا يستوردونها كان التجار القرطاجنيون يعيدون تصديرها.

لم يتوان التجارالقرطاجيون عن ارتياد الموانئ الإغريقية وقد استقر بعضهم في "سيراكوزس" عام 398 ق م.كما أن العلاقات التجارية مع "صور" و"مصر" ظلت مستمرة لكن السلع التي كانت تستورد من هذين البلدين بسيطة و ضعيفة القيمة وتجدر الإشارة أن القرطاجنيين كانوا يصدرون أيضا منتوجاتهم الصناعية.

نشأة إقليم قرطاجة

في عام 480 ق.م وجدت الأرستقراطية القرطاجنية نفسها في حاجة إلى بسط نفوذها في افريقيا عن طريق ضم أقاليم جديدة كفيلة بتوفير الثروات الفلاحية والمنتوجات التبادلية لتنشيط التجارة وتعزيز الجيوش بالجنود.

ونحن نجهل كل شيء تقريبا عن كيفية هذا التوسع و مرحلة المتتابعة كما لا نعرف حدود الإقليم القرطاجي في إفريقيا على أن "بيكار" يسوق إلينا بعض التفاصيل عن هذا الموضوع فيورد لنا (أن قرطاجة أشرفت بعقلانية على إدارة الأقاليم الإفريقية التي احتلتها بين القرنين الخامس ق م و الثالث ق.م فقد قسمت

هذه الأقاليم إلى سبع أو ثمان مقاطعات هي أشبه بمناطق طبيعية على رأس كل واحدة منها محافظ أما المدن فكان على اختلافها نظام بلديات مستقلة)[79].

كانت لهذه المقاطعات تسمية "باجوس" مثل باجوس نوكسي NUXSI PAGUS في الشمال و باجوس زوری PAGUSTUSCAE حول "مقطار" وهي تقع كلها شرق فوساريجيا وهو خندق حفره سيبيون الأيميلي بعد تدمير قرطاجة بالإضافة إلى ((الخنادق الفينيقية)) التي تمثل إلى الجنوب والغرب حدود النفوذ الفينيقي في إفريقيا.

شورا- كمنطقة قرطاجية-

إن منطقة "شورا" تمتد من رأس "بون" و كل تونس الشمالية الحالية حتى الأطراف الجنوبية من "دورسال" و تتربع على مساحة 18000 كلم مربع و تضم أرياف التل الغنية و "مجردة" حيث تقع السهول التونسية الخصبة مثل "ماطور"

و بوسالم (سوق الخميس) وجندوبة (سوق الأربعاء) و باجا هذه السهول التي كانت بمثابة ممون مخازن روما من الحبوب.

يقدر ستيفان جزيل سكان (الشورا) بخمسمائة ألف نسمة و لعله قدرهم استنادا إلى العدد الكبير من المدن التي ذكرها المؤلفون القدامى فـ "سترابون" أشار إلى أن منطقة واحدة فقط كانت تضم 300 مدينة و الواقع أن هذه "المدن" في معظمها كانت على غرار تلك التي احتلتها "أكاثوكل" في حملته في رأس بون أي عبارة عن ضياع و قرى صغيرة متفرقة وليست مدنا بالمفهوم الحديث.

---

78 - تلاتلي صلاح الدين : قرطاجة البونية صفحة 116 بالفرنسية.

79 - سترابون ميصشؤئ! جغرافي إغريقي عاش ما بين 58 ق م و 25 ق م تعتبر كتاباته عن الجغرافيا في بداية العصر الروماني مصدرا هام عن الجغرافيا التاريخية أنظر كتابه ص 241 وهو مترجم من الإغريقية إلى الفرنسية عنوانه STRABON, Géographie,: éd. HJ. Jones, coll icob- 1917-1949

ولعل أهم التجمعات التي وصلت إلى مرتبة "المدن" منها "هيبو أكرا" (بنزرت حاليا) و"أوتيكا" (عتيقة) و"كركوان" و"كولوبيا" (قليبية) و"نيابوليس" (نابول) و"فاجا" (بيجا) و"تيغا" و"سيكا" (الكاف) و"ماكتاريس" (ماكتار) ؟ أنظر الخريطة رقم 3 ?بالإضافة إلى هذه الأقاليم الخاضعة لسلطتها المباشرة كانت قرطاجة حاضرة في قواعد حية ومناطق نفوذ واسعة ونجد بعضا من هذه القواعد في تونس الحالية مثل حضر موت أي (سوسة) وليبتيس مينور (لمطا) و"أشولا" و"بوتريا" و"ثابسوس" و"رأس ديما" و"تاكاباس" (قابس) و"سيرتا الصغرى" و"مينينكس" وهي جزيرة اللوتوفاجيين الشهيرة التي ورد ذكرها في ملحمة هوميرو وقد صارت هذه القواعد منذ القرن الرابع قبل الميلاد إحدى ركائز الإمبراطورية القرطاجية من النواحي التجارية والصناعية والفلاحية.

المجتمع القرطاجي

إن المجتمع القرطاجي حضري مدني متفتح متميز بالحركية و التعايش بين مختلف الفئات مع تفاوت يفصل بينهما من ناحية القدرات الاقتصادية والمكانة الاجتماعية والفاعلية السياسية، وكان بمثابة مجتمع مدني ويعني ذلك أن شعب قرطاج كأن يحكم بقوانين يساهم المواطن في بعثها وتكريسها[80].

كان المجتمع القرطاجي منقسما إلى ثلاث فئات هي: المواطنون والأجانب والعبيد فالمواطنون هم الذين يتمتعون بالحرية وبحقوق المواطنة والإسهام في بناء المجتمع والدولة والاضطلاع بالمهام السياسية والإدارية على أساس الثروة والثقافة والمعرفة. ويتصدر الأثرياء هذا الصنف من المجتمع[81] وهم يستندون إلى ممتلكاتهم العينية والعقارية والمالية مما يرشحهم للقيام بدور خطير في مختلف الميادين الإقتصادية والسياسية والدينية والثقافية فهم الذين كانوا يستطيعون بعث

80 - د محمد حسين فنطر، الحرف و الصورة في عالم قرطاج ص 23.

81 - نفس المرجع ص 23.

المشاريع الصناعية والتجارية والزراعية وهم الذين يمتلكون الأساطيل ويجهزونها بضاعة توزع في مختلف الموانئ والأسواق المتوسطية وتكسبهم أرباحا طائلة فيزدادوا نفوذا وهيمنة على دواليب الحكم ففي القرن الثالث قبل ميلاد المسيح تألق نجم أسرة حنون وأسرة عبد ملقرت المعروف باسم أملكاربرقة وإليها ينتمي عبد ملقرت وابنه حنبعل الذي اشتهر بعبقريته العسكرية ورؤيته السياسية والثقافية. ويمثل الحرفيون الصنف الثاني وهم الذين يتعاطون مختلف الصناعات والحرف كالنجارة والحدادة وسبك المجوهرات والحلي، والفخارة، والبناء، وينضم إلى هذا الصنف كل الذين يعملون في البحر أو في المزارع من صيادين وملاحينوفلاحين[82] ممن يملكون حقولا أو بساتين توفر لهم وسائل عيش متواضعة تقيهم شر الخصاصة. ويبدوا أنهم كانوا واعين بدورهم معتزين بحرفهم وقد ينهون عنها كتابة على متن الأنصاب التي يقدمونها قربانا للآلهة[83].

وينتمي إلى هذا الصنف المتوسط الفعال بعض الذين يتعاطون مهنا حرة كالأطباء والمدرسين والمهندسين وبعض الذين يعملون في دواوين الإدارة كالكتبة والساطرين وغيرهم ومن المواطنين من لايملكون سوى قوة عضلاتهم كالجدافين والعتل وعملة المزارع والمصانع والمقالع الحجرية والمناجم وكل الذين يساعدون الحرفيين المختصين، وتتميز هذه الفئة الضعيفة بكثرة العدد وضعف الفعالية، على أنها قد تنضم أحيانا إلى الطبقة المتوسطة فتزيدها قوة ونفوذا في الظروف المتأزمة عند الحاجة[84].

وكان يقيم في مدينة قرطاجة والمدن البونية الكبرى جاليات أجنبية من إغريق ومصريين وأترسكيين وإيبيريين وغيرهم فضلا عن اللوبيين الذين كانوا يغادرون

---

82 - د محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج ص 23.

83 - نفس المرجع ص24.

84 - نفس المرجع ص 24.

قراهم وأريافهم متجهين إلى مدينة تغريهم مفاتنها، فمنهم من يجد عملا في المرسى أو في بعض المصانع وقد ينضم كثيرهم إلى صفوف البطالة والتسكع[85].

أما عن الإغريق والمصريين والأترسكيين فكان بعضهم يقيم في قرطاجة ويتعاطى فيها عملا وكان بعضهم يأتيها للتجارة ولمهمة وقتية وتجدر الإشارة إلى الذين يلجؤون إلى قرطاجة بسبب ظروف سياسية وإجتماعية وقضائية تدفعهم إلى مغادرة أوطانهم على أن هذا المجتمع القرطاجي كان يتميز بالتعايش بين الفئات والتفتح يوفر. للأجانب فرص الإندماج فيه عن طريق المصاهرة والتثقف، فلقد أشار المؤرخون القدماء إلى ضابطين من أصل يوناني كانا تحت امرأة حنبعل[86].

أقبل أبوهما نازحا من سرقوسة واستقر بقرطاج وتزوج قرطاجية أنجبت له طفلين وانصهرت أسرته من نسيج المجتمع القرطاجي[87] فلم تكن الحواجز بين الفئات كتيمة بل كانت نفيذة تساعد من كد و جد على الارتقاء في سلم المجتمع.

وكانت المرأة مؤهلة للإسهام بقسطها في بناء المجتمع وتنشيط الإقتصاد، فتسند إليها الوظائف الدينية وتتعاطى التجارة وبعض الحرف المنزلية كالحياكة وغزل الصوف وشاركت في حروب قرطاج وضحت بأثمن ما لديها في سبيل الوطن[88].

ومن مشاهير قرطاجة صفنيبة وجاء ذكرها لدى المؤرخين القدامى مثل بوليبيوس وتيتوس ليفيوس وديودوروس الصقلي وأبيانوس، وكان لهذه الأميرة القرطاجية دور فعال في الحياة السياسية النوميدية وما اقترانها بسيفاكس ثم ماسينيسا فيما بعد لدليل قاطع على أن النوميدية الشرقية ثم الغربية وهذا ما سنتعرف عليه في مقام لاحق.

85 – د.محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج ص 24.

86 – نفس المرجع ص 24.

87 – د.محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج ص 24.

88 – نفس المرجع ص 24.

عبيد قرطاجة

ولم يخل المجتمع القرطاجي من العبيد مثلما كان قائما في المجتمعات القديمة لأن الرق يعد طاقة لابد منها لتنشيط الإقتصاد[89] فكان للدولة عبيدها كما كان القرطاجي يملك عددا من العبيد ذكورا وإناثا يختلف باختلاف مستوى الثروة والحاجيات.

وكانوا يعملون في المزارع والمناجم ونجدهم في المصانع يساعدون أصحابها ويلحق المحظوظون منهم بالبيوت خدمة للأسرة، يحتفظ العبد في قرطاجة بانتسابه إلى البشر فلقد كان معترفا به كإنسان يتزوج ويقوم بواجباته الدينية وله حق بعض الملكية مما قد يساعده على استرجاع حريته نقدا، فينضم إلى صنف المعتوقين واهتمت قرطاجة بمسائل الرق والعتق فكان الإنتقال من وضعية إلى أخرى يجري طبقا لمقتضيات القانون[90]. والمجتمع القرطاجي بفئاته كان متفتحا وله نشاط وحركة دائبة تتجلى في ضوء النصوص القديمة، ومن خلال ما ورد في النقاش البونية، فله نظام لتعريف الشؤون العامة والخاصة ومؤسسات تعتمد القانون والإنتخاب وتشريك المواطن[91].

الفن القرطاجي من خلال اللقى الأثرية

الفن القرطاجي يمكن أن نستشفه ونتعرف عليه من خلال اللقى الأثرية التي بواسطتها نستطيع استقراء الآثار المكتشفة ورغم الطابع الفني المميز في كثير من هذه اللقى فإنها تعد مادة خام من أجل التعرف على العلاقات بين الصوريين والقرطاجيين والليبيين.

وهناك طابع خاص للفن القرطاجي، ولكن هناك من يرى أنه يوجد تأثيرات شرقية واضحة المعالم خاصة في القرنين السابع قم والسادس ق.م وتقل في

---

89 – د. محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج.

90 – د. محمد فنطر، الحرف و الصورة في عالم قرطاج ص 30.

91 – نفس المرجع ص 30 - 31.

القرنين الرابع ق.م والثالث ق.م وإننا نلاحظ هذه التأثيرات حسبما يراه أحمد الفرجاوي المؤرخ التونسي المختص في العلاقات الفينيقية القرطاجية فيذكر[92] قائلا : أن التأثيرات المشرقية تظهر في :

الفخارفي القرون السابع والرابع والثالث ق.م[93].

وهناك الأقنعة ذات النمط المصري المؤرخة في القرنين 7 و 6 ق.م،

والأقنعة ذات الأسلوب المزدوج الإغريقي- الفينيقي التي تعود إلى نهاية القرن السادس ومنتصف القرن الخامس ق. م وتتمثل التأثيرات الفينيقية في الأيقونات التي تشخص نساء جبليات في القرنين 6 و 5. ق.م[94].

وتوجد أيضا هذه التأثيرات في المناجد والخواتم المتدلية واغمدة التمائم التي تمثل وجه شيطان المؤرخة في القرن السابع ق.م والتمائم الزجاجية التي صنعت في القرن السابع ق.م إلى القرن الثامن ق.م والتمائم، وأغطية التوابيت على شكل إنسان اشتهرت في القرنين الرابع والثالث ق.م، والنقود والأنصاب والعديد من الرموز والزخارف المنقوشة على الأنصاب .

وظهرت النماذج الفينيقية في قرطاجة خلال ظهورها واندثارها في نفس الوقت تقريبا بالشرق وقرطاجة مع العلم أن معظم حلي قرطاجة وقبرص ظهر في مستهل القرن السابع ق.م واندثر في نهاية القرن السادس ق.م واستعملت الأقنعة ذات الطابع المزدوج الإغريقي والفينيقي في فترة تتراوح ما بين القرن السادس ومنتصف القرن الخامس ق.م ونلمس هذه التأثيرات المشرقيةأي الفينيقية في العديد من المستوطنات البونية في حوض الغربي للبحر المتوسط، وتشهد الإستعارات الفنية الفينيقية التي يتضمنهاالفن القرطاجي أن قرطاجة بقيت طوال وجودها على اتصال بوطنها الأم أي فينيقياولم يبق التأثير محصورا في عناصر

92 - أنظر د . احمد الفرجاوي بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ص 108.

93 - نفس المرجع ص 108 - 109.

94 - نفس المرجع ص 109.

بسيطة سهلة المحاكاة كالرموز والزخارف، بل تجاوزتها لتشمل جزئيات التقنية والأسلوب والتصور الفني، فبقيت الأعمال الفنية القرطاجية بمثيلاتها الفنيقية رغم أنها كانت تحتوي على خصوصيات وابتكارات تعطيها ميزة خاصة وهناك بعض خصوم قرطاجة ادعوا بدون حرج أن القرطاجيين كانوا عاجزين على إدراك الجمال،ومعنى أنه لم يكن لهم حس فني[95]. ولكن الحال أوالواقع من خلال الوثائق الأثرية بين عكس ذلك فيرى الدكتور فنطر، قلت يرى د. فنطر[96] أن البحث عن الجمال والعمل على زخرفة المحيط وجعله جذابا أنيقا وترتاح إليه النفوس، وهي نزعة بونية نلمسها في العمارة السكنية، وفي العمارة الدينية، وفي قطاعات أخرى عديدة كالنحت والمثالة والحفر والزبرجة والصاغة وغيرها في ميادين الصناعة والفنون.

ولكن الحال أوالواقع من خلال الوثائق الأثرية بين عكس ذلك فيرى الدكتور فنطر، قلت يرى د. فنطر(96) أن البحث عن الجمال والعمل على زخرفة المحيط وجعله جذابا أنيقا وترتاح إليه النفوس، وهي نزعة بونية نلمسها في العمارة السكنية، وفي العمارة الدينية، وفي قطاعات أخرى عديدة كالنحت والمثالة والحفر والزبرجة والصاغة وغيرها في ميادين الصناعة والفنون .

---

95 - هذا ما يتصوره المؤرخ الفرنسي ستيفان قزال الذي يذكر أن قرطاجة كانت مصابة بالعقم الفني وعلى أساس أن الإنتاج القرطاجي ماهو إلا نقل مباشر لإنتاج جمالي مستورد من الإغريق و الرومان و فينيقيا ومصر الفرعونية ويواصل قزال أن الأشكال الفنية الميتوردة تم نقلها ولكن يهل أصلها بالضبط؟ و هنا يظهر تناقض منظور قزال في هذا الشأن لمزيد من التفاصيل لا بد من الإطلاع على ما أورده قزال في كتابه: Histoire ancienne de l'afrique du Nord Tome IV ,P:106-108 ET 220 وعلاوة على ردود د. فنطر الذي يفند مزاعم قزال لابد من العودة إلى كتاب صلاح الدين تلاتي وعنوانه قرطاجة البونية بالفرنسية TLATLI SLAH Eddine,La Carthage punique,p163,164,165,166,167 هذا المؤلف التونسي يدافع عن أصالة القرطاجيين في ميدان الإبداع الفني، و لو أن البحث المقدم من قبل دكتور محمد حسين فنطر أكثر حياته لعلم الآثار البوني كحفريات كركوان مثلا بينما الثاني ليس عالم آثار و لا مؤرخ مختص في الدراسات القرطاجية و هنا يكمن الفرق.

96 - أنظر د . فنطر، الحرف و الصورة في عالم قرطاج ص 160 اليف منشورات البحر الأبيض المتوسط مركز النشر الجامعي تونس 199.

والملف الخاص المتعلق بالنحوت القرطاجية (أي النحت القرطاجي) كمظهر فني رائع يبين إبداع القرطاجيين في هذا المضمار نلاحظ انه يزداد سمكا وغزارة بما ينضاف إليه من وثائق وشواهد تمن الحفريات بها في مختلف بقاع العلم القرطاجي في افرقية وصقلية وسردانيا وجنوب اسبانيا وتتمثل بعض هذه المعلومات في نقائش تشير إلى صور إلهية أهداها قرطاجيون أو من دان بدنياتهم، وإلى جانب النحت والحفر ساهمت الأرض بطينها لسبك صور تتباين أشكالها وأحجامها وألوانها[97] وتتميز بوفرتها أخرجت من غرف جنائزية أو من بيوت أقيمت للعبادة إنها دمى ونقوش وأقنعة كلها من طين مفخور سبكت بالقالب يمكن نشاهد نماذج منها في العديد من متاحف المغرب العربي اليوم وفي متاحف سردانيا وصقلية واسبانيا. (وفي إطار المخبر سوف نعمل على البحث في هذا التراث الفني البوني الكبير الموجود في هذه المتاحف العالمية).

ولع حنبعل بالتماثيل

وكان أثرياء القرطاجيين وهواة الفن عندهم يملكون التماثيل على غرار حنبعل البرقي وقد توفرت لديه مجموعة شهيرة تحدث عنها المؤرخون، فمن روائع النحت التي أحبها القائد القرطاجي تمثال صغير برونزي من سبك النحات اليوناني لوسبوس يصور الإله ملقرت، ومعلوم أن الأبارقة كانوا ممن يتقربون إليه ويحتمون، فكان حنبعل يملأ محيطه بالحضور الإلهي ويقال إن التمثال كان على مكتبه في البيت وقد انبهر بجمال التحفة شاعران لاتينيان عاش كلاهما في عصر الأمبراطور دومقيانوس خلال القرن الأول وممن أشاروا إلى تماثيل كانت ملكا لحنبعل تجدر الإشارة إلى قرنليوس نيبوس الذي أورد هذه الرواية[98].

97 – نفس المرجع ص 121.

96 – أنظر د. فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج ص 160 اليف منشورات البحر الأبيض المتوسط مركز النشر الجامعي تونس 199.

98 – نفس المرجع د. فنطر ص 166

أدرك حنبعل جزيرة أقريتش وحل بها كان معه مال كثير وشاع الخبر في الجزيرة، فأوجس الرجل خفية والتجأ إلى حيلة تقيه شر الجشع أخذ أزيارا وملأها رصاصا غطاه ذهبا وفضة وأودعها في معبد الإلهة ديانة بحضور أعيان الإقرتشيين متظاهرا بوضع أمواله تحت رعاية المواطنين في المدينة، وتمكن من مغالطتهم[99] ثم أخذ تماثيل من برونز كانت ضمن أمتعته فملأها بما كان لديه من مال وتركها في فناء بيته أما سكان جرتونة فقد أقاموا حراسة يقضة قرب معبد الإلهة ديانة و لكن لا لصيانته من السرقة بل لمنع حنبعل من استرجاع الوديعة خفية والإنصراف بها[100].

فما هي تلك التماثيل المشار إليها في رواية قرنليوس نيبوس؟ فهل هي روائع من سبك نحاتين من ذوي الشهرة؟ الأرجح أنها كانت صغيرة الحجم خفيفة الوزن. مما يسر لحنبعل أخذها ضمن أمتعته. وما من شك أنها تختلف حجما ووزنا عن التمثال الرخامي الذي اكتشفه آثاريون إيطاليون في جزيرة مطوة ونسبوه إلى عبد ملقرت الماجدوني.وهو من الذين كانوا بالجزيرة[101] خلال القرن الخامس قبل ميلاد المسيح ويعتقد الإيطالي فنشنسو توسا أن التمثال يصور فتى كان على متن عجلة. فهل لتحفة مطوة علاقة بالمباريات الرياضية وسباق العربات على وجه الخصوص؟ فهل يدخل ضمن التماثيل البطولية؟ إن هيئة الفتى وحركاته وأساريره تحكي ملامح البطل في الفن اليوناني فهل يمكن اعتبار التمثال عملاقنيا طلبته السلطات البونية أو طلبه بعض الأثرياء من نحات يوناني شهير ممن كانوا على الساحة في القرن الخامس ق.م قد يكون؟ وأيا كان الأمر فتنسيقا بين التمثال ومحيطه البوني، أخلع النحات على البطل زيا بونيا يتركب من كتانة نسيجها

---

99 - هذه الرواية أوردها د. فنطر في كتابه سالف ذكره الحرف والصورة في عالم قرطاج ص 166 اعتمادا على Comelius Népos,Hanibal.

100 - نفس المرجع د. فنطر ص 166.

101 - نفس المرجع ص 166.

رهو ناعم ومن صدرية سبائبها عديدة تشدها أبازيهم، ومهما يكن مصدره ومهما تكن أسباب حضوره في مطوة، فهو تمثال يجسد حوارا ثقافيا بين العالم القرطاجـي والعالم اليوناني ويمكن اعتباره وثيقة تضاف إلى أخرى عديدة تثبت وجود مجموعات من الروائع اليونانية، يملكها قرطاجيون أو يسعون إلى اقتنائها[102]، فيؤسفنا سقوط التماثيل في الحرب أو في الحريق الذي إلتهم قرطاجة سنة 146 ق م[103].

أما التماثيل التي نجت من جشع المصهر والنهب والنار، فهي نادرة وفي غالبها أشلاء مبعثرة، فهذا رأس من رخام اكتشفه بيار سنتاس وتلك صورة إلهة تبوات عرشا محضوضا بسفنكسين.

وتجدرالإشارة إلى موائد ومقاعد من رخام أطرافها تحكي أثر الأسود وقد نسبها هنري صلادين إلى ما بين القرن الثالث والقرن الثاني ق.م، وفي قرطاج ورادس مواقع أثرية أخرى عادت لنور الشمس تماثيل أقروليثية وهي كتل حجرية ترسم عليها الخطوط العامة لتمثال كملامح الوجه واليدين والثياب والحلي حتى أنها تكون بين النصب والتمثال : فالرأس واليدين تنحت بأبعادها الثلاثة وما تبقى من الجسم يهيأ على شكل نصب، وتناولت كولات بيكار تماثيل أقروليثية توجد في متحف باردو : فهذا التمثال يصور رجلا مقصر الشعر محلق الذقن وقد رفع يده اليمنى تيمنا وتبركا وضم إلى بطنه[104] يده اليسرى وفيه شيء غير واضح قد يكون مبخرة، وعلقت عالمة الآثار الفرنسية كولات بيكار الفرنسية قائلة : كانت هذه التماثيل في مدافن القرنين الثالث والثاني ق.م تعلو تلك القبور إشارة لموقعها وهي تصور الامات على هيئة مثلثة يتميز بها المصلي[105]. وفي لبدى الكبرى بالقطر

102 – نفس المرجع ص 166.

103 – نفس المرجع ص 168.

104 – نفس المرجع ص 168.

105 – نفس المرجع ص 168.

الليبي، تم العثور على رأس رجلين[106] وتمثالين يصور كلاهما شخصا يرتدي الكتانة القصيرة كما عثر على بقايا تمثالين آخرين، وكشفت حفريات صبراطة[107] الغطاء عن تماثيل نحتت في حجر رملي[108] وقد لمس فيها الآثاري الإيطالي دي فيتا مواصفات النحوت البونية[109].

وهناك أشكال فنية بونية تتجلى في الزبر على المعادن حيث أن القرطاجي تظهر عبقريته ومهارته في هذا النوع الفني الرفيع، وفي قرطاج وبعض المدن البونية توجد شفرات من برونز أو نحاس أو حديد لها قاطع مقطع وذيل ينتهي برأس تم مفتوح المنقار[110] ويبدو أن لتلك الشفرات وظيفة في العبادات البونية وطقوسها، وقد كانت الشفرات مخصصة لتقديم هبة الشعر وهي شعيرة معروفة لدى الفينيقيين والعديد من الشعوب السامية الأخرى، فبالشفرة البونية يمكن قص سبيبة شعر التي كانت هبة للآلهة، وهبة الشعر مقبولة من الرجال والنساء والأطفال وقد يشرف على القيام بهذه الشعيرة مختصون من كهنة المعابد[111].

وإستخدم القرطاجيون العظم والعاج لصناعة أشياء عديدة تستجيب إلى ما قد يحتاجونه لقضاء مآربهم الدينية والدنيوية، إنها مصنوعات من عظم أوعاج[112] تتجلى بنحوت أو نقوش أنجزها حرفيون لهم من المهارة الحذق والحس المرهف وسخاء الخيال ما جعلهم يبدعون الجمال كما تشهد على هذه التحف الفنية الرائعة

---

106 – نفس المرجع ص 168.

107 – نفس المرجع ص 168.

108- C.G.Picard, Catalogue de Musée Aloui, Nouvelle série, P38 Cat 9

109)- A. Divita,MEFR ? 80, 1968 p 46 ? 58 .

هذا ما أورده د. محمد حسين فنطر كمرجع في تاريخ الفن البوني في كتابه سالف ذكره الحرف و الصورة في عالم قرطاج ص 169.

110 – انظر د . محمد حسين فنطر، الحرف و الصورة في عالم قرطاج، ص 196.

111 – نفس المرجع ص 202.

112 – نفس المرجع ص 205.

ماهو موجود في المتاحف التونسية ومتاحف أوربية في سردانيا واسبانيا ومالطة وباريس ولندن وغيرها.

واستخدم القرطاجيون الجعلان جمع جعل وهي الحشرة تقوم على دفع كويرات فضلاتها ثم تتولى دفنها في باطن الأرض وتضع فيها بيضها، [113]. أما عن المواقع التي منت بتلك الروائع فلا بد من ذكر قرطاجة وأوتيكة ومواقع أخرى بسردانيا ومالطا واسبانيا وهي تغطي فترة القرن 7 ق.م إلى القرن 2 ق.م.

وبينت الأبحاث التاريخية والأثرية أن الرسم كانت له مكانته ووجوده في مختلف أنحاء العالم البوني فكان البونيون يولون الصورة واللون عناية واعتبارا[114]. وأن غالب الرسوم البونية التي ازدانت بها جدران القبور تتعلق بما وراء الحياة أي بالشؤون الأخروية ويكون حديث الصورة سردا ويكون بالإيحاء والمجاز.

وقضية التقنيات طرحت على مستوى مواد الطلي والصباغة وعلى مستوى طرق العمل والأساليب، ويرى بعض المؤرخين حسبما ذكر ذلك د.محمد حسين فنطر حيث يساندون فرضية الأصول اللوبية للرسوم البونية لاسيما أنه ثبت أن الأفريقيين تعاطوا فن الرسم على الصخور منذ ما قبل التاريخ كما تشهد به رسوم تاسيلي ناجر بالجزائر، وفزان بليبيا، وجبال وسلاة بتونس[115].

ولئن كان للرسوم الصخرية جذور في إفريقية فثابت ومن باب الإعتقاد الجزم أن رسوما كثيرة اطلع عليها الأثاريون في القبور البونية وفي الأوشاز اللوبية لها أصول فينيقية قرطاجية ومنها طلسم تانيت والأزهران ومنها السمكة والسفينة والضريح والمعبد ومدينة الأرواح وزهرة اللوتس والطائر وهكذا يقع لقاء القرطاجيين واللوبيين في ميدان الرسم فهو فن متجدر في دنيا اللوبيين لكنه دخل عالم

113 - نفس المرجع ص 206، و لمزيد من التفاصيل أنظر S.Gsell Fouille de Gouraya,Paris,1903,P:37.

114- نفس المرجع د. فنطر ص 248.

115 - نفس المرجع ص 255.

القرطاجيين والبونيين فإستفاد من معينهم وتصوراتهم[116]. على كل حال فإن صناعة النسيج والصباغة والفخاريات وأعمال صناعة الحلي والشفرة المزركشة (أي السكاكين) والفؤوس والرسوم بما في ذلك الفخار المزوق البوني...إلخ، تعد بمثابة كنز كبير له طابع فني راقي كان للقرطاجين فيه ذوق فني رفيع، وفي ميدان الحلي نلاحظ أن في صناعة المجوهرات اتجاه جمالي وفني واسع الذي يعبر عن ولعهم تعمق حب الجمال لديهم.[117]

ونستطيع أن نعبر عن إعجابنا بالفن القرطاجي أو البوني من خلال معثورات تتمثل في مجوهرات بونية من مجموعات ثرية متوفرة في المتاحف وأخرى يملكها الخواص كما يستند إلى نصوص وردت في كتب القدماء وإلى شواهد تصويرية تعبر عن واقع معيش : منها تماثيل نسائية عديدة قد تكون من طين مفخور[118] وقد تكون من حجر صلد كالرخام والكلس وغيرها، وكثيرا ما تتحلى تلك الصور المجوهرات من عقود وأقراط وأسورة، وتجدر الإشارة أيضا إلى وجوه نسائية تحفر على فصوص بعض الخواتم أو تنحت على بعض القطع النقدية لا تخلو من عناصر التجميل: فمن مميزات النقود التي ضربت في دور السكة القرطاجية طلعة إلهة يتدلى من أذنيها خران وفي جيدها عقد من ذهب منضود[119].

ولقد إستخدم القرطاجيون لصنع مجوهراتهم مواد شتى كالمعادن والحجارة الكريمة: فمن المعادن استخدموا الذهب والفضة، والرصاص والحديد والنحاس والبرونز ومن الحجارة الكريمة وشبه الكريمة نخص بالذكر الصفير والفيروز والحجر اليماني والسبج والبنفش والعقيق والبلور الجندلي والسماق والمرو واليشب وغيرها، فبيقمتها الذاتية وألوانها الزاهية وندرتها المميزة كانت تلك الحجارة

---

116 – نفس المرجع ص 255.

117 – نفس المرجع د. فنطر ص 255.

118 – نفس نفس المرجع ص 217 ولمزيد من التفاصيل أنظر: Z.Cherif,les bijoux carthaginois d'après les figure de terre cuite, in Reppal III,1987,P:

119 – نفس المرجع ص 217.

الكريمة وشبه الكريمة تستجيب إلى رغبات القرطاجيين وميولهم كما كانت تغري الحرفيون في العديد من أقطار البحر المتوسط واعتبار الظروف السوق وتماشيا مع القدرات الشرائية لدى عامة الناس[120].

كان القرطاجيون يعوضون المواد الثمينة بأخرى عادية فيستخدمون عجين الزجاج ذوى الألوان الساطعة لسبك أخراز ومناجد تتضد في العقود وتتحلى بها الصدور ولم يقتصر الصانع القرطاجي على سبك المعادن وصقل الحجارة لصنع المجوهرات بل استفاد أيضا من العاج والعظم والمرجان، ومن بين الذين كانوا يتعاطون صناعة المصوغ في قرطاجة حريون تمكن المؤرخون من ملاحتهم في أطلال التوفاة، ذلك أنهم أقاموا القرابين لبعل حمون وسطروا أسماءهم وألقابهم على الأنصاب، فهذا بدعشترت بن مسف[121] كان مختصا في سبك الذهب "سبك خرص" حسب العبارة الفينيقية، وقد كانت هذه الصناعة متجردة في عائلة بدعشترت من ذلك ترى ابن أخيه يتعاطى نفس المهنة كما ثبت في ضوء نقيشة سطرت على نصب أقيم بقدس بعل وهو المعبر الذي اشتهر باسم التوفاة وكان الرجل يسمى أرش بن يتتبعل بن مسف ومعلوم أن الذهب في اللغة القرطاجية يدعى "خرص" وقد يستعملون أحيانا لفظة "سهب"[122] عوض "زهب" وهي قريبة جدا من كلمة "ذهب" الموجودة في اللغة العربية. والجواهر البونية في تونس تم التقاطها في مدافن قرطاجة ووتيكة وهدريم ولبدى وتفاشة وكركوان ومنزل تميم ولعلها كانت تسمى تافخسيت[123]. وفي متاحف شرشال ووهران بالجزائر جواهر استخرجت من مدافن غوراية وأخرى أخذت من مدافن توجد في ربوع وهران وأشهرها تلك التي تم تشخيصها بأرشقول (والمقصود هي رشقون الجزيرة والواقعة بالقرب من بني صاف ولاية عين تيموشنت)، في الغرب الجزائري وفيها إلتقط الآثاري الفرنسي

---

120 – نفس المرجع ص 217.

121 – نفس المرجع ص 219.

122 – نفس المرجع ص 219.

123 – نفس المرجع د. فنطر ص 219.

جورج فويلمو خزائم بعضها من عظم وأخرى من فضة، وفي مدينة الجزائر أي إيكوسيوم عثر على ثابوت نحت في حجرة واحدة وفيه حلق من ذهب وحلية أخرى ملفوفة كاللولب[124] والمجموعات الجزائرية ضئيلة الكم متواضعة القيمة [125].

وللمغرب الأقصى مجوهرات وجدت منه مواقع شتى منها مدينة بناسة ومن متحف طنجة خرص من ذهب له ذوابة في ضواحي تلك المدينة المغربية مكنت من الحصول على أخراص تدلت منها عناقيد رباعية الحبوب، وفي لكسوس وجدت حلية من ذهب في شكل هلال اقتطع من ورقة سمكها ربع ميليمتر[126].

وتمتازالمجوهرات الفنيقية البونية التي وجدت بالمغرب الأقصى بتنوعها وقيمتها الذاتية وأبعادها الجمالية ودلالاتها الرمزية ومهارتها وجودة صنعها[127].

وعثر على مجوهرات بونية في صقلية وسردينيا وهما جزيرتان إيطاليتان على العموم فإن الفن القرطاجي يدخل في نطاق الثقافة المادية للقرطاجيين وهي تتجلى ويمكن أن نتعرف عليها عن طريق الشهادات العديدة التي نتجت عن الحفريات الحديثة التي جرت على يد علماء آثار مختصين في البونيات وقد عملت على إثراء معارفنا وكذا إثراء المادة الفنية البونية بشكل كبير. سواء أكان ذلك يتعلق بالمكتشفات الفنية التي عثر عليها في افريقيا ولكن خصوصا في المستعمرات القرطاجية، ونضرب مثلا على ذلك بصقلية وسردينيا اللتان تمثلان بمثابة مصدر توثيق ومادة خام وهامة لم تكن في الحسبان في كثير من الأوجه علاقة على الأبحاث المفيدة التي أجريت في المتاحف وهواة جمع الآثار البونية الخواص، مع وضع في الحسبان الحفريات التي أقامها علماء أسبان وألمان[128]. في الناحية

---

124 -Voir le glay,Antiquit Africaine,2,1968p:12-13

125 - BAC 1916.P.ce IV

126 – أنظر د. محمد حسين فنطر الحرف والصورة له عالم عالم قرطاج ص226.

127-Voir A. Jodin, les bijoux et Amulettes du Maroc punique : In BAM'71966,p 55- 90

128) -Voir Sabatino Moscati,Empire de carthage, p 77 1995, ISBN Paris Mediterrance Inaduction Viviane Bellauger - et ANNE Claire Ippolito.

الوسطى وبصفة عامة لدينا ثقافة واسعة ومعرفة أكثر حول قرطاجة وغرب حوض المتوسط أكثر مما نعرفه حول بلاد فينيقيا والشرق[129] .

وإن الشهادات الفنية المادية التي هي حوزتنا بها صبغة غير متساوية، وإن هدم قرطاجة العاصمة السياسية والإقتصادية، الإفريقية قد أنقص من المعطيات حول المعمار القرطاجي والعمران، وإن هذا الشأن فإن مساهمات مدن إفريقيا الشمالية الأخرى وبخاصة مستعمرات صقلية وسردينيا فلذلك أهمية أكثر، لأسباب عديدة، وإن الوثيق المتعلق بالنحت والتماثيل طيبة الحجم فهي قليلة عليالعموم. إنها تعاني الافتقار مما يؤدي إلى الاعتقاد أن هاته الأشكال من الفن لم تستعمل إلا قليلا[130] .

وإن الاستثناء الوحيد فهو يتعلق بالنصب والأنصاب التي تمثل إنتاجا واسعا حسب الحفريات الأخيرة والحديثة التي أظهرت وجود عدد كبير من الأنصاب في قرطاجة وفي الجزر الإيطالية، أما فيما يخص الرسم فهناك نقص كبير ويعود السبب إلى طابع التلف الذي يميز هذا الشكل من الإنتاج الفني.

وإن القسم الأكبر من الثقافة المادية القرطاجية يعود إلى ما يدعى بالفنون الصغرى[131] أو البسيطة أي ذات أشكال صغيرة وتتمثل في التماثيل الصغيرة المصنوعة من الطين المشوي، وأدوات صغيرة حديدية أو من الحديد، وأحجار كريمة أو من العاج، وبيض النعام مزوق ومسكوكات، ومزهريات وأشياء أخرى، وكل هذه الفنون الصغرى تم العثورعليها في الغالب بالمقابر التي تمثل إنتاجا له طابع جنائزي سواء في الطابع أو التوجه وهذا الإنتاج الفني .

والسؤال المطروح بعد دراسة الأصول وطبيعة هذه التجارة بمثابة صناعة تقليدية أو فن قائم بذاته؟[132] وإن الورشات التي كانت موجودة وهي في مستوى صناعة تقليدية بشكل مؤكد، كانت تعمل في إطار لجنة عمل بدون ذكر اسم الفنان القرطاجي الذي أنجز العمل وبدون وعي لإرادة الإبداع، وعلى أساس التعرف على

129 - Id Ibid p 77.
130 - Id Ibid Sabatino Moscati p 77.
131 - Id Ibid Sabatino Moscati p 77.
132 - Id Ibid p 78.

الزيناء التي يتم التعرف عليهم مع السلطة الحاكمة أو مع المتعبدين[133] فهذا لم يقع إطلاق (باستثناء القداس والنصب النذرية التي نجد فيها تفاصيل هامة بعضها ذات طابع ديني وسياسي مثل أنصب معبد الحفرة في قيرتا (أي قسنطينة) التي خصصنا لها دراسة خاصة تتعلق بمملكة ماسينيس من خلال الأنصب والكتابات البونية الموجودة في واجهات هذه الأنصاب.

على كل حال هناك مجموعة هامة من الإنتاج الفني تخص الفنون الصغرى البونية لها طابع أصيل والتي تعد أعمالا فنية ذات مستوى عالي يمكن اعتبارها فنا بمعنى الكلمة[134]. وإن علاقة الصانع التقليدي البوني مع الصانع الموجود لدى الشعوب المجاورة أو التابعة لسلطة قرطاجة خلق مشكلة ولا سيما فيما يتعلق بالإنتاج الذي يدعى الإستشراقي Orientaliste وهذا المشكل مطروح في إيطاليا وإسبانيا على الخصوص وإن الإنتاج الذي يمكن أن نعتبره بونيا نلاحظ تقلصه.

وعلاوة على هذا فإن المجوهرات والمجوهرات العاجية الإيبيرية التي كانت تنسب من قبل بدون تحفظ إلى الصناعة التقليدية القرطاجية تم اعتبارها بشكل جزئي كأعمال فنية[135] من إنتاج ورشات محلية حيث نلاحظ أن النفوذ البوني يتزاوج مع نماذج أخرى ذات تأثير إغريقي وإتروسكي، ومحلي فإن مسألة الطابع "الإستشراقي" أو الشرقي يعد من أعوص وأعقد قضية في الدراسات البونية الحديثة، لأنها تجعل من باب غير المؤكد المميزات التي تطبع الإنتاج الذي يحدد الثقافة المادية لقرطاجة وعمالها.

133 - Id Ibid p 78.
134 - Id Ibid p 81.
135 - Id Ibid p 81.

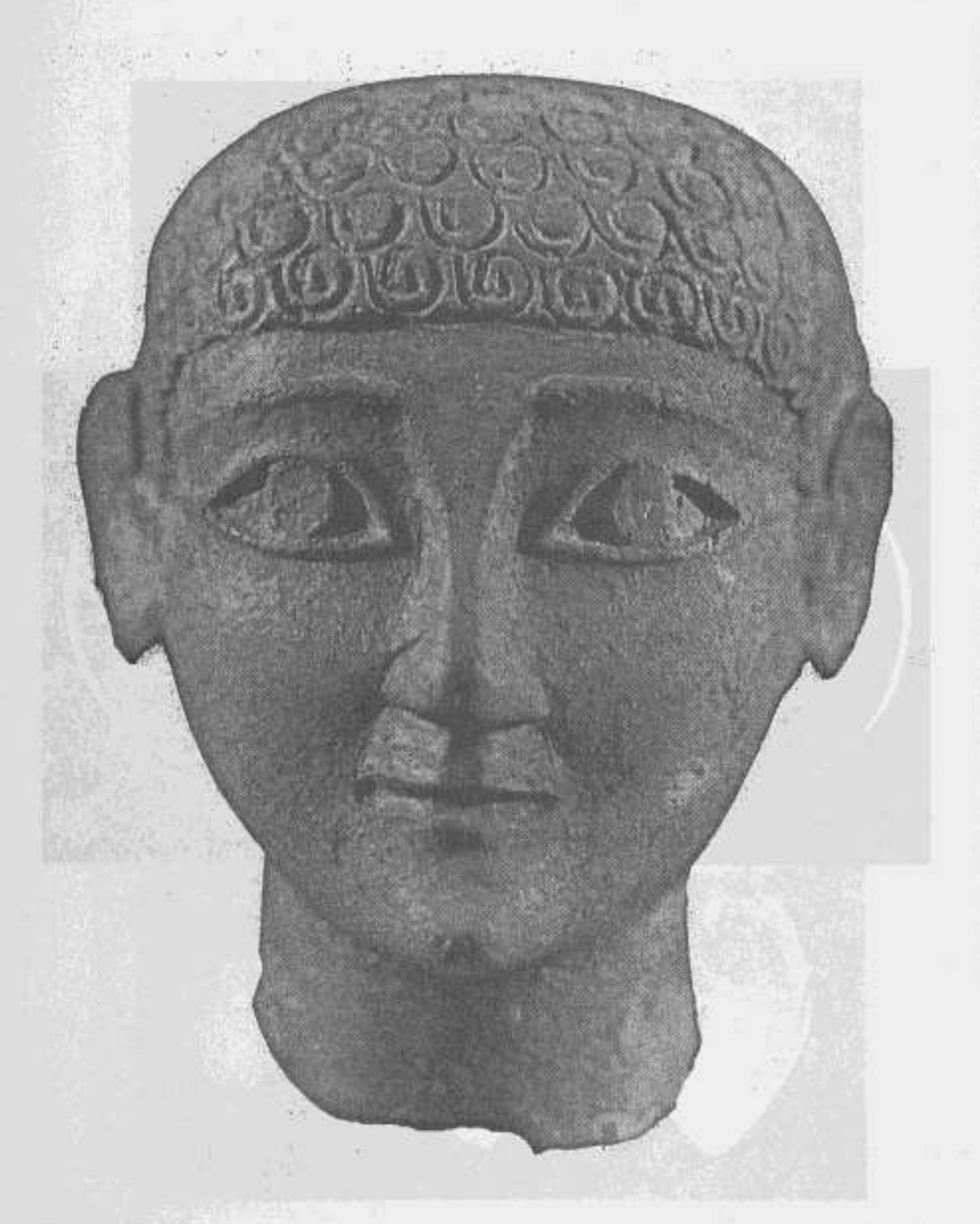


الصورة رقم : 1

صورة إمرأة قرطاجية مصنوعة بالطين المشوي، ونلاحظ طريقة خاصة في دورات الشعر وراء الأذنين.

المتحف الوطني ـــ تونس ـــ

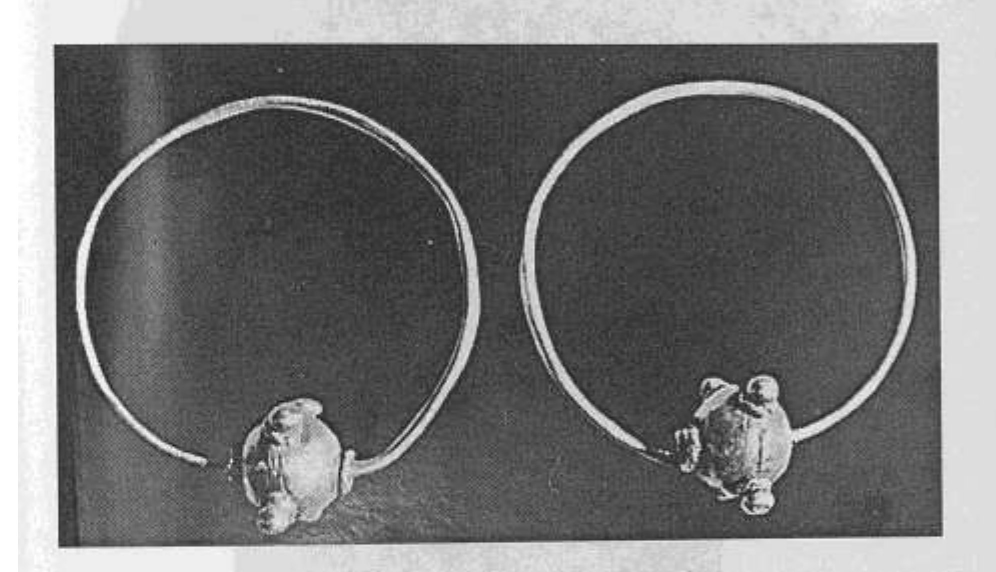
سباتينو موسكاتي: إمبراطورية قرطاجية



الصورة رقم : 2

تمثل التأثير الفرعوني المصري في صورة شاب قرطاجي مصنوع بالطين المشوي

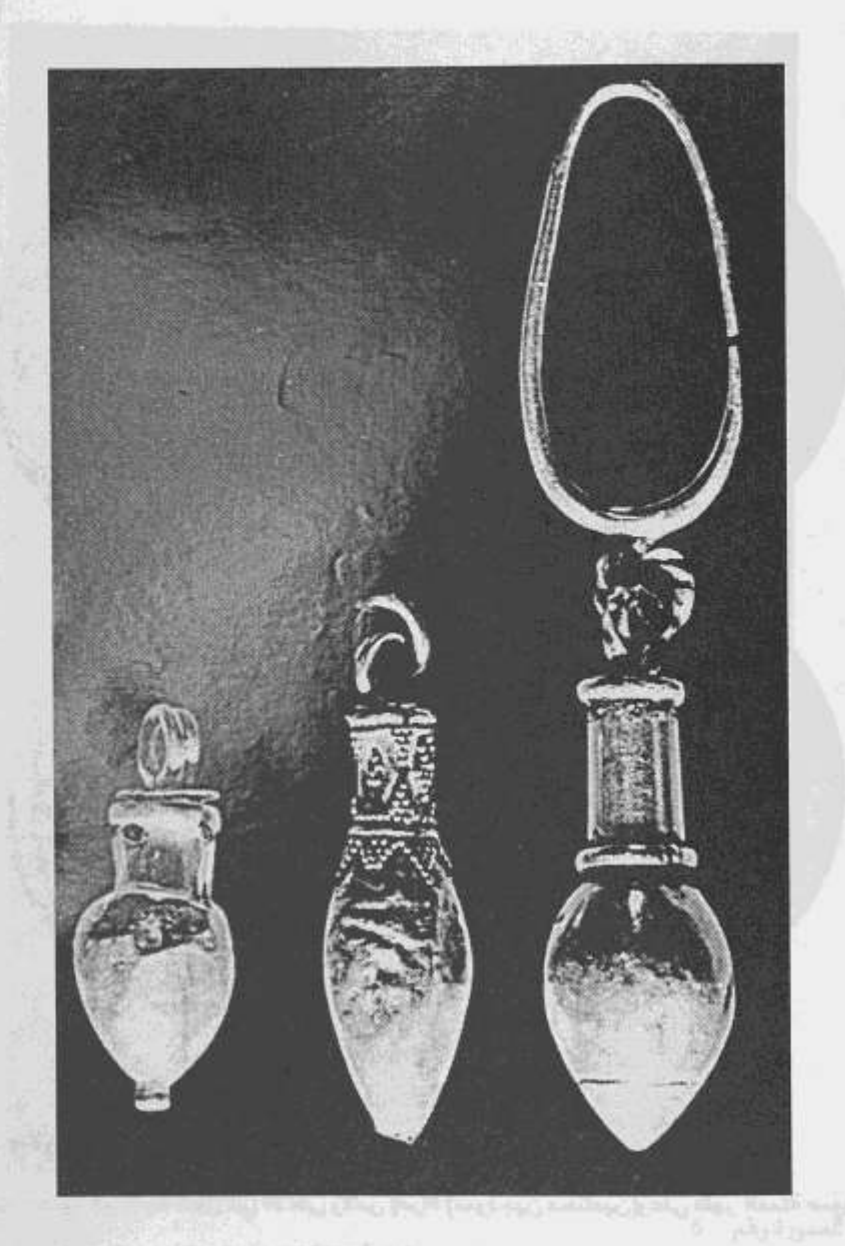
كالياري: صقلية. المتحف الوطني



الصورة رقم : 3

أقراط أذن قرطاجية من الذهب الخالص ويظهر في أسفلها كراة صغيرة موضوعة بشكل منظم.

كالياري : المتحف الوطني صقلية



الصورة رقم : 4

أقراط أذن قرطاجية على شكل قطرات.

كالياري: المتحف الوطني صقلية



الصورة رقم : 5

نقود ذهبية قرطاجة تمثل في الأعلى رلأس إمرأة (نموذجين مختلفين)وعلى ظهر العملة صورة حصان بأقدامه، وهما نموذجان مختلفان أيضا.

كالياري سردينيا إيطاليا المتحف الوطني.

سباتينو موسكاتي:إمبراطورية قرطاجية.



الصورة رقم : 6

هذه الصورة لامرأة هللينستية من صنع قرطاجي.

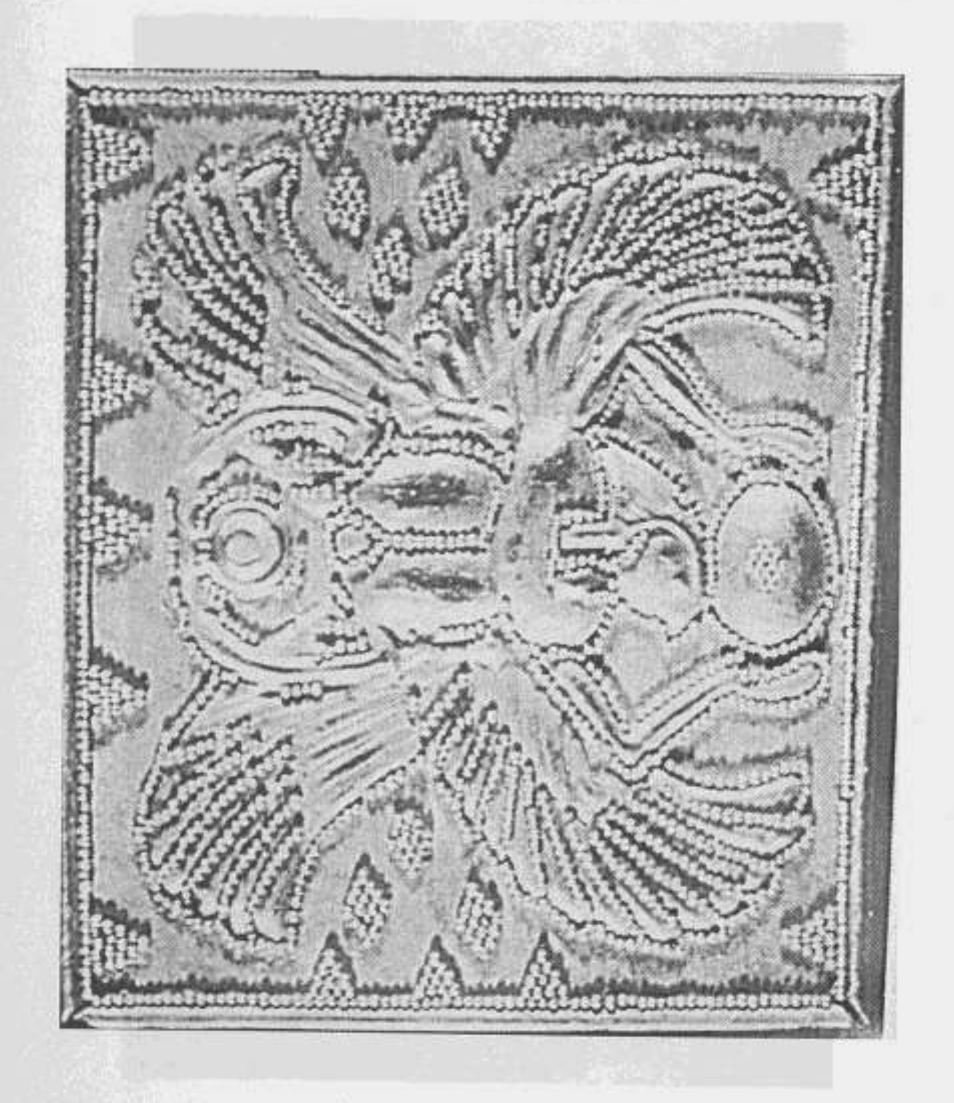
موطيي: صقلية، متحف ويتاكر إيطاليا



الصورة رقم : 7

صورة إمرأة من صنع بوني بالطين المشوي، ونلاحظ أنها ترتدي لباسا له طابع هلّلينستي تحمل طفل على كتفها.

مطبي: متحف ويتاكر: سباتينو موسكاتي، الإمبراطورية القرطاجية.

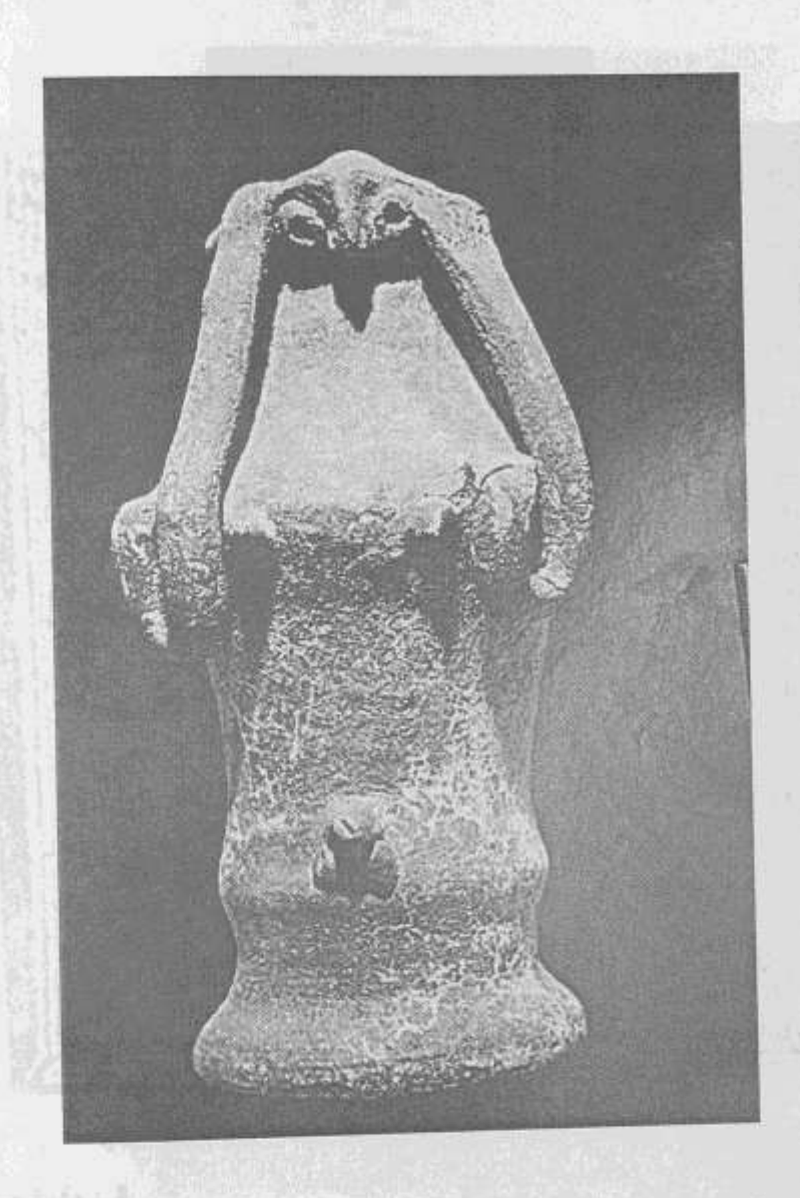


الصورة رقم : 8

عثر عليه بطاروس في سردينيا، دملج ذهبي قرطاجي مرصع بالجواهر ؛ وفي وسط الدملج نلاحظ عقرب ووردة اللوتس، وهذا ما يدل على مدى تطور الذوق الفني عند القرطاجيين.

سباتينو موسكاتي: الأمبراطورية القرطاجية.

كالياري: المتحف الوطني.

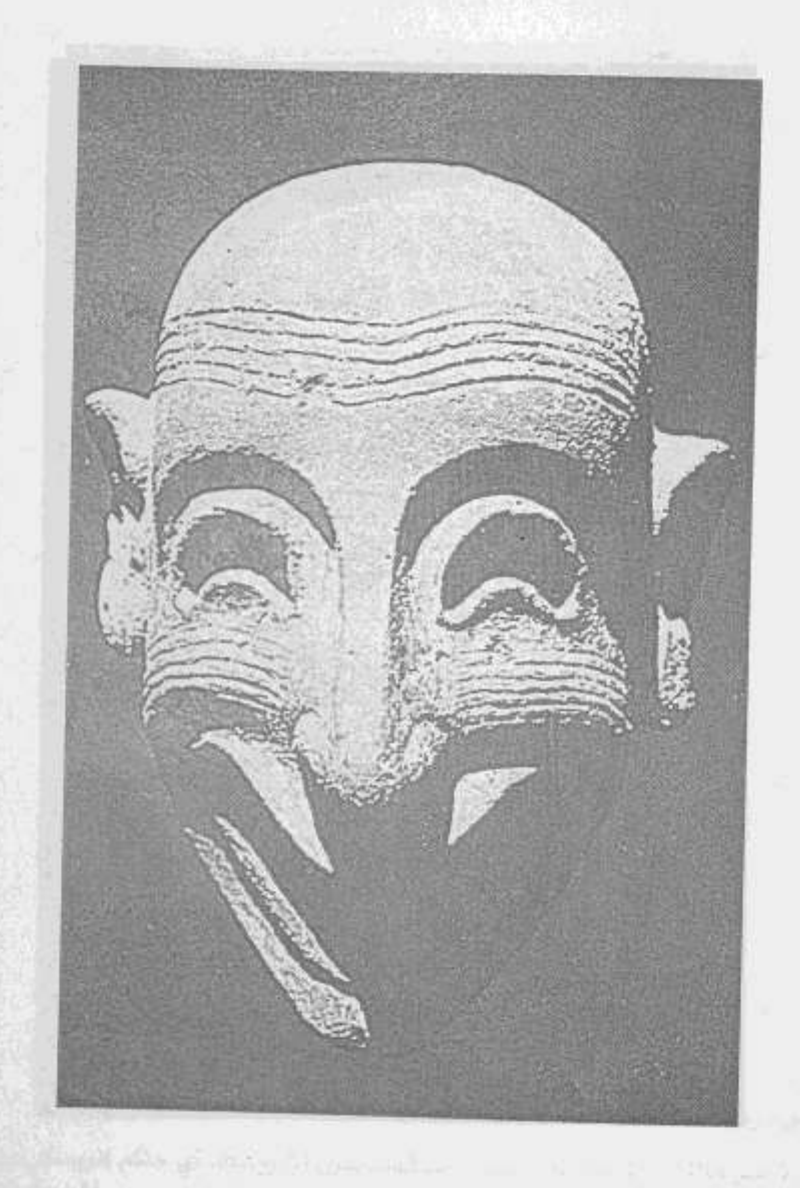


الصورة رقم : 9

وجه إنسان ذكر على شكل جرس مع يدين على الرأس.

كالياري : سباتينو موسكاتي:

الإمبراطورية القرطاجية.المتحف الوطني.



الصورة رقم : 10

قناع بوني بالطين المشوي له ملامح بشرية وهو مبتسم وله تجاعيد.

كالياري:صقلية المتحف الوطني.

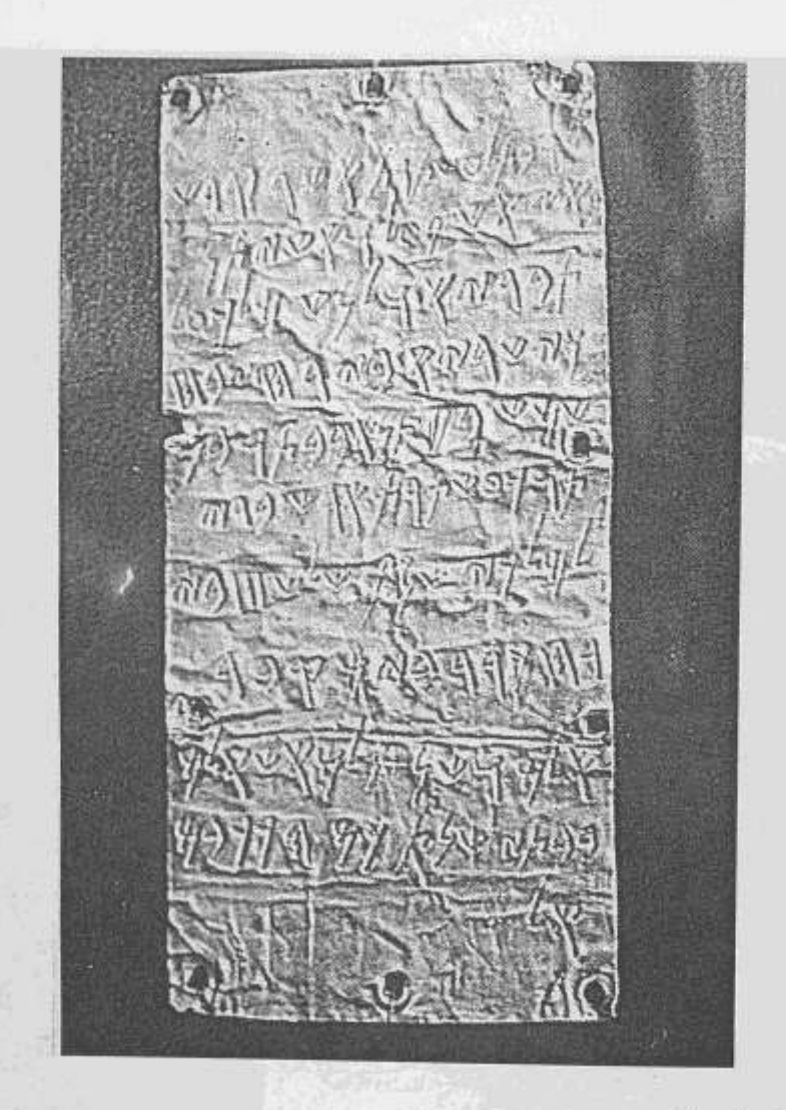


الصورة رقم : 11

إمرأة مصنوعة بالطين المشوي ذات شكل بوني وظفائر الشعر مرمية وراء الأذنين.

كالياري: صقلية، المتحف الوطني

سباتينو موسكاتي: إمبراطورية قرطاجية

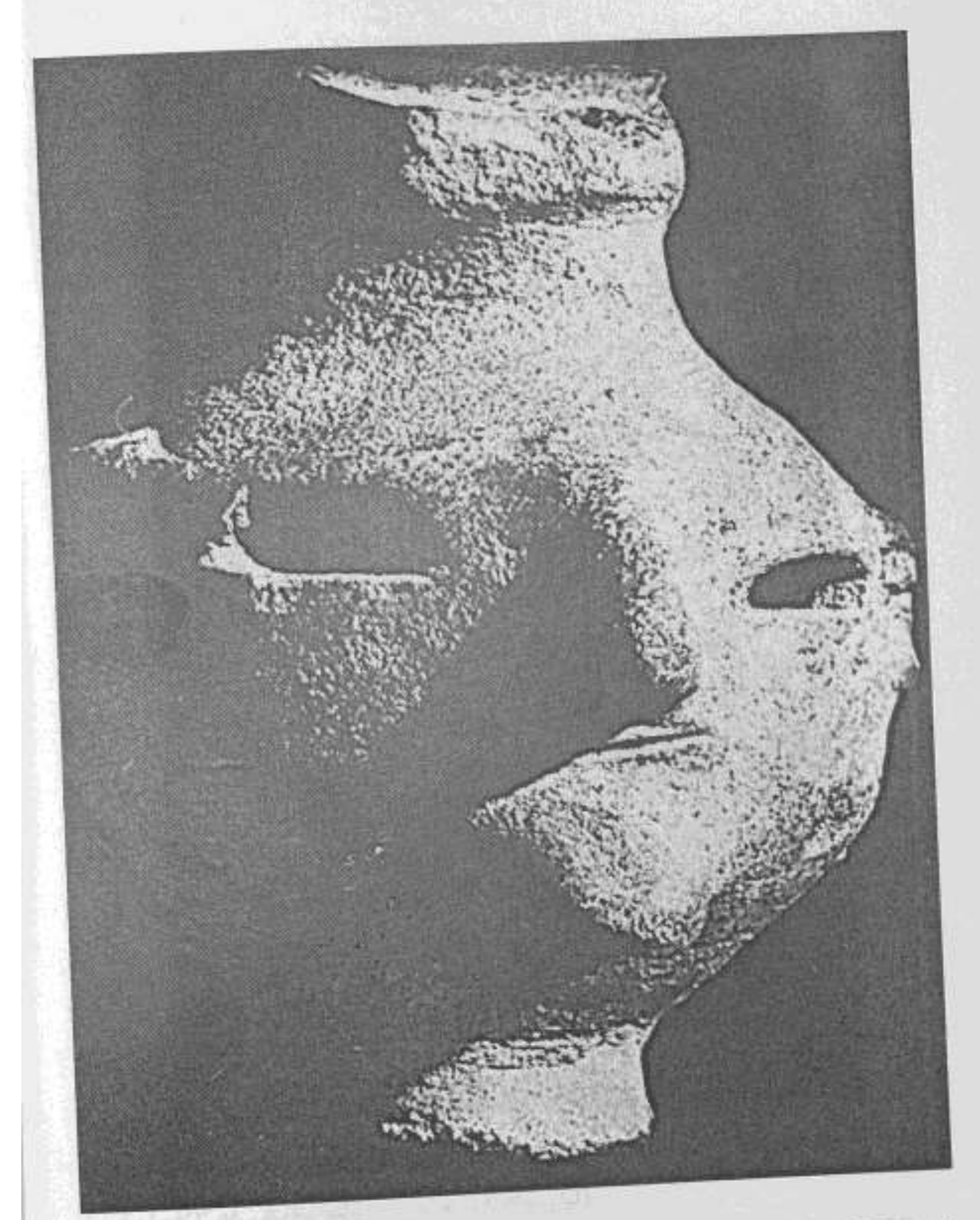


الصورة رقم : 12

صورة تعبر باللغة الفينيقية عن قداس لأحد المستبدين الإتروسك، أي حاكم إتروسكي مستبد، تحية وإجلالا على شرف عشتارت (متحف فيلاجيوليا).

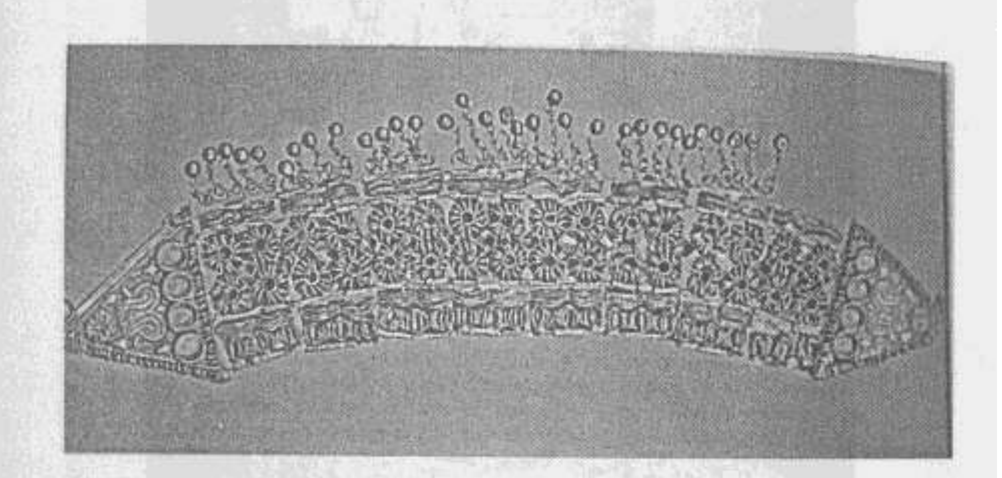
وهذه اللوحة من الذهب الخالص عثر عليها في بيرجي بإيطاليا، طولها 19.3 سم وعرضها 9.2 سم، وهي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا.

(M.GRAS;P.Rouillard.J.Texidor.Univer phénicien بتصرف)



الصورة رقم : 13

رأس نموذج بالطين المشوي وهو يمثل أثر استعمل في ضوء الإنارة على الراس وملامح الوجه.



الصورة رقم : 14

تاج ذهبي (كحلية نسائية) عثر عليه في اليسيدا Aliseda Caceres هو جزء من كنز قرطاجي يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد.

متحف مدريد



الصورة رقم : 15

نصب لطوفيت يمثل إمرأة عارية وشعرها على شكل قناع ويدها اليمنى مطوية ومرفوعة، بينما يدها اليسرى ممتدة على طول الجسم.

مطيي: متحف ويتاكر إيطاليا

سباتينو موسكاتي: إمبراطورية قرطاجية.

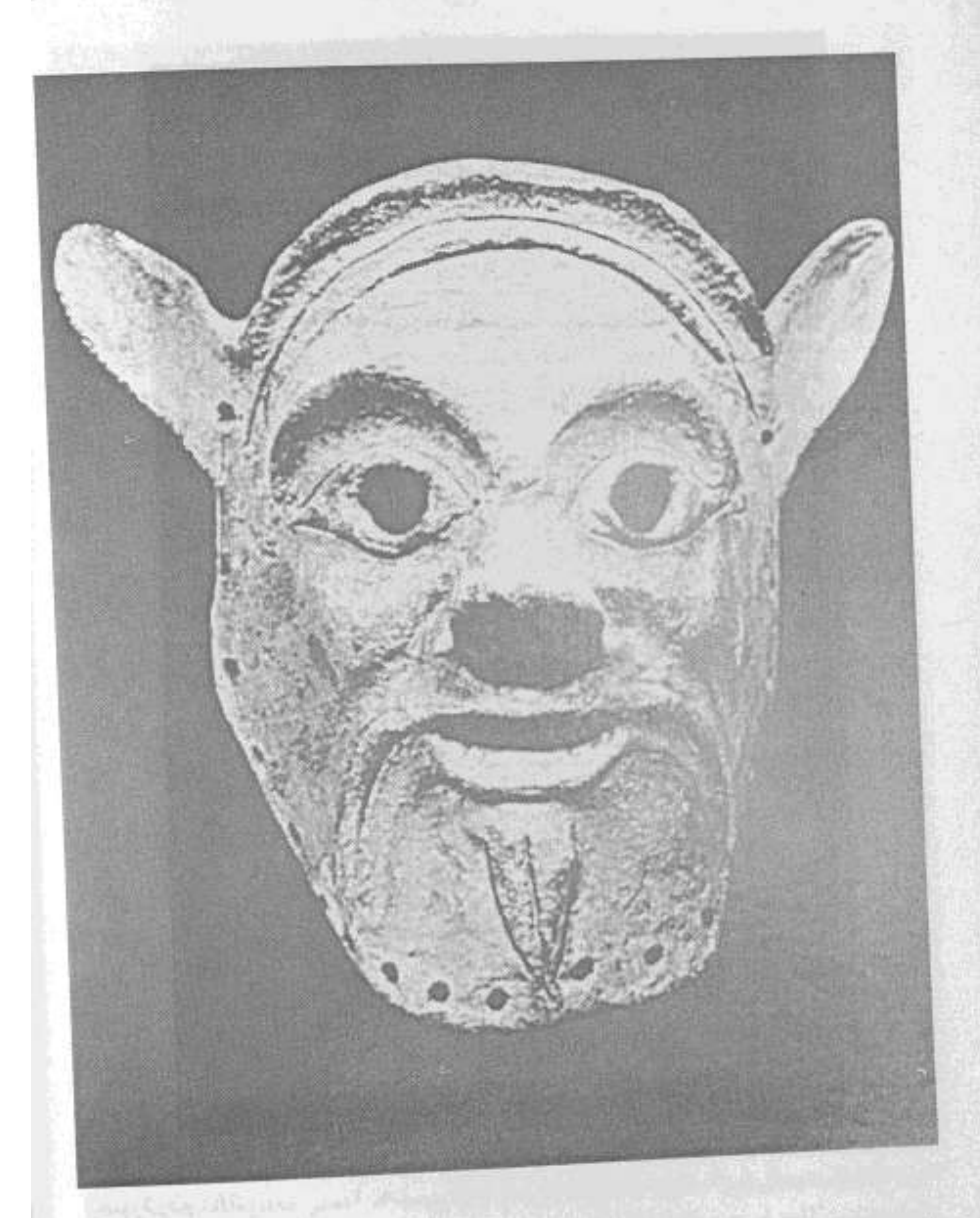


الصورة رقم : 16

نصب طوفيت عثر عليه في مطيي بصقلية.

متحف ويتاكر.

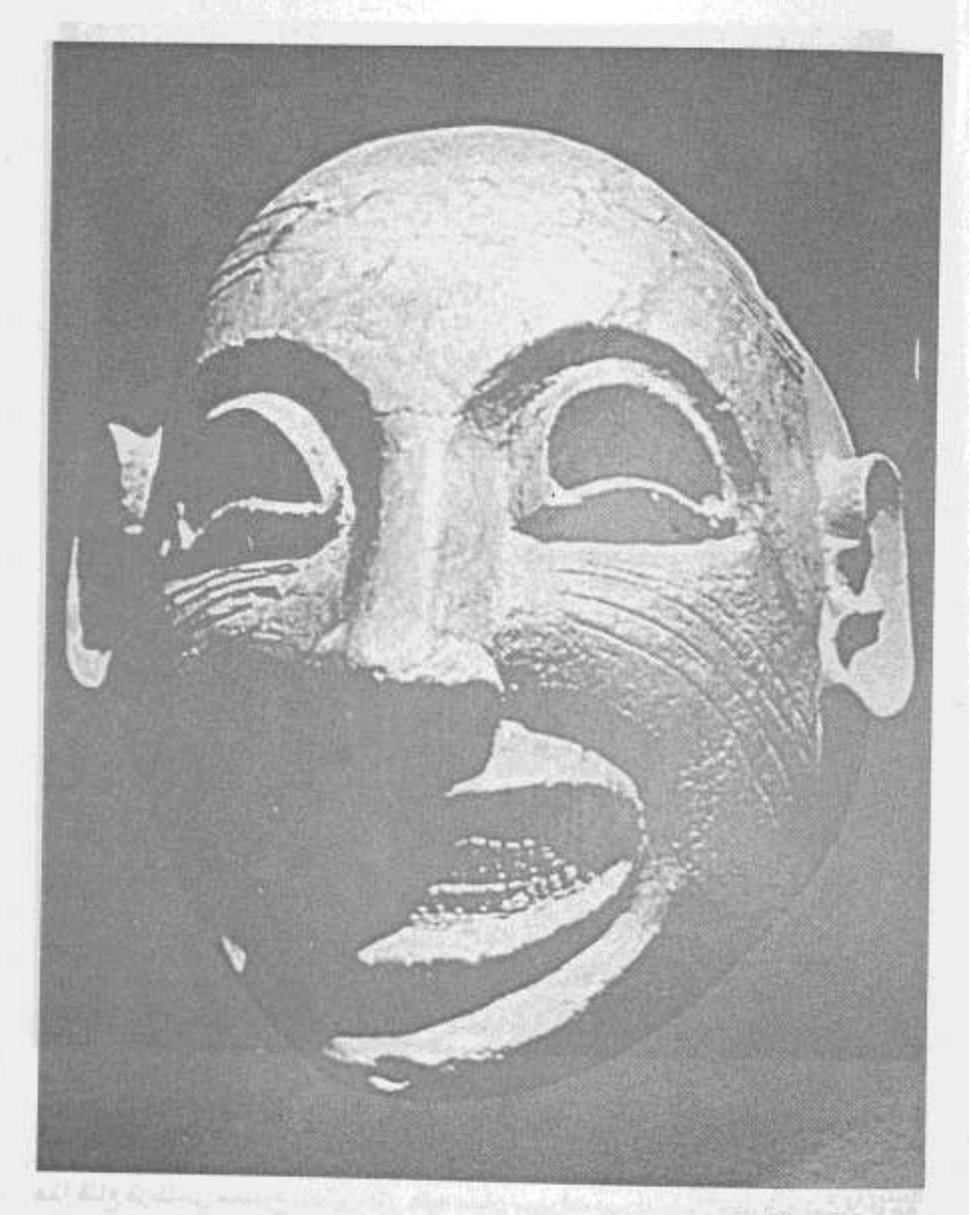
سباتينو موسكاتي: إمبراطورية قرطاجية.



الصورة رقم : 17

قناع بوني بالطين المشوي ذو بشرة إنسانية مع أذنين طويلتين لهما طابع حيواني.

كالياري: المتحف الوطني – صقلية.

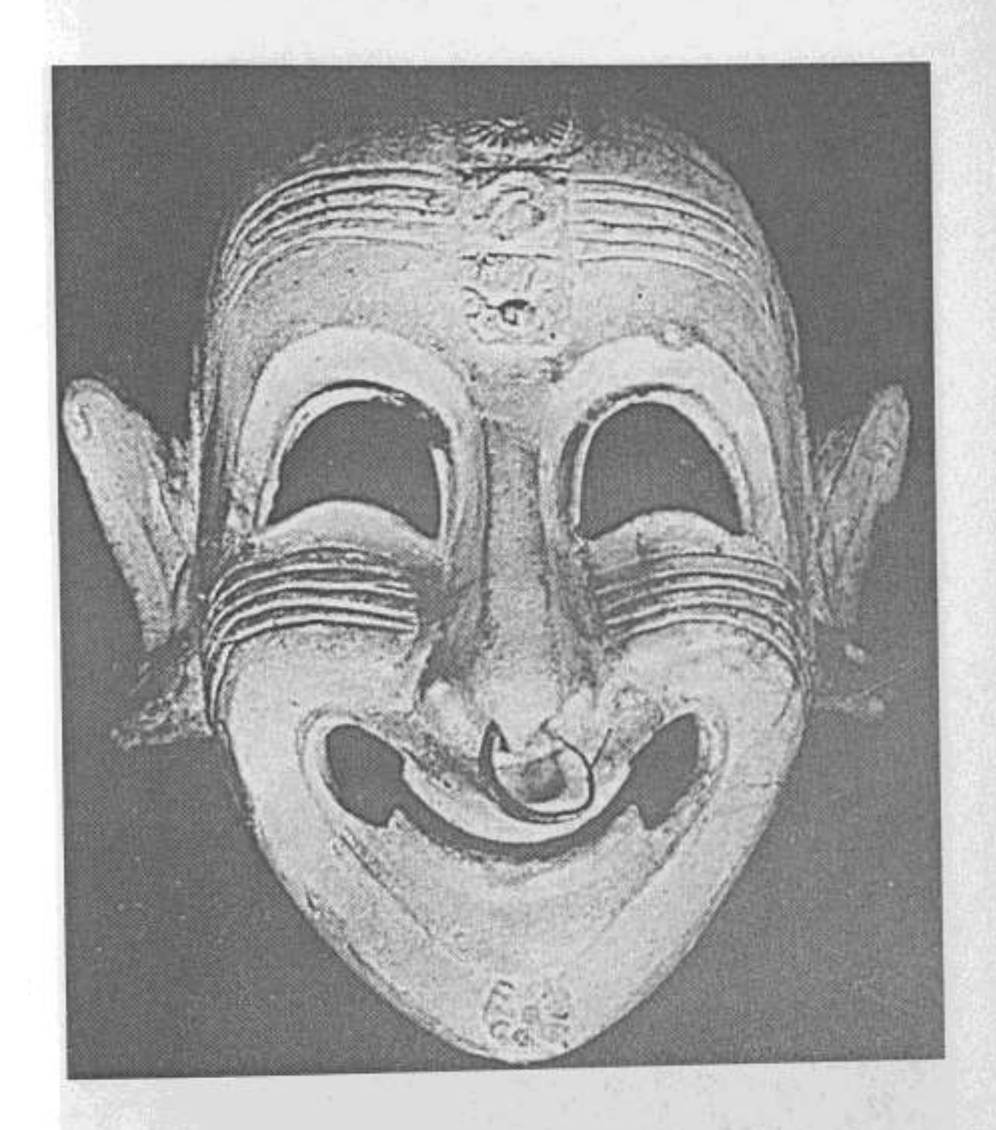


الصورة رقم : 18

قناع بوني بملامح بشرية وله عيون ذات طابع حيواني.

كالياري: صقلية. سباتسنو موسكاتي،

إمبراطورية قرطاجة

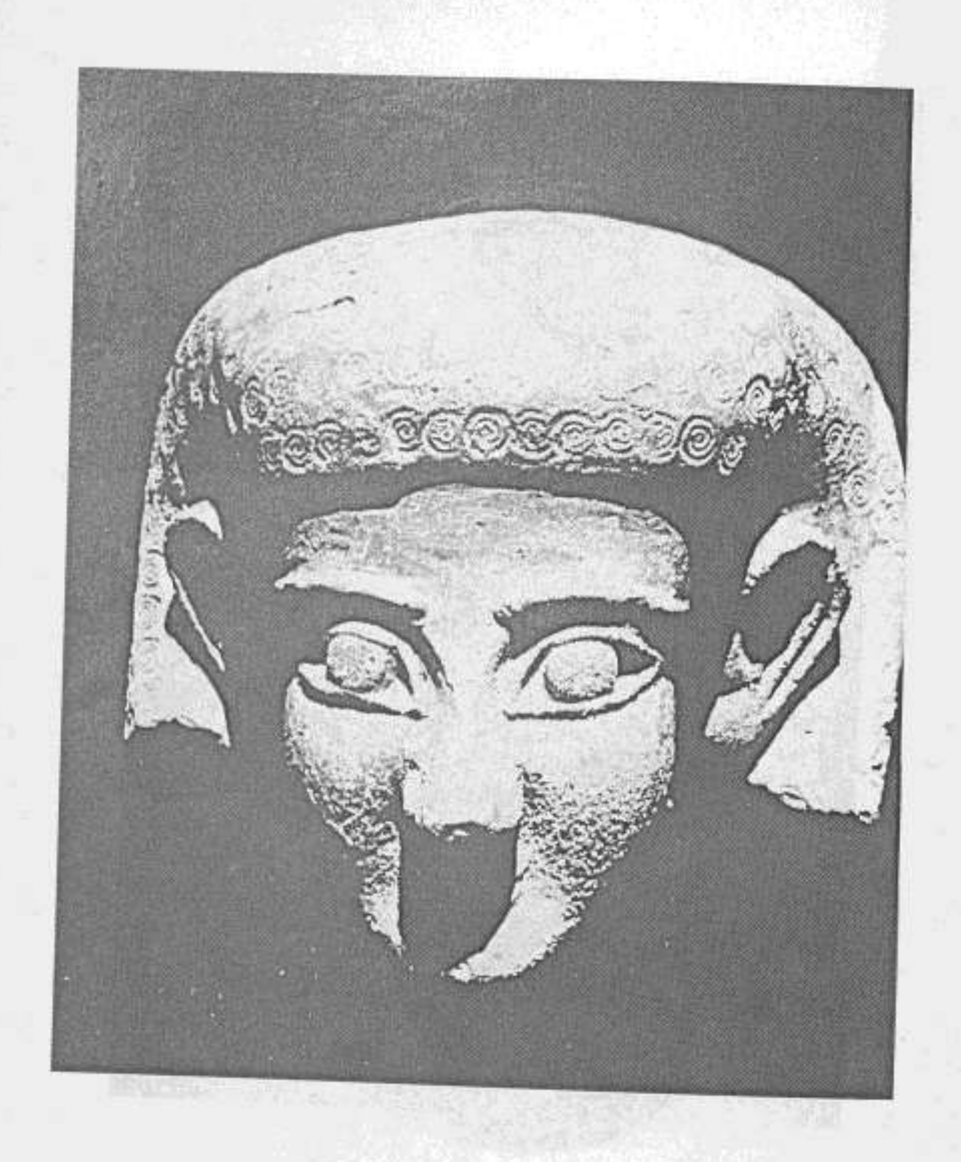


الصورة رقم : 19

هذا قناع قرطاجي مصنوع بالطين؛عثر عليه بسان سبيرات بسردينيا،نلاحظ فيه تمثيلا لوجه رجل بخرصة في أنفه وآثار التجاعيد ظاهرة في جبهته ووجنتيه مع أذنين كبيرتين.

كالياري: المتحف الوطني.

سباتينو موسكاتي: إمبراطورية قرطاجية.



الصورة رقم : 20

شكل إمرأة بونية بالطين المشوي من النوع الإغريقي الفنيقي ونلاحظ أن العيون على شكل لوزة وطريقة مشط الشعر فيها طابع خاص بالدوائر.

كالياري: صقلية- المتحف الوطني.



الصورة رقم : 21

صورة نموذج لفن بوني (قرطاجي) بالطين المشوي صنع في الفرن، عثر عليه في إسيلة بلانا بالقرب من إبيزا بإيطاليا.

(المتحف الأركيولوجي)

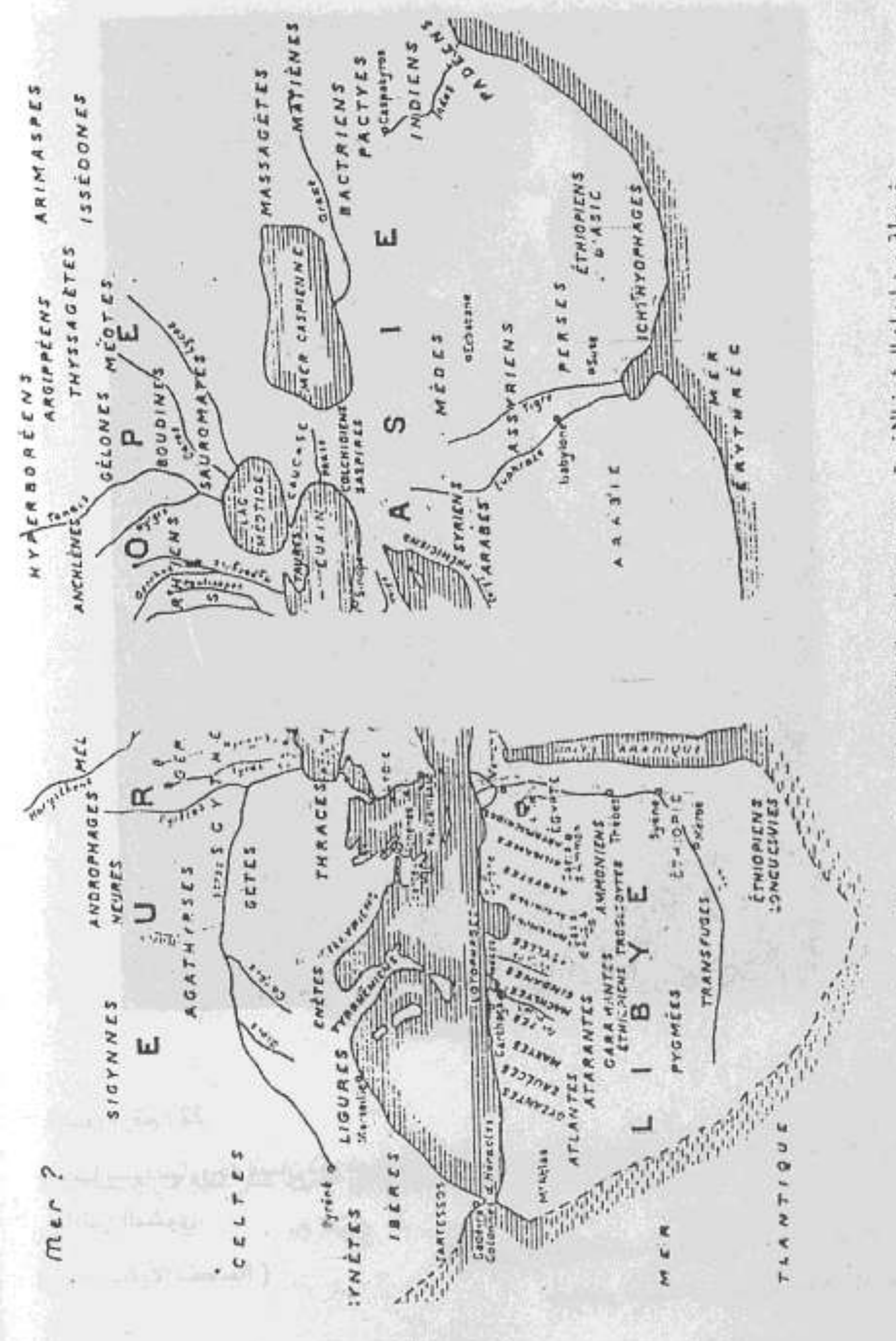


الصورة رقم : 22

بطيا بسردينيا، وجه إنسان ذكر ذو طابع وشكل ريفي، فجسمه يمثل جرة أو خابية، وهو مصنوع بالطين المشوي.

كالياري (منطقة فافيسا) بصقلية، المتحف الوطني.

سباتينو موسكاتي إمبراطورية قرطاجة.



خريطة من إبداع المؤرخ الإغريقي هيرودوت لجغرافية العالم القديم في عهده القرن الخامس قبل الميلاد

نوعيـــة روابط القرطاجييـــن بالليبييـــن

المعطيات التاريخية لهذه الروابـط

إن موضوع الروابط بين القرطاجنيين والليبين هو بمثابة حديث ذو شجون، ويعد موضوعا شائكا بسبب قلة المصادر الكتابية والمادية التي تخص تطور هذه العلاقات بين الشعبيين القرطاجي والليبي، ولوأني أتحفظ في استخدام مصطلح الشعب الليبي، لأن هيرودوت يرى أن هناك شعوبا شتى من الليبيين أقامت في منطقة إفريقيا الشمالية ومصر. ولكن مادام هناك روابط متشابهة في التقاليد والعادات فلا مانع من أن ننعت الليبيون الذين أقاموا في إفريقيا الشمالية القديمة بالشعب الليبي أو المجتمع الليبي القديم.

إن الروابط بين القرطاجيين والليبيين القدماء عندما نتمعن فيها مليا من ناحية طبيعتها وكنهها نجد كما سلف ذكره هناك تقص في الوثائق المكتوبة المتعلقة بهذه الروابط التي كانت قائمة، ولكن هذا لا يعني انعدام الوثائق إطلاقا لأن الواقع يثبت وجود وثائق نادرة تسلط وتكشف على بعض أوجه الروابط بين القرطاجيين والليبيين في وقت مبكر يعود إلى فترة القرن الخامس قبل الميلاد، وأقدم المصادر التاريخية هو ما وصلنا عن طريق هيرودوت الذي يدعى أبو التاريخ الذي يذكر لنا في كتابه التاريخ العالمي، ما جرى من مقايضة بين الليبيين والبحارة القرطاجيين، وعلاوة على ذلك هناك ما أورده لنا تيمي أو تيمايوس حول نشأة قرطاجة في 814 ق. م ويعد هذا المؤرخ بمثابة مصدر تاريخي يعول عليه حول الروابط التي كانت موجودة في وقت مبكر وزمن قديم بين أعيان فينقيين وليبيين، فعندما سمح للأميرة الفينيقية عليسة بناء مدينة قرط حدشت على أرض ليبية عن طريق شراء قطعة أرض يعد هذا الإجراء بمثابة علاقة مباشرة بين الفينقيين والليبيين تمت في القرن التاسع قبل الميلاد لها طابع تجاري، ولو أننا لا يمكن اعتبار نشأة قرط حدشت أواستيطان فنيقي في منطقة إفريقيا الشمالية لأنه حسب علمنا أول مستوطنة مبكرة سبقت نشأة قرط حدشت هي عتيقة التي أنشأت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

ولا ننسى إنشاء الفنيقيين لمستوطنة فينيقية على ساحل الأطلسي ألا وهي ليكسوس. فيما يخص الإستيطان المبكر للفنيقيين وعلاقتهم بالليبيين القدماء ليس لدينا في هذا المضمار وثائق كثيرة يعول عليها في الحصول على أخبار موثوقة عن عن أحوال الفنيقيين والبرابرة القدماء ويمكن أن نستثني ما ورد في الكتاب المقدس العهد القديم أي التوراة حول بعض الأخبار والتي تشيرإلى البواخر الفنيقية وبحاريها الذين كانوا يتاجرون مع قادس في غرب المتوسط، وجاء ذكر الليبيين، فكل هذا إشارة إلى علاقات عابرة ولكنها غير واضحة كما هو الأمر بالنسبة إلى الفترة اللاحقة التي نرى فيها هذه العلاقات أكثر وضوحا مع العلم أنه قبل اعتلاء أسرة ماجون في القرن السادس قبل الميلاد نجد أن القرطاجيين لم يكن في حوزتهم أي تراب محدد الذي يمكن اعتباره كمركز تبادل وعلاقات مع الجيران الليبيين.

وفي الحقيقة أنه بسبب قلة المصادر التاريخية والمادية يجد الباحث نفسه عاجزا أمام بداية ونوعية العلاقات الباكرة الفنيقية واللوبية في غربي المتوسط لأننا إذ تمعنا في طبيعة هذه العلاقات في فترات بعيدة نجد إشارات تاريخية يغلب عليها الطابع الأسطوري في الغالب وفي المصادر التي تذكر لنا بعض الإشارات إلى تلك العلاقات، ولدينا ما ذكره المؤرخ الإغريقي تيميوس ونقلها عنه فيما بعد المؤرخ يوستانيوس JUSTIN وتشير هذه المصادر الآنف ذكرها أن اللوبيين في أول وهلة كانوا قد رحبوا بالتجار الفينيقيين الذين جاءوا بلادهم وذلك لأنهم كانوا مسالمين وغايتهم سليمة فهي لا تتعدى إنشاء مراكز تجارية تتم فيها المبادلات.

وفي هذا السياق قبلوا دفع ضريبة سنوية للوبيين عربونا للصداقة وريعا للمكان الذي أنشأوا فيه مدينتهم الجديدة، وقد دام ذلك في بداية تأسيس قرطاجة حتى القرن الخامس ق. م.

ويرى د. محمد الصغير غانم أنه[1] يجب أن نفرق في شمال إفريقيا بين المستوطنات الفنيقية والقرطاجية من جهة وبين تلك التي تفيقنت من تلقاء نفسها منجذبة نحو الحضارة البونية لما في الأخيرة من غلبة ثقافية ويدخل في هذا

1 - د. محمد الصغير غانم المملكة النوميدية والحضارة البونية ص 34.

المضمار انفتاح تلك التجمعات السكانية العائدة إلى فترة العصر الحجري الحديث والتي انجذبت نحو الحضارة البونية ففتحت لها أبوابها طواعية ونتيجة لذلك فقد اندمج بعض الفينيقيين مع السكان المحليين في المناطق المجاورة للمستوطنات الفينيقية أو تلك القريبة منها، ثم عملوا كمزارعين وصناع أو تجار.

ووفقا لذلك جرى الإمتزاج الفكري وسادت بعد ذلك الثقافة الفينيقية التي أصبح المغاربة فيها عامل استقطاب.[2] ومما يجب ذكره أن المناطق ذات اللمسات البونية لم تكن كلها تسير في فلك السياسة القرطاجية فهناك مثلا المدن النوميدية ذات اللمسات الحضارية البونية مثل سيرتا وكالما، ثم سيغا وهيبون (عنابة) ودوقة ثم مكثر التي لم يجر خضوعها المباشر لقرطاجة والتي كانت تبدوا مسؤولة على أمن تلك المستوطنات وبالتالي[3] فإن هذه الأخيرة مطالبة بالإعتراف بسيادة قرطاجة عليها لاسيما في المجالات السياسية والاقتصادية وربط معاهدات دولية ولا يمكن أن نفسر ذلك على أن قرطاجة كانت تتدخل في السيادة الداخلية لتلك المستوطنات، بل كان لهذه الأخيرة كامل الحرية في تنظيم شؤونها الداخلية في نطاق ما يسمى بالإتحاد الكونفدرالي للمدينة الدولة المعمول به حينذاك[4].

رواية هيرودوت حول المقايضة الليبية والقرطاجية

على كل حال لدينا ما ذكره المؤرخ الإغريقي هيرودوت الذي بين لنا كيف كانت العلاقات الأولى قائمة بين التجار القرطاجيين والليبيين.

قال هيرودوت: اعتمادا على رواية القرطاجيين (VIII) يوجد خارج مرتفعات جبال هرقل، بلد ليبيا يسكنه رجال حيث يتم عرض السلع عليهم في الشاطئ بانتظام من قبل القرطاجيين ثم يعودون إلى سفنهم، ويوقدون النار التي يتولد عنها الدخان لإعلام الأهالي

2 – نفس المرجع ص 34.

3 – د. محمد الصغير غانم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر رسالة دكتوراه درجة ثالثة نوقشت بمعهد التاريخ جامعة الجزائر 1981 ص 238 – 292.

4 – د. محمد الصغير غانم المملكة النوميدية والحضارة البونية واعتمد هو أيضا على Gsell STEPHANE H. A. A. N. TH-P 111-113

أو السكان الليبيين بوجودهم، وعندما يرون الدخان[5] أي الليبيين يقتربون من البحر ويضعون كمية من الحطب الذي يقدمونه كوسيلة مبادلة ومقايضة ثم ينسحبون وبعد ذلك ينزل القرطاجيون من سفنهم من أجل فحص الذهب الذي تركوه وإذا عادو إلى مراكبهم وبقوا هناك ينتظرون فما على الأهالي الليبيين إلا العودة وتقديم مزيدا من الذهب الذي يساوي قيمة الكمية من السلع التي وضعها القرطاجيون في الشاطئ حتى يقتنعون بما فيه الكفاية[6]. تجري هذه المقايضة بين الطرفين بدون ارتكاب أي خطأ يذكر فلا يمسون الذهب إلا بعدما يتأكدون أن الكمية الموضوعة تساوي ما قدموه من بضاعات والآخرون[7] أي الليبيين لا يمسون البضاعات إلا بعدما يأخذ القرطاجيون الذهب[8] وهذه الرواية تبين لنا مظهر التبادل ما بين القرطاجيين والليبيين الذي كان سائدا.

الذهب والمقايضة

أما الحدث الجديد في هذه الرواية التي أوردها لنا هيرودوت تتمثل في وجود الذهب في المبادلة التجارية في مرحلة تاريخية قديمة ما بين شعبين، وهناك أيضا إجراء المقايضة الذي لها طابع مثالي ونلاحظ مظهر سلوك التجول من أجل بيع سلعة أخرى والذي شد انتباه المؤرخين في هذه المقايضة التي يذكرها لنا هيرودوت هو إيقاد النار التي يتولد عنها الدخان وما يتبعه من ذهاب وإياب ما بين الشاطئ والسفينة ثم هناك ظاهرة الصمت أو السكوت أي معنى هذا القيام بالمقايضة بالإشارة لا غير فهم لا يتكلمون لسبب واحد[9] وهو أنهم لا يشاهدون بعضهم بعضا عن كثب أي القرطاجيين والليبيين ولكن هناك رفض لحدث وجها لوجه لأنهم يرفضون إقامة خطاب أو مخاطبة كلامية[10] على الأصح فهناك حالات تؤخذ في الحسبان وهي ظاهرة المساومة والتي تجري بدون كلام ولا إشارات[11].

5 - Hérodothe Stéphane Gsell texte relatifs l'histoire de l'Afrique du Nord p 35 du livre IV chapitre CI XVIII.
6 - Id Ibid p 35.
7 - Id Ibid p 35.
8 - Id Ibid p 35.
9 - M. Gras,p. Rouillard, J. Teixidor, l'Univers Phénicien p 108
10 - Id Ibid p 108.
11)- Id Ibid p 108 .

وهذه الممارسة أي المقايضة لا تضع في نفس الخط والمقام القرطاجيين والليبيين، فالقرطاجيون كانوا سادة اللعبة أي الصفقة، فالقرطاجيون لا يذهبون مادامت كمية الذهب غير كافية، وهؤلاء الأهالي يردون حسب الحالة أو الوضعية القرطاجية ففي الظاهر أن القرطاجيين[12] هم الذين يقررون بل يعولون متى يجب أن يبدأون ويوقفون عملية الصفقة أوالمعاملة التجارية ومع هذا فإن المقايضة الصامتة« Le troc ? la muetteث» تعد مساومة مألوفة فالأهالي الليبيون يفكرون في العطاء والمبادلة بالهدايا بينما نجد أن القرطاجيين يتعاملون حسب قيمة البضاعة.

على كل حال فإن هيرودوت والقرطاجيين[13]. يصورون لنا حادثة ميدانية.

وهوأن التجار القرطاجيون يذهبون مرتاحين لما قاموا به من مقايضة ومعهم كمية كافية من الذهب ولكن الأهالي الليبيين يشعرون كذلك بالإرتياح نتيجة للتبادل الذي وقع بالفعل[14].

المحطات الفنيقية ودور المعبد

لقد نشأت المحطات الفنيقية والقرطاجية التي كانت بمثابة محطات الرحلات ذات صبغة تجارية من أجل تسهيل الإتصال واللقاء مع السكان المجاورين من الأهالي الليبيين أو الإثيوبيين في إفريقيا[15].

وكانت النواة الأصلية للمؤسسة الفينقية تتمثل في المعبد Le sanctuaire ففي طاسوس وهي جزيرة تقع في شمال بحر إيجة التي استوطنها الفنيقيون قبل استعمارها من طرف اغريقي باروس PAROS في القرن السابع قبل الميلاد،

12 - Id Ibid p 108.
13 - Id Ibid p 108.
14 - Ib Ibid p: 108.
15 - Ib Ibid p:108.

والأمر يتعلق بمعبد هراقليسHERACLUS، حسب معطيات علم الآثار فلم تقدم معلومات حتى الآن إلا ما تعلق بالمعبد الإغريقي[16] هيرقليس، ولكن الأبحاث الجارية ستسمح في يوم من الأيام من احتمال العثور على عبادة سابقة تعود إلى حقبة المعبود الفنيقي ملقارت (أي ملك القرية) (أو ملك المدينة) وهو المرادف الفنيقي لهذا الإله الإغريقي[17]. وحسب ما يذكر سترابون فإن معبد ييرون (Ieron) تم تشييده في شرق الجزيرة بينما بنيت المدينة في غربها.

مهـام المعبـد

فيما يخص الدور المنوط بالمعابد في العالم الفنيقي بمنطقة غرب حوض المتوسط وفي قرطاجة نجد أن هذه الظاهرة أو الحادثة التاريخية لا تقتصر على الفنيقيين وحدهم أي ليس لها طابع فنيقي خصوصي بل إن إقامة معبد في التصور القديم أو في العقلية القديمة هوإجراء طبيعي حيث يجري ذلك تحت حماية العبادة المقدسة عندما يتم الإستيطان، والإقامة في جهة معينة، ومما يجب أخذه بعين الإعتبارهو أن المعبد ليس مقرا حيث نجد أسلوبا معماريا مميزا فحسب بل هناك وحدة ذاتية للإنتاج أي هناك بنية أو هيكل في حالة استعداد لإقامة مبادرات وهذا بفضل حياد المكان، مع العلم أن المعابد تعد بمثابة ملاذ للاجئين وعلى الخصوص العبيد الفارين حسب ما يذكره هيرودوت[18] عن معبد هيراكليس الموجود على ضفاف النيل، والذي كان للمعبد وزن في المجتمع المحلي، مما يجعلنا نأخذ في الحسبان أنه لا يمكن فهم نظام المبادلات مع تجاهل دون المعبد في هذا الشأن.

ونجد أن الكهنة موجودون ولهم مكانتهم في التوسع الفنيقي، ففي رودس يعود لهم الفضل في الأصل للإستيطان الفنيقي[19]. وقامت عليسة التي جاءت من صور وقد توجهت إلى قرطاجة أو قرط حدشت بالفنيقية، وأخذت معها خلال سفرها

16)-VAN Berchem, "Sanctuaire d'Hercule Melquart" Syria XL IV ñ 1967 - p 73
17)- Ib Ibid p:73
18) -Hérodote, Oeuvre complète II p. 113.
19) -Mr Gras P. Rouillard,J. Texidor, l'univers phénicien p. 109.∂

الكاهن، وكانوا يؤدون بل يقدمون عطايا سنوية لمعبد ملقارت في مدينة صور الفنيقية[20].

وكان المعبد بمثابة عنصر تأسيسي ومحطة تبادل تجاري أي أمبوريون Emporion ونجد اسم أمبوريا هذا في المدينة الحالية الموجودة بالقرب من برشلونة الإسبانيةLORONTE والتي تعني عند الإغريق كمكان يتم تهيأته مسبقا للمبادلات التجارية وإن المختصين في الأنتربولوجيا الإقتصادية منهم العالم المجري البولاني POLANY (1886م- 1964م) يحدد خصوصيات هذه الأماكن التي نجدها قائمة في المجتمعات الحديثة التي مازالت إلى اليوم تمارس مبادلات بصفة بدائية وخاصة أثناء التعامل بالنقود[21].

إن ميناء التجارة هذا (The port of Ttrode) يعد مكانا محايدا يتم مراقبته عن طريق سلطة الأهالي في الناحية وهي موجودة[22] بصفة عامة على شاطئ أو ساحل أو بالقرب من ضفاف النهر أو بالقرب من الميناء، أوعلى ضفاف ونوكراتيس على النيل، هذه أمثلة دائما يتم ذكرها ولكنه لا بد أن نعلم أن هذه المحطات التجارية كانت موجودة بكثرة، ونستطيع أن نقول أن جميع هذه المحطات[23] الساحلية لم تكن في أول وهلة.

على كل حال فإنه مع وصول الفينيقيين أجداد القرطاجيين وماجاء بعد ذلك من أحداث، كتأسيس مدينة قرطاجة الذي سلف ذكرها في 814 ق. م، وقد كان لهذا التأسيس الجديد لعاصمة الإمبراطورية القرطاجية أبلغ الأثرفي المسار التاريخي والحضاري لإفريقيا الشمالية، حيث خرجت هذه المنطقة من الظل والعزلة الحضارية التي كانت عليها من قبل وأصبحت البلاد الإفريقية النوميدية ميدان نشاط مكثف في النواحي الإقتصادية، والسياسية والعسكرية،والثقافية لقرطاجة كقطب حضارة مرموق لها الفضل الكبير في رقي وتطورالليبيين.

20 - Ployble XXXL, 1,2,3,14 Diodore XX,14,2 Arrien p. 109.
21 - Mr Gras p. Rouillard, J. Texidor, L'univers phenicien P. 109.
22 - Id Ibid 109.
23 - Id Ibid P. 109.

هذا مع العلم أن ضياع مكتبة قرطاجةLibre Punici التي تحدث عنها هيرودوت وسالوست، وبلين القديم، والقديس أوغسطين، وهذا الضياع يعد خسارة كبرى للحضارة الإنسانية ويجعلنا هذا الوضع في صعوبات شتى لنتعرف حول المساهمات الحقيقية والشاملة للحضارة القرطاجية ولاسيما في الميدان الفكري حيث كان للعلماء القرطاجيين رصيد علمي مرموق جاء ذكره في الكتب البونية التي ضاعت مع الأسف بعد حرق مكتبة قرطاجة على يد الرومان[24].

ومن حسنات تأسيس قرطاجة على يد الفينيقيين أنه أدى إلى تفتح العالم الليبي على التيارات الاقتصادية والثقافية القائمة في شرق حوض البحر المتوسط وكانت المحطات الفنيقية والقرطاجية في كل من الجزائر والمغرب الأقصى، ثم ليبيا مرتبطة بقرطاجة، غير أننا نجهل طبيعة العلاقات التي تربط بينهما، فقد كانت من ناحية القانون الدستوري على ما يظهر تسير في فلك قرطاجة غير أنها تحتفظ لنفسها باستقلال محلي، لا سيما فيما يخص التسيير الإداري أو ما يعرف في هذه الأيام بالمجالس البلدية الخاصة كذلك أدخل القرطاجيون بناء على ما تشير إليه الكتابات التاريخية مفاهيم تكوين الدولة وتنظيم الحكم.

كما هو معلوم فإن القدماء، وعلى رأسهم أرسطو كانوا قد مدحوا الدستور القرطاجي ووصفوه بأنه أحسن دساتير معاصيرهم وظهرت بل برزت مدن ساحلية وداخلية عديدة في بلاد المغرب القديم تمتعت بكيانها الخاص في نطاق الكيان العام القرطاجي نذكر من تلك أوية OEA طرابلس وصبراته بليبيا وتابسوس وحضر موت (سوسة) وكركوان ثم بنزرت في الساحل التونسي.

يضاف إلى تلك كامل مستوطنات الساحل الجزائري مثل هيبون (عنابة) ثم صلداي (بجاية) وإيكوسيوم (مدينة الجزائر)،وتيبازة، وتمودة، وطنجة، وليكسوس في المغرب الأقصى.

---

24 - Saint Augustin Lettre XYII.; Voir mohamed Fantar, FranÁois Décret L'Afrique du Nord dans l' antiquité, p. 64-65.

ومما يجب ذكره أنه بمرورالزمن تحولت بعض المراكز الفنيقية إلى مستوطنات ومدن قارة تجمع حولها الليبيون لتسويق بضائعهم المتمثلة في جلود الحيوانات وريش النعام والذهب وبعض المعادن الأخرى غير المصنعة وبالمقابل كانوا يبتاعون من التجار الفينيقيين كل أنواع الزينة والأواني المصنعة الزجاجية منها والمعدنية والخزفية[25].

مستعمرة ولا تحصينا عسكريا ولا إقامة سكانEmporia قبل أن تصبح لها مهام تجارية هذا ويجب التذكير أن المؤسسات الفينيقية السابقة للإستيطان القرطاجني على الأرض الليبية كانوا بمثابة محطات تجارية من نوع EMPORIA أمبوريا، وكانت قرطاجنة الفينيقية في القرن الثامن قبل الميلاد، وفي القرن السابع قبل الميلاد شيء آخر غير هذا على كل حال نظرتنا تتغير بالحقائق المتعاقبة فلقد كانت المحطة التجارية لها وظيفة تقنية فهي عبارة عن رصيف ولكن نجد أن المعبد كان بمثابة البنية -المفتاح[26] فهو يتحكم في الثروة ويؤمن ذخيرة السلع ويسمح المعبد بممارسة الدعارة المقدسة التي كانت إحدى المميزات للمحطات التجارية Des Emporia.

لكن مع هذا فإن المحطة التجارية ليست بالضرورة سوق اقتصادية للناحية ولكن كان لها طابع مربط (أو محطة ترحيل) أي بمثابة همزة وصل، فالمحطة التجارية ومعابدها كانت بمثابة أماكن لقاء بين مجموعات عرقية مختلفة وسكانها كانوا مختلطين وغير مستقرين مستعمرة ولا تحصينا عسكرياولا إقامة سكانEmporia قبل أن تصبح لها مهام تجارية هذا ويجب التذكير أن المؤسسات الفينيقية السابقة للإستيطان القرطاجني على الأرض الليبية كانوا بمثابة محطات تجارية من نوعEMPORIA أمبوريا.

وكانت قرطاجنة الفينيقية في القرن الثامن قبل الميلاد، وفي القرن السابع قبل الميلاد شيء آخر غير هذا على كل حال نظرتنا تتغير بالحقائق المتعاقبة فلقد

25- د. محمد الصغير غانم المملكة النوميدية والحضارة البونة ص 36 وانظر أيضا لمزيد من التفاصيل المرجع المكتوب بالفرنسية:

D. Mohamed fanter et François Decret: L'Afrique du Nord, Dans l'Antiquité,P:46.

26)- Id Ibid P. 109.

كانت المحطة التجارية لها وظيفة تقنية فهي عبارة عن رصيف ولكن نجد أن المعبد كان بمثابة البنية - المفتاح[27] فهو يتحكم في الثروة ويؤمن ذخيرة السلع ويسمح المعبد بممارسة الدعارة المقدسة التي كانت إحدى المميزات للمحطات التجارية DesEmporia، لكن مع هذا فإن المحطة التجارية ليست بالضرورة سوق اقتصادية للناحية ولكن كان لها طابع مربط (أو محطة ترحيل) أي بمثابة همزة وصل، فالمحطة التجارية ومعابدها كانت بمثابة أماكن لقاء بين مجموعات عرقية مختلفة وسكانها كانوا مختلطين وغير مستقرين. فيما يخص الطريقة التي كان الفينيقيون يتعاملون بها مع الأجانب، فنجد في أسماء الأعلام بقرطاجنة وفي مدن فنيقية في ما وراء البحر سلسة من الأسماء لأشخاص تتكون من عنصر "جار" باللغة الفنيقية ولها نفس المعنى بالعربية جار وبمعناها القريب من المسكن وفي اللغة الفنيقية نجد اسما مقدسا له طابع ديني مثل جار ملقارط[28]، وجار عشتارت.

ولكن مصطلح جار في اللغة العربية التوراتية يعني الغريب أوالأجنبي[29]، والتي تم دمجه في الحياة الدينية للبلاد، أما الترجمة الإغريقية للمصطلح العبري فاستعمل للتعبيرعن ذلك بكلمة بروسيليت (Proselyte) وهكذا يمكن أن نعتبرأن الإنسان الذي له اسم من هذه الشاكلة في المؤسسات الفنيقية لما وراء البحر كان بمثابة فرد مندمج بصفة جزئية لأنه تم حمايته عن طريق آلهة مقدسة فنيقية، وعلاوة على هذا فإن وظيفة المعبد تبدو أساسية.

وفي هذه الحالة يمكن اعتبار المعبد والمحطة التجارية كأماكن للمبادلات بين القرطاجنيين والليبيين في فترة هامة من تاريخ قرطاجة.

---

27) -Id Ibid P. 109.
28) -Id Ibid P . 109.
29) -Id Ibid P. 109.

القرطاجيون والليبيـون المزارعـون

قبل الإستمرار في دراسة الروابط التي كانت تجمع القرطاجنيين بالليبيين أوالليبوفنيقيين، أود أن أضع في الحسبان مسألة هامة أو قضية هامة تخص الأراضي الليبية التي أدمجت وألحقت بقرطاجة[30]، فالمؤرخ الفرنسي ستيفان قزال يعتقد عدم معرفته بأحوال المدن البحرية، مع قلة معرفته حول الأراضي التي أدمجتها قرطاجنة بإفريقيا في القرن الخامس قبل الميلاد، والتي تم توسيعها بالتأكيد في عدة فرص ومناسبات وحددت هذه الأراضي بواسطة خندق. وهذه الأراضي القرطاجنية لا يدخل في نطاقها الأراضي الإستيطانية الفنيقية والبونية المشتتة على طول السواحل التي تحد قرطاجة[31].

والسؤال الملح الذي يطرح هل كانت الدولة القرطاجنية تعلق صراحة ملكيتها للأرض على طول مساحة البلاد التي يتم غزوها.. .؟ فيرد على ذلك ستيفان قزال هذا ما نجهله[32]. على كل حال فإن القرطاجيين حصلوا على أراضي زراعية

وأصبحوا مالكين لتراب أصبح فيما بعد بمثابة مزارع خاصة[33]، وكانت الجمهورية القرطاجية تطالب بأتاوات تشهد على حق امتيازي لها الذي لم تسع إلى إلغائه أو العدول عنه في هذه المزارع والمساحات المترامية الأطراف. وربما في أراضي أخرى حيث نجد أن الدولة احتفظت بملكيتها الكاملة واستغلالها، والتي كان يعيش فيها عبيد تم توطينهم في أعمال زراعية[34]. وهناك الآلاف من العبيد شاركوا في ثورات في بداية وأواسط القرن الرابع قبل الميلاد. واستخدمت قرطاجة أسرى الحرب من أجل زراعة الحقول[35].

30 - Gsell Stephane Histoire encienne de l'Afrique du Nord tome II , P. 299.
31 - Id Ibid p. 299.
32 - Id Ibid p. 299.
33 - Id Ibid p. 299.
34 - Id Ibid p. 299.
35 - Diodore XIV,77,3 et voir Gsell Stéphane,Histoire ancienne de l'Afrique du nord t 2,p300.

وقد كان هناك أصلاً جزء كبير من العبيد الليبيين الريفيين يعملون كخدم في المزارع، ولكن ليس لنا علم هل كان لهم أسياد قاموا بإسكانهم للعمل في أراضي عمومية أو تم التزامهم العمل في أراضي خاصة، ولا نعلم أين كان هناك مزارعون ليبيون أحرار وأصحاب مزارع[36] يعملون في أراضي البلاط النبا القرطاجيين يتمتعون بكراء الأرض على المنوع الزراعي الذي يتطلب الأرض الفلاحية، مثلما هو كان سائد مع الكولون الرومان إلى الفلاحين الرومان أصحاب المزارع الإفريقية الكبرى إبان العهد الروماني[37] وكان الليبيون النوميديون الأحرار الذين كانوا يقطنون في الإقليم البوني في وضعية غير مؤكدة، لا سيما أنهم كانوا تحت هيمنة القوة العسكرية ويخضعون لوضع العبيد حسب القانون المعمول به[38].

وفيما الليبيين المحرومين من ذلك فقد كانوا يتمتعون بملكية الأرض، أجلاهم ولكن كانوا مهددين بنزع الأراضي التي يحوزونها وطردهم من المساكن التي بنوها وهكذا نجد أن هؤلاء انتقلوا لمزارع معزولة.

علاقة قرطاجة بالليبيين في المدن المجاورة

فيما يخص علاقة القرطاجيين بالليبيين الذين كانوا يسكنون في المدن المجاورة لقرطاجة لا نعلم تماما كيف كانت علاقة هؤلاء بالإدارة القرطاجية[39]

وحسب ما أورده أوريليوس فإن هناك يشوبه نوع من الغموض فيما ذكرنا، أناس من الشعب الخاضع للحكومة القرطاجية في الريف مجاورة لقرطاجة من أجل ممارسة وظائف هامة. هل كان ينتظر منهم ضمان تنفيذ الأوامر الضرورية على المستوى الإداري أو كانت مسؤوليتهم تقتصر على مراقبة السلطة؟ وإذا تساءلنا مع القول بأن هذه الفرضيات ليس لها سند

36)- Id Ibid P300 Gsell Stéphane
37)- Id Ibid p. 300
38)- Id Ibid p. 301
39)- Id Ibid P. 301

[illegible] troupes auxiliaires [illegible] (Commandant des [illegible] [42] [illegible] [43].

مكانة الليبوفينيقيين في الإمبراطورية القرطاجية

[illegible]

40- Ibid. P. 301.

41- Polybe, I, 67.

42- Gsell, S., Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T. II, P. 303.

43- Ibid. T. II, P. 303.

44- Voir Mohamed Fantar, [illegible]

المصطلح البوني المستعمل على يد حنون لتعيين هذه المستوطنات التي كان يقطنها الليبيوفينيقيين الذي نعثر هذا المصطلح في الترجمة لإغريقية لرحلة حنون.

إذن يصعب تحديد المفهوم بدقة كاملة ولكن مع هذا لا بد من أخذ بعين الاعتبار أن الليبيوفينيقيين نلاحظ وجودهم[45] قبل إنشاء قرطاجة في القرن التاسع قبل الميلاد ودخول روما إلى مسرح الأحداث في إفريقيا الشمالية، والتساؤل المطروح في هذا المقام هل أن الليبيوفنيقيين يعني أولئك فينقيين البلاد الليبية؟ [46].

أم مواطني المدن الفينيقية الخاضعة إلى سلطة قرطاجة ؟

على كل حال فإن المؤرخ الفرنسي ستيفان قزال تبنى فكرة على ن الليبيوفينقي له معنى إدراة وله صبغة بونية، ويدل على أولئك الليبيين الذين كانوا يتمتعون بنفس الحقوق المدنية التي كان عليها المواطنون القرطاجيون في مدينة قرطاجية[47] والذين كان لديهم مؤسسات بلدية موازية. هذا مع العلم أنه كان يوجد ثلاثمائة ألف مواطن بقرطاجة، وفي هذه المدينة بالذات جرى ضغط ديموغرافي كان بمثابة مواجهة هجرة ذات نطاق واسعا، فكانت هناك مجموعات كبيرة من الوافدين على العاصمة القرطاجية حبا في مغرياتها المادية[48].

وخلق ذلك نوع من البطالة مما جعل الدولة القرطاجية تبحث عن مخرج لهذه الأزمة والضيق، فبحثت في وسيلة ذهاب هذه الجموع الوافدة على قرطاجة فوجدت الحل في تنظيم رحلات بحرية منها رحلة حنون التي كانت تهدف إلى الاستكشاف وفتح آفاق ومستوطنات جديدة ترفع عن مدينة قرطاجة أعباء التدفق الديموغرافي[49] على العاصمة القرطاجية.

45)- L'Afrique du Nord dans l'antiquité
46)- ID Ibid P60
47)- ID Ibid P 60
48)- Gsell Stephane hist, ancienne de l'Afrique du Nord T. I p 477
49)- Fautre, et décret, l'Afrique du Nord dans l'antiquité P . 61

وحسب ما يذكر تيت ليف فإن الليبيوفينيقيين كانوا بمثابة عناصر بشرية تنتمي إلى دم مختلط من الناحية العرقية، نصفه فينيقي والنصف الآخر ليبي[50] ويمكن أن نقول أنهم ينتمون إلى ثقافة مزدوجة وهي عبارة عن زرع ثقافي أو بذرة ثقافية ومعنى هذا أنه في الميدان العرقي نجد أن العنصر الفينيقي الذي جاء من المشرق العربي كان يمثل أقلية بالمقارنة مع السكان المحلين، حيث جرى بسرعة اندماجه، وفرضوا نظم وعادات، أو مميزات خاصة تطبع الحضارة الفينيقية، وهذا الإندماج المتبادل كان يتطلب فترة طويلة، قد تم ذلك في عهد كان لقرطاجة أمبراطورية معتبرة في الحوض المتوسط، هكذا فإن قرطاجة لم تعد مدينة فينيقية بإفريقيا ولكنها مدينة إفريقية أن ثقافتها يطبعها الطابع الفينقي وهو الغالب أو المرجح[51].

ومما يجب ذكره أن الحضارة البونية في إفريقيا الشمالية تمثل ثمرة تعاون حميم وهي تظهر ويمكن تشخيصها في معالم أثرية نتيجة هذا التعاون والتفاعل الحضاري منها مقام دوقة بتونس. الذي سوف نتعرض إليه بالدراسة في مقام لاحق، وإن المهندس الذي شيد هذا المقام اسمه أتبان، وهو اسم ليبي[52].

أما المدارس في منطقة باتنة وقبر الرومية في ولاية تيبازة بالوطن الجزائري فهو يثمن ماديا ذلك التعاون الليبي- الفينيقي.

هذا مع العلم أن لروافد الفينيقية مع العناصر والتشكيلات المختلفة التي من أصل سامي وهناك الدور السوري والفلسطيني واليوناني والمصري سامي الذي فرض نفسه في هذا الشأن لدى عين المتفرج أو المشاهد لهذه الآثار.

ويرى السيد محمد حسين فنطر الذي قام بتوجيه حفريات وترأس البعض منها في مواقع أثرية بونية بتونس ونضرب مثلا تابسوس[53] بالساحل التونسي، فقد استطاع السيد فنطر أن يقدم نتيجة مفادها أن هناك أثر كبير للمساهمة الليبية في الآثار القرطاجية أوالبونية حيث نلاحظ خليط ليبي فنيقي نشاهد عن كتب في

50 - Id Ibid P. 61.
51 - Id Ibid P. 61.
52 - Id Ibid p. 61.
53 - Id Ibid P. 62.

النصب والمقامات فهي تنتمي بصفة عامة إلى العالم السامي فالتقنية والألوان، والمثلثات لها عمق ليبي أي له طابع ليبي عميق فإنها تمثل لقاء عالمين ثقافيين. ففي المقبرة البونية بتابسوس[54] Thapsus تسمح لنا بالتعرف على أشكال معمارية[55] تنتمي إلى الجواهر المحلي ويبدوا أن القبر عبارة عن مسكن تحت الأرض مع وجود درج يؤدي إلى بهو مفتوح[56] وفيه غرفة جنائزية.

مدينة تابسوس ذات التأثير المخضرم

وكما يبدو فإن مدينة تابسوس فهي مدينة إفريقية يظهر عليها التأثير البوني، ففي هذه المدينة عثر على مقبرة بونية كما سلف ذكره في مقام سابق استطعنا أن نتعرف على الأشكال المعمارية ذات الطابع الليبي وفي مدخل الغرفة الجنائزية أن الرجل المدفون يدعى بنن بن نزاريس Bnn bn nzrs وهما اسمان ليبيان يفصل بينهما أداة النسب الفينيقية أي بن وهناك من يرى أنه في تابسوس. يلاحظ وجود أهالي ليبيين أصلا ولكنه تم تأثيرهم الشديد بالظاهرة السامية أي Sémeitisée وأهلها متفتحون بشكل واسع على الثقافة الفينيقية وهذه كظاهرة لهذا اللقاء البناء لثنائية ثقافية مع العلم أن مقبرة تابسوس البونية يمكن اعتبارها من نوع الليبيوفينقية. وتعتبران مدينتا تابسوس وكركوان ضمن المدن الواقعة داخل تراب قرطاجة.

مدينة كركوان البونية

توجد كركوان في أقصى الوطن القبلي على ساحل البحر المتوسط بين مدينتين هما قليبية والهوارية وحسب ما وصلنا من روايات شفوية ورسوم اسمها المتداول في الماضي تامزراط وهو اسم علم لوبي الأصل وهو يبين وجود أهلي محلي[57]، وإن الأثر والحضور البوني في كركوان أو تامزراط لا يتجاوز القرن السادس قبل الميلاد ولا

54 - Id Ibid P. 62.
55 - Id Ibid P. 62.
56 - Id Ibid P. 62.

57 - أنظر د. منير فنطر، مدينة كركوان ص 1 مطبوعة مكتوبة بالإعلام الآلي للتعريف بالمدينة.

يوجد في هذه المدينة مرسى للسفن ولكن هناك مرفأ بسيط بل أقل من مرفأ وساحل المدينة فتحتان في جنوبها وشمالها تؤممها مراكب صغيرة وزوارق. ويحمي مدينة كركوان سور بجداريه المتوازيين مع أبراج رباعية الشكل ويمتاز الجدار الداخلي[58] بحصن مقور الجبهة عله أقدم الحصون المعروفة من هذا الصنف في كامل غربي المتوسط وهي ظاهرة جديرة بالتنويه إثراءا لمعرفة العمارة العسكرية وتحصين المدن وللجدارين بوابات ومداخل للنجدة والهجومات الفجائية، فضلا عن المدارج التي تؤدي إلى درب المراقبة، ويوجد ممر عرضه عشرة أمتار يفصل بين الجداري لتيسير حركة الجنود عند الإقتضاء. وفيما يخص التهيئة العمرانية فلقد تم تعرية جزء كبير من مدينة كركوان وتبين أن لها نسيج معماري أشكاله متعامدة ومتقاطعة فشكل المدينة يشبه رقعة الشطرنج وتتوزع وحداتها على معالم ورحاب تفصل بينها شوارع مستقيمة عريضة ومتعامدة، بعدما تم كشف الغطاء الترابي بعد الحفريات[59] الأثرية حيث عثر على مجموعة كبيرة من البيوت التي يوجد فيها أحيانا مخازن تفتح على خارج البيت وداخله كما أسفرت الحفريات على إظهار فضاءات مقدسة أي معابد، ومدافن أي قبور جنائزية وكل ذلك تعرض إليها الدكتور محمد حسين فنطر في أطروحته لدكتوراه الدولة التي هي في الحقيقية ثمرة جهوده في حفريات كركوان البونية.

والبيت البوني من ناحية شكله ونظامه فهو ينتمي إليالبيت أوالمنزل المتوسطي، وهو يفتح على الشارع وله ممر وفناء يزوده نورا ساطعا وهواءا نقيا، وفيه بئر، والغرف تفتح على الفناء فيفتح المجال للنور والهواء بشكل كافي. واهتم أهالي مدينة كركوان بأمور الرفاهية والنظافة فنلاحظ وجود غرفة خاصة بالحمام[60] تتكون من ممر بجانب حوض الغسل، وهذا الحوض في الغالب على شكل حذاء، ويوجد مقعد يجلس عليه المستحم مستفيدا[61] من ماء يوضع في أحواض رباعية

58- نفس المرجع ص 2.

59 -Voir Dr Mohamed H'cine Fanter, KerKouane, thèse du docorat d'état, soutenue en France sous l'égide Gelbert Picard en 3 tomes.

60 – د. منير فنطر، كركوان ص 2.

61 – نفس المرجع ص 2.

الشكل صغيرة تتصل بها أنابيب رصاصية توجد بمائها، وينتهي الماء بعد الغسل إلى قنوات يجوبونها في حجر رملي تمتد محتذية سفح الجبل حتى تدرك خندق الإفراغ. ورب سائل ما هي مساحة المدينة وعدد سكانها وتعداد بيوتها واتساعها، وما هي ملامح الأسرة القرطاجية في هذه المدينة[62].

والجواب على هذه التساؤلات مرتبط بالمعطيات التاريخية التي هي في حوزتنا، وكما هو معلوم أن مساحة المدينة لا تتجاوز تسعة هكتارات وعدد سكانها ينيف عن ألفين وخمسمائة نسمة (2500 نسمة)، وهو عبارة عن رقم تقديري نسبي لا غير لا نستطيع تحديده بكل دقة مع العلم أن الأسرة الواحدة المقيمة في البيت البوني كان عددها يتراوح بين خمسة وسبعةأفراد.[63].

هذا مما يجب ذكره أن السور الذي يحيط مدينة كركوان بني في القرن الرابع ق. م وكان هناك نظام نظام دفاعي لهذا السور،ويوجد في الجهة الغربية للمدينة سور يعود إلى القرن الثالث ق. م، وباب المدينة موجود بين السورين، ويوجد باب في الجهة الغربية من المدينة ربما استورده الفينيقيون من المشرق إلى كركوان.

وقلب المدينة يقع في جهة البحر، وقبل اكتشاف كركوان كان الناس يعتقدون أن الفينيقيين لم يعرفوا تخطيط المدينة، وأن ذلك من إبداعات الإغريق ولكن بعد اكتشاف كركوان تغيرت الأمور وأصبح الإعتقاد السائد أن البونيين كانوا يعرفون نوعا من التخطيط العمراني. وأقدم ما اكتشف من الغطاء الأثري البوني في كركوان يعود إلى القرن السادس ق. م، وهذا لا يعني أنها أسست في القرن السادس ق. م كما يرى د. محمد حسين فنطر[64] الذي يعتقد أنه قد تكون أسست المدينة قبل ذلك ولكن ليس لدينا ما يثبت ذلك، والدليل على أن التأسيس جرى في القرن السادس

62 – نفس المرجع ص 2.

63 – نفس المرجع ص 2.

64 – هذه وجهة نظر د. محمد حسين فنطر صرح بها إلي في ندوة حفريات كركوان التي جرت من 12 إلى 24 غشت 2002 م.

ق. م هو وجود إبريق عثر عليه في الحفريات وهو نوع من الفخار الإغريقي (وهو موجود في متحف كركوان) يثبت هذا التأسيس سالف ذكره. ولا وجود لنصوص قديمة تشير إلى مدينة كركوان حسب د. محمد حسين فنطر[65] ولكن هناك بعض النصوص يبدو أنها تلمح أو تتعلق بهذا الموقع، ومن المصادر الموثوقة ما ذكره الكاتب الإغريقي أو المؤرخ الإغريقي بوليبيوس[66] الذي تحدث عن القنصل الروماني ريغولوس وكيف أنه مر ريغولوس هذا بالوطن القبلي وحطم المدينة وباع سكانها في الأسواق أي في القرن الثالث ق. م، وفي الحرب البونية الأولى تم تحطيم مدينة كركوان تحت قيادة ريغولوس.

وهناك نص آخر لديودور الصقلي ذكر الرخاء الذي كان يعم منطقة الوطن القبلي الذي تقع فيه كركوان بحيث كان مندهشا لذلك. ومعنى كركوان كاسم علم يدل على الجهة، ويرى د. محمد حسين فنطر أن اسم المدينة الحقيقي ربما هو تامزارت[67] التي تعني هنشير تامزارت، وكانت عبارة عن قرية بربرية تم أو جرى تعميرها على يد القرطاجيين.

وتامزارت هذه لها عمق محلي في الهندسة المعمارية وتوجد أسماء لوبية، وكان هناك عنصر لوبي في المدينة، وهؤلاء كانوا فخورين بلوبيتهم، وأول من اكتشف كركوان على يد شارل سومان Charles Soumagne وهو صياد فرنسي وباحث، اكتشف جزء من اللقى الأثرية على شاطئ البحر محاذاة من المدينة القرطاجية، وبعد البحث عرف شارل سومان أنها تعود إلى ما قبل العهد الروماني[68]، وأخبر مصلحة الآثار في 1953 حيث شرع في التنقيب المنظم وممن كانوا ضمن علماء الآثار الذين أنجزوا الحفريات في موقع كركوان هو د. محمد حسين فنطر الذي يعد أول عالم آثار تونسي مختص في عالم قرطاج يتكون في المدرسة الفرنسية

65 – نفس المرجع د. فنطر/ ندوة كركوان من 12 إلى 24 غشت 2002 م ص 5 من المداخلة.

66 – نفس المرجع د. فنطر/ ص 5 من المداخلة التي قدمها في الندوة.

67 – نفس المرجع مداخلة د. محمد حسين فنطر في ندوة كركوان ص 7.

68 – نفس المرجع ص 7.

التاريخية والأثرية هذا مع العلم أن شارل سومان سالف ذكره كان موظفا فرنسيا في الإدارة الفرنسية الإستعمارية بتونس، وكان له ولع بصيد الأسماك، وهوالذي اكتشف كما ذكرت آنفا لقى أثرية بونية فأخبر مديرية الآثار باللقى هذه فتواصلت أعمال الحفر في الموقع إبان الإحتلال الفرنسي لتونس وما بعد الإستقلال الوطني، ولم يكن من قبل هناك تونسي[69] واحد يحسن البحث الأثري القرطاجي.

ثم فيما بعد نلاحظ أن الحكومة التونسية كونت في أول وهلة مجموعة من الأثريين منهم د. محمد حسين فنطر وذلك بعد حصول تونس على الإستقلال، لأن ميدان الآثار من قبل كان حكرا على الاستعماريين ولا يسمح لغيرهم بدخوله.

والآثار بمثابة توعية بالذات، والتاريخ فيه خطر[70].

وبيير سنتاس عالم الآثار الفرنسي يدعي أنه هو الذي اكتشف كركوان، وجرى جدل كبير بينه وبين سومان. والحفريات في مدينة كركوان البونية أصبحت سنة حميدة تجرى كل عام تحت قيادة د. محمد حسين فنطر وقد كان لي شرف حضور حفريات هذا العام والتي جرت ما بين 12 و24 غشت 2002، وقد شاركت في حفرية تخص البيت البوني رقم 2 مع أثرية إيطالية تدعى Cerena BAZONI وشارك معنا شكري طويهري وهو عالم آثار تونسي، وقد تعرفنا على شكل المسكن القرطاجي من ناحية هيكله وطابعه ومخططه فبعد الحفر تم تعرية المسكن من التراب وتعرفنا على بيوته وموقع الحمام والفناء والمطبخ، واستفدنا من هذه الحفرية ولاسيما أنها تهتم بالسكن أو البيت البوني حيث اكتشفنا بعد الحفرية على أجزاء المنزل مما مكننا من فهم كيفية تهيئة واستغلال الفضاء في الفترة البونية وأثناء الحفرية في هذا البيت أو المنزل البوني عثرنا على جرة بونية (أي طين مفخور) في الجهة الجنوبية الشرقية من الغرف الملحقة بالبت البوني وذلك بتاريخ 2002/08/16.

وفي معبد كركوان شارك في الحفرية أو الحفر الأثري مهندس معماري وعالم آثار فرنسي شارك منذ سنين عديدة في حفريات كركوان وهو مارك أوربان

69 – نفس المرجع ص 10.

70 – نفس المرجع د. محمد حسين فنطر ص 10.

داڤانسنسDevancens Marc URBAIN ود. زهرة الشريف رئيسة الإشراف على الفرق الثلاثة المجلد في حفريات مدينة كركوان، وهي باحثة في المعهد الوطني للتراث.

وشاركت في حفرية المعبد هند عرايبي ورانيا الحجام، وكانت العملية في هذا الموقع تتعلق بإزالة التراب عن مدخل المعبد وهي عملية لم تصل الفرقة بعد عملية الحفر هذه إلى مستوى الأرض وعلى كل فقد عثر في موقع المعبدTemple على عملتين برونزيتين.

وفي المقبرة البونية كانت هناك فرقة متكونة من مراد الشتوي وهو أثري تونسي وحامد النتيري من إمارة الكويت وهو عالم آثار قام بحفريات في جزيرة فيلكة الكويتية وشارك في حفريات المقبرة البونية نورية رودريغار كوركول من إسبانيا، وفي الأيام الأولى من الحفر عثر على ثلاث هياكل عظمية وعثر على جرتين في القبر رقم4، وفي القبر رقم 3 تم العثور على جرة ضغيرة وسلسلة من الذهب وعثر على عين لها طابع فرعوني، وفي المقبرة رقم 2 وجدت العديد من الخواتم الفضية وبعض القطع المعدنية المتنوعة التي تعود إلى العهد القرطاجي، أما المقبرة رقم 1 فلم يتم العثور فيها على أي شيء وهذا يعكس الوضع الإجتماعي للمتوفي الذي ينتمي إلى الفئة الإجتماعية الضعيفة، هذه هي حصيلة الحفرية الأثرية في المنطقة القريبة من مدينة كركوان لأن هذه المقبرة تقع خارج المدينة بمسافة 2 كيلومتر تقريبا، والمنطقة التي توجد فيها المقبرة تسمى بعرق الغزواني بالوطن القبلي في الجمهورية التونسية، وهي تجسد مقبر وبونية (أي قرطاجية) تعود قبورها في الغالب إلى القرن الرابع ق. م والقرن الثالث ق. م ولو أن هناك قبور أخرى تعود إلى القرن السادس ق. م.

وفي كركوان عثر د. محمد حسين فنطر على فخار إغريقي، وإن المدينة ومقبرتها هي بمثابة حضور جزء من التاريخ يمثل أربعة قرون تقريبا أي من القرن السادس ق. م إلى القرن الثالث ق. م. ويرى سنتاس عالم الآثار الفرنسي أن تأسيس مدينة كركوان جرى في القرن السادس ق. م.

فالحفريات التي أجريت تبين أن التأسيس جرى في القرن السادس ق. م[71] فهناك فخار عثر عليه يثبت ذلك ويشارك في هذا الرأي العالم الإيطالي الكبير سباتينو موسكاتي SABATTNO Moscati وموريل. Morel والبروفيسورالإيطالي بارتولوني BARTOLONI، بينما يرى المؤرخ الإنجليزي وارمنغتون Warmington أن تأسيس كركوان جرى في القرن الخامس ق. م وليس القرن السادس ق. م[72].

71- Dr. Fantar Mohamrd Hocine, Kerkouane, Tome I, P77.
72 - Id Ibid P 77.

الفصل الثالث

الرصيد الحضاري الفنيقي البوني ومضامينه الأثرية في الجزائر القديمة

إن الرصيد الحضاري الفينيقي البوني في الجزائر القديمة يعد موضوعا هاما يستأثر ويفتح شهية الباحثين المختصين، وهذا الموضوع له علاقة وثيقة ويتمثل أساسا في الحضور الفينيقي والبوني في البلاد النوميدية (بما في ذلك الجزائر القديمة التي تعتبر قلب نوميديا)، والرصيد هذا يتجسد في الحضور البوني في

والفينيقي الذي دام أكثر من ألف عام وعمل أثري محض لأن المادة الرئيسية تأتي من اللقى الأثرية التي حصل عليها الأثريون المختصون بفضل نتائج الأبحاث الميدانية في الشرق الجزائري وغرب الوطن، وكذا في البلاد التونسية والمغربية

وكل هذه الأبحاث الميدانية أدت وعملت على توضيح الرؤى التاريخية لأن هناك استمرارية تاريخية، وكما هو معلوم لمعرفة العهود التالية في التاريخ لا بد أن يكون لنا إلهام عميق بالرصيد الحضاري الفينيقي لكي نتعرف بشكل جلي على الرصيد الحضاري البوني الذي جاء فيما بعد الذي يعد مادة متكاملة من ناحية المضمون.

ويجب علينا كباحثين أن نقوم بشرح وتفسير المعطيات الأثرية الرصيدية وهناك ظاهرة تاريخية لاحظناها في هذا الرصيد السالف ذكره من إفريقيا الشمالية على العموم والجزائر على الخصوص ونلمس ذلك في بوتقة بلاد الجزائر القديمة (أي البلاد النوميدية أو العالم النوميدي) مثلما هو الأمر الذي جرى فيما بعد ألا وهو رومنة Phénisation العالم النوميدي.

وإن مشروع الرصيد الحضاري الفينيقي البوني في الجزائر لا يسمح لنا بالإجابة الشافية كلية أو بصفة كلية على كل التساؤلات المطروحة في تاريخ المنطقة إبان تلك العهود، وتبقى بعض المشاكل العالقة التي لابد من إيجاد حلول لها مثلما هو الأمر المتعلق بدراسة مظاهر هذا الحضور الفينيقي البوني في تلك الديار. وعلى كل حال فإنه لابد من دراسة تاريخ الحضور والرحيل الفينيقي البوني من الديار

الجزائرية .ابتداء من القرن 11ق.م ثمإبان نشأة قرطاجة وازدهارها وأفولها من مسرح التاريخ ولكنها مع هذا فقد تركت بصمات وحضورا في البلاد النوميدية الذي هو موضوع المشروع بالذات، وتتمثل دراستنا فيما يلي دراسة وافية فيما يأتي وتنقسم إلى أقسام :

1- وهو يخص المصادر والمراجع المتعلقة بهذا الرصيد.

2- الجرد العلمي للمواقع الأثرية الفينيقية والبونية في الجزائر القديمة، وهناك دور هام للمتاحف في هذا الشأن.

3- دراسة مستضيفة لعالم الأموات، والمقابر والأضرحة الفينيقية والبونية في الجزائرالقديمة وكذا أشكالها المتعددة، منها القبر الذي هو على شكل بئر، والقبر على شكل بهو ومدخل .

4- الأضرحة الجنائزية والأثاث الجنائزي، ثم القربان الجنائزي القينيقي البوني الذي عثر عليها في إيجيليجيلي، وتيبازة، وقورايا وقالمة وغيرها، مع القيام بنظرة كرونولوجية حول المقابر والأضرحة.

5- دراسة عالم الآلهة الفينيقية البونية في الجزائر القديمة بما في ذلك الأنصاب المكتوبة Les stèles stpigraphique الموجودة في منطقة سوق أهراس وقالمة والقصبة وعنابة وسكيكدة ومعبد الحفرة في قسنطينة والخنق وتيغريرت تقصبيت ودلس وكاب وجانيت وايكوسيوم وتيبازة وشرشال وأرزيو القديمة وتبسة وسوق أهراس ومراورش ولابد من دراسة الحمامات الفينيقية البونية التي عثر عليها وتوجد أيضا قبور على شكل آبار ولابد من دراسة الأضرحة، مثل ضريح سيغا وضريح تيبازة وضريح الخروب وضريح المدراسن وضريح دوقة وضريح قبر الرومية أو ضريح تيبازة الذي كتب عنه بيير سلاما Pièrre Salama دراسة مقارنة العدد الرابع من مجلة وزراء السياحة الجزائرية، نذكر في المقالة المكتوبة بالفرنسية أن قبر الرومية يشبه ضريحا بونيا من ناحية الشكل عثر عليه في منطقة تنس بناحية الأصنام (الشلف اليوم) ولا بدأن ندرس الطقوس الجنائزية في

المشروع نظرا لأهميتها الكبرى، وكذا الأثاث الجنائزي الفينيقي البوني، ويلزم علينا أن نعرج دراستنا إلى الفخار، والطين المفخور ومنه الفخار المتور والفخار البوني، وهناك باب المجوهرات وبيض النعام الزجاج. ونود البحث في الجانب الفني للرصيد الحضاري الفينيقي البوني ؛ لأن هناك مظاهر فنية تتجلى في الأنصاب والفخار الفينيقي البوني.

وهناك يبدو لأهمية القيام بدراسة ميدانية للتصوير والبحث في الرصيد من اللقى الأثرية الموجودة في المتاحف الوطنية كمتحف سيرتا ومتحف عنابة ومتحف قالمة ومتحف سوق أهراس ومتحف باردو بمدينة الجزائر، ومتحف شرشال ولابد من الإطلاع على أرشيفات مهمة في دراستنا هذه مثل دلالات المتاحف منها على الخصوص:

- قائمة متحف علوي Catalogue de Musée de Alaoui
- قائمة متحف الجزائري (مضعف) Catalogue de Musée de Alger
- قائمة متحف قسنطينة Catalogue de Musée de Constantine
- قائمة متحف قالمة Catalogue de Musée de Guelma
- قائمة متحف فيليب فيل سكيكدة CataloguePhilipe Ville
- قائمة متحف وهران Catalogue de Musée d'Oran

ويبدوا أن هناك أهمية قصوى في دراسة النقوش ضمن عملنا حول الرصيد الحضاري الفينيقي البوني في الجزائر القديمة، وكما هو معلوم أن أحدث النقوش البونية في تونس تجدر الإشارة إلى وفرة النصوص التي تعود إلى ما بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م ، ومنها أنصاب في فضاءات مقدسة أقيمت إجلالا لبعل حمون كالتي كان يترد عليها سكان مسكثر ومرديم وتبرسق ودقة وولاس وبورويس[1] وبالنسبة إلى النقوش البونية (والتي تدخل ضمن الرصيدالحضاري البوني) في الجزائر القديمة إلى كشفها المنقبون ويعتبر معبد الحضارة في قيرتا من أكبر

1- Voir Mansour GHAKI, Répartition des Inscriptions Libyque P 104 - 105 Série reppal IX,AFRICA Institut National du Patrououne Tunisie.

L; Galand M.S2nycer, la billingue Lybique, Punique de LIXUS , Semitica XX,1970,p5 - 16

المخزونات على المستوى العالمي من ناحية قيمة ودلالات هذه النقوش والتي ستأخذ حيزا هاما في دراستنا.

مع العلم أن منطقة قالمة وإيجيليجيلي وسكيكدة وسيغن وتيبازة ويول ومنطقة قالمة بما فيها الآثار البونية الموجودة في عين النجمة وغيرها والطارق وايكوسيوم وتغزيرت وكل هذه المواقع تحتوي على نقائش بونية علامة على القانش مزدوجة عثر عليها المنقبون مكتوبة باللوبية والبونية، وهي موجودة في دوقة وتيبورسوق وسكتار وبرج هلال وعين الكبش[1] وعين ناشمة، وعثر أيضا على نقوش مزدوجة مقالتهما بمجلة سيميتيكا المعنون .

ومما يجب ذكره أن النص المزدوج اللوبي البوني الذي عثر عليه المنقبون في كعفور بالوطن التونسي الشقيق لم يتم نشر تفاصيله بعد.

وتتقسم النقائش البونية من حيث أشكال حروفها إلى صنفين كبيرين، نقائش معملية حروفها تحكي الحروف الفينيقية، ونقائش حروفها نسخية مختزلة وعرفت عامة بالنقائش البونية الحديثة[2]، وسميت كذلك لأنها أدركت أوج انتشارها بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م مع العلم أن الحرف النسخي المختزل كان معروف عند القرطاجيين قبل سقوط مدينتهم ولا أدل على ذلك من وجود على أنصاب أقيمت من قدس بعل حمون قربانا وإجلالا له ولرفيقته تانت وتجدر الإشارة إلى نقيشة حروفها نسخية مختزلة سطرت بالقلم والمداد والأحمر على جدار نصب جنائزي تم العثور عليه في مقبرة بونية تابعة لمدينة قليبية العتيقة وكان الإغريق يسمونها أسبيس وتعود النقيشة إلى ما بين نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل ميلاد المسيح[3] ولقد عثر على نقائش بونية في كامل ربوع البلاد التونسية فلم تكن منحصرة على المناطق الساحلية.

1- Id I bid P 105

2- Voir J.G Fevrier , Histoire de llécriture, Paris, p 121 - 122

3- انظر د. فنطر محمد حسين، حول النقائش البونية (إفريقية ص4 مجلة الدراسات الفينيقية البونية و الآثار اللوسة عدد11 المعهد الوطني للتراث تونس.

هذا مع العلم حظيت قرطاج بنصيب الأسد للنقائش البونية، وهناك حضور مميز في مدن ومواقع عديدة منها أوتيكة، وسوسة والديماس والتلالسة وجرجيس، وقليبية، وكركوان، وقرية ثم لابد من ذكر النقائش البونية التى عثر عليها في عديد المواقع بالشمال الغربي، و منها مسكثر وآلاس ومدد الخ، وفي الجنوب الشرقي الصحراوي في مدخل ضريح الحمروني.

ويرى د. فنطر أنه لم يتولى الدارسون إحصاء النقائش البونية التي عثر عليها في التونس ولكن من الثابت إنها آلاف، فمنها ما سجل في القسم الأول من ديوان النقائش السامية Corpus Semitique وبلغ عدد النقائش البونية التي يتضمنها هذا القسم ما ينيف عن خمسة آلاف وهي مجموعة تم العثور عليها في خرائب أخرى عديدة أظهرتها حفريات قرطاجة ولم يتم ضمها إلى الديوان[1] وقد عثر على مجموعات أخرى ما زالت تترقب دارسا أو ناشرا يتولى التعريف بها والإستفادة منها، فليس أحد يستطيع اليوم تقديم كشف شامل يمكن من ضبط عدد النقائش البونية التي ما انفكت تمدنا بالجديد وتثري الرصيد ولا شك أن المجموعات المتوفرة ستعرف نموا مطردا[2] ومن النقائش المنكشفة التي لم تسجل في مدونة النقائش السامية يذكر لنا د. فنطر مجموعات هنشير مدد الواقعة جنوب غربي مدينة مكثر وفي هنشير غياطة، وهناك نقائش عثر عليها بين أطلال بلاريجيا ولمسة وتوسدرة، وفي خرائب مدينة تيباريس كشف المنقبون على نقيشة بونية حروفها نسخية مختزلة ومضمونها نذر موجه إلى بعل حمون[3]. وعلى كل حال فإن وجود نقائش بونية ولو مزدوجة لوبية بونية فهذا يدل على تسرب ودخول الثقافة القرطاجية في أقصى حدود البلاد والموريتانية وهي منطقة ليكسوس الواقعة في المغرب الأقصى على آثار طرد المحيط الأطلسي محاذة لمدينة ضحة ومضيق بجبل طارق.

1 - الطر. نفس المرجع ص 5.

2 - نفس المرجع د. فنطر ص 6.

3 - نفس المرجع ص 6.

هناك من يرى أن إفريقيا الشمالية دخلت إلى المرحلة التاريخية بعدما تعرف عليها الفينيقيون وأقاموا فيها، وأصبحت لهم من سواحل هذا البلاد مصارف ومخازن ومدن قرى مع العلم أن الإشراقة الكبرى تحققت بعد إنشاء قرت حدشت ومن نتائج الحضور الفينيقي القرطاجي إنتشارالكتابة في مختلف ميادين الحياة من تجارة وإدارة وتوثيق وكتب الذين عاشوا في هذه الربوع الفينيقية القرطاجية، ودونوا تجارتهم الدينية والدنيوية وتسرب الحرف إلى المصانع والمتاجروالمعابد والمدافن علاوة على المدارس وفضاءات تضمن ظروف الإبداع، وتجاوز الحرف الديار الفينيقية البونية ليندس وينتشر في الممالك النوميدية مصولية كانت أو مسيصولية. بل تجاوز تخومها ليدرك دنيا الماووريين حتى أصبحت الأغراض أشير إليها مرارا وتكرارا في روايات أوردهـا قدمـاء الإغريقوالرومـان[1].

وقد أخرت عوائد الدهر بالكتب القرطاجية فذهب حلها غذاء للنارالتي أضرمتها الجيوش الرومانية في قرطاجة تأمر من قائدها شيبون إيماليانوس إبان الحرب البونية الثالثة (146 – 149 ق.م) وحول بعضها إلى قصور النوميدية فتوارثها الملوك والأمراء[2].

وتذكر المصادر القديمة أن الدولة الرومانية وضعت يدها على الموسوعة الزراعية التي صنفها ماجون القرطاجي حول مساهماته في علم الفلاحة القرطاجي، وكانت هذه الموسوعة تضم ثمانية وعشرين سفرا تناولت الأرض والفلاحة، ولكن لم يبق منها إلا ست وستون فقرة توشي بأغراض الموسوعة وأهدافها ففيها فصول مطولة حول الزراعات الكبرى[3].

أما عن كتب البونيين الأخرى فقد كانت كثيرة العدد مختلفة الغرض فلم يبق منها إلا بعض إشارات عابرة تضمنتها مصنفات الأقدمين، ومن بقايا تلك الكتب البونية

---

1 – نفس المرجع ص 1، وانظر لمزيد من التفاصيل Gsell Stephane,Histoire Ancienne de l'afrique duNor, TOME I,1913 et voir Auguste Andolleur, Carthage Romane p.1 Paris 1901/

2 - أنظر د. محمد حسين فنطر حول النقائش البونية و الآثار اللوبية ص1 – عدد 11 تونس.

3 - نفس المرجع ص 3.

أختام من طين ساعد الحريق الذي التهم قرطاج على تمتينها فضمن لها البقاء وهي أختام ترتدي شكل أقراص عليها صورا مختلفة كانوا يختارونها لأهداف يعسر علينا التعرف إليها والوقوف على كنهها[1]. فما تبقى من كتابات البونيين يتمثل في نقائش سطرت على مواد قادرة على العمود كالحجارة بأنواعها من الكلس ورخام وحجر رملي وغيرها، وهذه نقائش أخرى سطروها على العظام، والعاج،والطين المفخور، ومفاخر معدنية، ونقود، ومجوهرات نذكر منها نوطا من ذهب عثر عليه في أحد القبور القرطاجية، وتوجد نقائش بونية سطرت على الرصاص أو على الجلد[2] ثم لابد من ذكر النقائش التي حفرت على واجهات بعض الأطرحة وتلك التي كتبت بالقلم والحبر على جدران بعض الغرف الجنائزية وغيرها[3].

إن نقوش معبد الحفرة في قسنطينة يعد كشاهد حي على دخول الثقافة البونية وتسريبها إلى المناطق البونية الداخلية، وأود أن أشير أن هناك قسط كبير لمساهمة الأهالي اللوبيين كمشاركين في الحضارة البونية مع العلم أن هناك شخصيات بونية تركت بصماتها في تاريخ قرطاجة مثل جنون وأميلكار، وحنبعل الذين يعودون بنسبهم إلى فينيقيا، ولكن ليس في مقدورنا تأكيد ذلك أو نفيه، وهذا ليس مستبعدا، وإن اختلاط الدم والثقافة يعد كحقيقة تاريخية[4].

وإن الآثار البونية في معبد الحفرة بقسنطينة حيث جرى عبادة تانيت وبعل حمون وهما المعبودان الرئيسان في قرطاجة تمثل نوعا من بونقة مدينة قيرتا بصفة عميقة ويمكن أن نعتبرها مدينة ليبوفنيقية .

ومادمنا في سياق الحديث عن نتائج النفوذ البوني على النوميديين من خلال معبد الحفرة بقسنطينة لابد من الإشارة أن الجزء الأكبر من النقوش البونية كان قد اكتشف مكتوبا على النصب النذرية في قرطاجة حيث بلغ حوالي 6000 نقيشة وكانت

---

1 - نفس المرجع ص3.

2 - نفس المرجع د. فنطر ص 3.

3 - نفس المرجع ص 3.

4 - أنظر د. محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية و الحضارة البونية ص 197.

قد قدمت في معضمها بلاله الرئيس من مجمع الآلهة البوني الذي هو بعل حمون وتابعته الإلهة تانيت تأتي بعد قرطاجة من حيث عدد النصب فمدينة قيرتا التي قارب تعداد نصبها حتى الآن ما يزيد عن ألف نصب جلب الكثير منها من معبد الحفرة البوني[1].

ومما يجب ذكره أنه يمكن أن يقاس دخول الثقافة البونية وتسربها إلى مناطق الداخلية بنوميديا، وذلك بوجود بقايا المعابد بنصبها التي حملت في معظمها نقوشا بونية حديثة[2].

إن الباحث الفرنسي دولامارDelamr هو أول من بحث في ميدانه الآثار، وبشكل منظم بقسنطينة ما بين 1840 ? 1845 عندما رسم في لوحته رقم 129 ثلاثة نصب فنيقية، وأشار غزال إلى رقم ستة الذي عثر عليه في موقع الحفرة .

وجمع كوستت الأثري الإيطالي 1875-1887م، مجموعة أثرية تحتوي على 130 نصبا تدريا التقت من مرتفع الحفرة وكانت هذه النصب التي عثر عليها كوستة موزعة في منطقة واسعة، وأرسل جزء من هذه المجموعة الأثرية إلى متحف اللوفر فقد تحصل على حوالي 135 قطعة منها وذلك بعد وفاته وفي عام 1877م. هذا ومما يجب ذكره في هذا المعمار لأن كوستة باع عددا كبيرا من النصب النذرية إلى متحف قسنطينة الذي أنشئ في عام 1855م[3].

وهكذا أصبح لقيرتا أي قسنطينة الفضل الكبيرفي مجال الآثار البونية وهي تتمثل في مواقعها الأثرية التي عثرت فيها تلك الأنصاب والشواهد الدينية البونية

والبونية الجديدة، وأن الاكتشافات الأثرية للأنصاب وجدها الأثريون الفرنسيون والإيطاليون في موضع الصخرة، وكودية عطى، وموقع المقبرة الأوروبية، وموقع المنظر الجميل وموقع المنصورة، وموقع الحفرة .

1- نفس المرجع ص 197. وانظر لمزيد من التفاصيل Camps, Massinissa p 225 :

2- نفس المرجع د. غانم ص 197.

3 - نفس المرجع د. غانم ص 198.

ومما يجب ذكره في هذا الشأن أن قطاع الحفرة قد أظهر إلى حيز الوجود عددا من الشواهد البونية ويعد ذلك أهم قطاع فيما يخص الآثار والنتائج المحققة على مستوى قسنطينة وذلك قبل الاكتشافات التي وقعت في عام 1950، والتي تعتبر إيجابية جدا أما الإكتشافين الهامين اللذان وقعا جرى على تباعد زمني يقدر بخمسة وسبعين عاما فالإكتشافات الأولى جرت في1975م أما الثاني فوقع في 1950 المذكور آنفا[1].

وحسب تعريف بوسكوJ.BOSCO فهذا الموقع موجود بمسافة 1 كيلومتر من قسنطينة في موضع يدعى واد الرمان، واستطاع النصب التي جمعها،وقد قدمها في شكل جيد إلى جمعية النقوش السامسة التي لم تتأخر بدورها في قراءتها وتوضيحها[2].

أما الضابط الفرنسي Marchaud فقد تبرع بجزء من مجموعته الأثرية لمتحف اللوخر وكان ذلك في 1890، وقد قام الأب كاهن بمحاولة فك رموز حوالي 32 نصب من مجموعة كوستة، منها نقوش بونية وبونية جديدة في عام 1887 وذلك في الجزء الرابع من مدونة النقوش السامية Corps d'Inscription Sem'etique.

ووردت نقوش كوستة في أعمال الباحث الألماني ليدزبارسكي LIDZBARSKI ويرجع الفضل إلى فيليب بيرجيPH.Berger الذي حاول أن يترجم بعض من تلك النقوش التي درست فيما بعد من قبل ليدزباركسي ثم سجلت في مجمع النقوش السامية[3]. أما ج ب شابو RES فقد أنجز عملا علميا نافعا يخص نقوش قسنطينة البونية الحديثة وكان يرمي إلى نشرها في مدونة النقوش السامية، ولكن ذلك لم يتم مع الأسف[4]. وكانت المجموعة الهامة ومجموعة من دون شك تلك التي عثر عليها في قسنطينة (التي تمثل إحدى عواصم المملكة النوميدية التي اشتهرت في فترة

2/1 – أنظر د محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية ص 172 ولمزيد من التفاصيل أنظر:

Abe Cahen, Inscription Panique et neppnique de Constantine lfELHOFRS R.S.A.C TXIX 1878, p 252-283 T

3 – نفس المرجع د .غانم ص 173.

4 – نفس المرجع ص 198.

حكم ملكيها ماسينسان وابنه مكسن ويلاحظ على النصب أنها متشابهة ومتوافقة من ناحية الأسلوب أو الصنع الندرية لأنها تنتمي إلى منطقة الحفرة التي وجدوا فيها معبد في الهواء الطلق[1] وكان هذا المعبد البوني يمارس نشاطه الفكري والثقافي بداية من القرن الثالث ق.م.

وحدد برتي وشارلي في كتابهما معبد الحفرة البوني النقوش التي تتضمن تحديد تواريخ لـ 9 نقوش وهي تحمل الأرقام التالية : 56 – 57 – 58 – 59 – 60 – 61 – 62 – 63 – 64 – يضاف إليها ثلاثة نقوش كانت قد اكتشفت قبل ذلك من قبل ل. كوستة .وتمثل النصب التي عثر عليها في سيرتا القديمة لكل معطياتها اللغوية والدينية وثائق أساسية للديانة النوميدية البونية وفي نفس الوقت مكملو للرصيد الثقافي الشامل، الموجود في غرب المتوسط والذي كان مصدره الأساسي حوضه الشرقي وكان ازدهار تلك الثقافة بعد أن امتزجت بالثقافة المحلية في شكلها الحضاري .

وفي معبد الحفرة كانت السيطرة في الذكر من الإله بعل حمون ثم تأتي بعد تانيت وهناك آلهة أخرى مثل بعل إدير وملقارت، وإن استمرار عبادة هذين الإلهين في نفس المكان يؤدي إلى الإعتقاد أن نشاط معبد بعل حمون في الحفرة يعود تاريخه إلى منتصف القرن الثاني ق.م إن لم يكن قد سبق ذلك.

وارتاده الإغريقيون والأهالي النوميديون أي حضر مدينة قيرتا وإيطاليون رومان ويتجلى كل هذا من خلال الوثائق النذرية التي قدمت من قبل الأجانب الذين كانوا يعيشون في المملكة النوميدية[2].

هذا مع العلم أن الحياة الدينية للنوميديين في العهد البوني لنا إلهام بها وهذا بفضل الوثائق الموجودة المتعلقة بهذه الظاهرة التي لها أبلغ الأثر في تاريخ النوميديين، وهي وثائق متناثرة من ناحية الزمان والمكان، وقد درست بصفة جزئية عموما، فبعض الدراسات مست أنصاب هي عبارة عن إهداءات، وبعضها الآخر

---

1 – نفس المرجع ص 198.

2 – أنظر نفس المرجع ص 209.

يخص الإيكونوغرافي L'échonographie أي الكتابات المنقوشة على الأنصاب المتعلقة ببعض المدن ومنها على سبيل المثال تبرسوك ومكتار وقيرتا ولكن مع هذا هناك من يرى أنه لم تجر إلى حد يرتكز على مجموع وشمولية الوثائق المتعلقة بالديانة في البلاد النوميدية[1].

وإن الوثائق التي تخص هذه الظاهرة الدينية فهي متنوعة وغير تامة، منها :

- شهادات أدبية .

- ومعثورات أثرية في أماكن مقدسة

- وعلى الخصوص الأنصاب الغنية بالمعلومات المتعلقة بالفن الديني والنقوش[2].

- وفي هذا المضمار قامت الباحثة التونسية المتألقة في الدراسات البونية السيدة عالية كرندل بن يونس بتكوين وإنشاء ملف يتعلق بالوضع الحالي لمعارفنا على مستوى غالبية المواقع النوميدية المعروفة وجمعت في فصل خاص[3]، العناصر المتعددة والمتفرقة للمضمون البوني والمحتوى البوني للديانة النوميدية[4] وبالفعل فقد درست الشكل المعماري والهندسة المعمارية للمقابر.

1 - Voir Alia Krandel Ben Younes, la présence punique en pays numide, p 427 Institut National de patrimoine, Tunis 2002.

2 - Id Ibid, P427.

3 - Id Ibid, P427.

4 - Id Ibid, P 427.

الإشعاع البوني الديني في المدن اللوبية القديمة

توجد وثائق عديدة مرتبطة بمعتقدات السكان القدماء الذين كانوا يقطنون بمدينة كاستيليوم تيديتانوروم الواقعة بمدينة قريتا، وبعض الآثار تعود إلى الحقبة البونية الجديدة ويدعى موضع المدينة اليوم بالخنق. وقد عثر بالقرب من جبل تيديس على مجموعة من الآثار العمرانية، بعضها تم بناؤه في وسط الصخر وقد أشار إلى ذلك السيد لوكلي ولكن هذا البناء المكتشف لا يتماشى مع شكل البناء الروماني ولا البوني[1]، ومن خلال قطع الأثاث الجنائزي الذي عثر عليه، وكذا التماثيل المصنوعة من الطين المشوي، والفخار الموجود. كل ذلك يؤدي إلى الإعتقاد بأن تاريخ هذه الآثار لا يتجاوز القرن الأول ق.م، وهو يقصد معبد بعل حمون - ساترون. مع العلم أنه عثر على خمسين أنصاب ندرية بعضها يعود إلى حقبة بونية جديدة وبعضها الآخر ينتمي إلى العهد الروماني، وقد اكتشفت في عدة مواقع بهضبة في جبل تيديس[2].

وفيما يتعلق بالنقوش المكتوبة على الأنصاب التي عثر عليها في المقبرة الشرقية، فيها نقوش ندرية قرأها ج . فيفريي "بعل حمون ... ندر لتانيت"، بفضل هذه النقيشة يمكن أن نتعرف على العبادة التي كانت سائدة في منطقة تيديس[3]، وكان يعبد فيها بعل حمون وتانيت.

بعل حمون في أوجلا UZEL

ذكر لنا ستيفان قزال أن مدينة أوجل عثر فيها على نصب يحتوي على نقيشة مكتوبة[4]، وهو نصب ندري قمته مثلثة الشكل طوله 0.50م ، وعرضه 0.32م مع إهداء على النصب، وهو يبين لنا وجود معبد على شرف بعل حمون الذي جاء ذكره في النصب بهذه المدينة القديمة وهي أوجل.

1 - Voir M - Leglay, "saturne africaine" , mou II , p 32 .
2 - Voir M) Bertier et M - Leglay , op cit pp52 - 55 - ab
3 - Dessou, Steles N° 11- 12
4 - Voir Gell Stéphane, Allas Archéologique de l'Algérie, Feuille 17 (Constantine) n°99,et voir philipe Berger B.A.C 1899 P.CL II = RE n° 783

الآثار البونية في سيغوس SIGUS

حسب ما أورده ستيفان قزال GSELL[1]، فإن المدينة القديمة سيغوس كان يوجد فيها معبد بوني يعبد فيه بعل وكما يشهد على هذا النصبين الندريين، وفيهما نقوش مكتوبة والتي عثر عليها في نواحي المدينة وواحد من النصبين يمثل شكلا مستطيلا مع قمة مثلثة،وفي الواجهة نجد هلالا ونصبا بونيا مكتوب يتكون من 5 أسطر حيث أن النص درسه فيفريي، جاء فيه ذكر الإله بعل حمون[2] وهذه النقشية المكتوبة بالبونية تعود إلى أواسط أو بداية القرن الثاني ق.م .

آثار تيغزيرت تاقصبيت(يونيوم)IONIUM

حسب ما أورده ستيفان قزال في الورقة السادسة رقم 35 - 34 Gsell-feille6 et N° فإن الموقع الثري الموجود في تيغزيرت يقع على ساحل البحر، حيث أصبح حي الميناء في العهد الروماني وقد استخرج من هذا الموقع عدة أنصاب مؤرخة تعود إلى القرن الأول قبل أو بعد الميلاد والذي يؤدي إلى الإعتقاد بأنه كان يوجد معبد منذ العهد البوني[3].

وعثر في تاقصبيت على أربعة أنصاب بونية جديدة بالقرب من الكنيسة المسيحية، وفي ناحية سوق أهراس عثر على نصب منقوش وهو عبارة عن نقيشة بونية جديدة، ولا يدل هذا النصب المكتشف حسب ما ورد في النص على أن عبادة بعل حمون كانت قائمة في ناحية سوق أهراس، لأن بعل مذكور في النص الندري.[4]

---

1 - Id Ibid A.A.A feuille 17 (Constantine).

2 - Voir Bouchenaki. M - recherches punique en Algérie "Richer Punique Nel méditeraneo collocioIn".

3- Voir Sidi Ahmed Ben et P Fevrier "recherches et travaux en 1968 b a tv 197 p24 fig 13.

4 - Voir Alia ben Younes "la présence punique en pays numide" p272 et voir aussi P.Gravault "Etudes sur les ruines romaines de tighzirt" bulletins arche Afri Facs2.

آثار مدينـة قالمـة

فيما يتعلق بمدينة قالمة، أورد لنا ستيفان قزال في كتابه الهام "الأطلس الأركيولوجي للجزائر في الورقة 9 بونة[1]، فقال قزال أن المدينة العتيقة وهي قالمة تحتوي على معبد يعود إلى ما قبل الإحتلال الروماني وما يشهد على ذلك هو الأنصاب الأبغرافية المكتوبة ولكن موقع المعبد الذي كان قائما، لا نعرف أين بالضبط مع العلم أن الأثاري رافوازيي أشار إلى أن مجموعة من الأنصاب فيها نقوش جديدة عثر عليها في الجهة الغربية الشمالية، وفي غرب قالمة، وفي هذه الأنصاب نقوض بونية جديدة اكتشفت على بعد 500م من واد الخون وعثر في قالمة على مجموعة من النصاب الندرية قام بدراستها شابو الفرنسي، وبعد عام 1916 جرت اكتشافات لأنصاب بونية جديدة عثر عليها في قالمة، وهي أنصاب صغيرة الحجم[2]، وقام شابو بدراسة هذه الأنصاب ومنها النصب الذي شرحه في الجريدةالأسياويةرقم 15 ? nal Asiatique- jour ودرس شابو نصبا في الجريدة الأسياوية لعام 1916 ونشرها في المجلة السالفة الذكر لنفس السنة رقم 500-501 وشرحه، ودرس أيضا في الجريدة الأسياوية لعام 1916 رقم 20 ص 50 من البونية الجديدة وشرحه بالفرنسية[3] ودرس شابو أيضا في الجريدة الأسياوية لعام 1916 رقم 21 ص 502، وهو نص مكتوب بالبونية الجديدة، كما درس كذلك نصوصا بالبونية الجديدة لعام 1916 رقم22-23-24-01-25 بونية جديدة، ودرس أنصابا تحمل الأرقام 26-27-27-28-31-32-33-34-35، وكلها مكتوبة بالبونية الجديدة، وقد شرح كل الكتابات التي كتبت بالبونية وترجمها إلى الفرنسية وقدم شرح نص نصب رقم 35 جون فيفريي ويتعلق بإهداء إلى بعل حمون وهو فدية[4].أما النصب الندري رقم 38 فوجد شابو صعوبة في شرح ما جاء النقيشة حيث أنه عبر عن صعوبة قراءة النصب الندري وجاء فيه ما يلي " جود بعل ابن حنبعل وقدم

1 -Voir Gsell Atlas archéologique de l'Algérie Bone feuille 9 146 - 253

2 - Voir Ravoisie Exploration scientifique de l'Algérie in beaux arts p21

3 - Voir Alia ben Younes "la présence punique en pays numide" p 224-225 et voir aussi Chabot j.a 1916 n°20 p50

4 - Id Ibid . p 224- op ci

متمنيات والده" ومما يجب ذكره في هذا المقام، أن مدينة قالمة في العهد الروماني اشتهرت تحت اسم كالما، وجاء ذكرها في النقوش اللاتينية.

وحسب الباحث جودا فإن اسم كالما وجد مكتوبا على بعض نقوش الكتابات البونية الحديثة التي عثر عليها في قالمة، وعددها يفوق الأربعين نقيشة، غير أنه بعد فك رموز كتابتها وقراءتها تبين أن اسم المدينة القديم يبدو ساميا، حيث لا يستبعد أن يكون مالكا[1]. ويذهب الباحث جودا أن إلى أن اللاتينيين فيما بعد قرروا استعمال الإسم مقلوبا فأصبحت المدينة تعرف بعد ذلك باسم كالما بدلا من مالكا وهو الإسم السامي للمدينة، ومن جهة أخرى يظهر أن قالمة بقيت تحتفظ بعاداتها وتقاليدها البونية ومؤسساتها الدستورية حتى في فترة الأمبراطور الروماني تراجان، وقد عثر في الناحية العلوية من المدينة على عدة قبور سردابية بعضها مزودا بآبار مستطيلة شبيهة بتلك التي عثر عليها في المحطات والمستوطنات الفينيقية الموجودة على سواحل المتوسط، وعثر على بعض القبور خارج السور الروماني[2]، وتذكر الكتابات التاريخية والنقوش اللغوية أن مدينة مداورش، كانت ضمن إطار مملكة صفاقس خلال نهاية القرن الثالث ق.م ثم آلت بعد ذلك إلى ماسينسان وأحفاده من بعد ذلك، وسجل يوغرطة في سيتول بالقرب من قالمة، تمت دراستها على يد المختصين الفرنسيين، وتوجد أنصاب كلها صورتها في إطار فرقة البحث التي أرأسها وعنوانها "الرصيد الحضاري البوني الفنيقي في الجزائر" وهناك أنصاب ندرية أخرى هي الآن موجودة في المتحف الصغير الذي أنشأته الجمعية التاريخية لمدينة قالمة في بلدية حمام المسخوطين، وقد اطلعت عليها وصورتها وهي عبارة عن أنصاب ندرية عليها نقوش وكتابات مكتوبة باللغة البونية جرى تصويرها على يدي، مع العلم أننا قمنا بزيارة ميدانية للآثار البونية في ناحية قالمة برفقة مدير الآثار ورئيس متحف بمدينة قالمة (السيد مراد)، حيث

1 - Voir J.G février; journal asiatique, 1967 , p 63.

2 – أنظر د. محمد الصغير غانم المملكة النوميدية و الحضارة البونية ص 151، و انظر أيضا ديودور الصقلي الذي عاد إليه د. غانم، 3، 18 (121) من نفس المرجع ص 152.

زرنا موقع بوصبع الذي يبعد عن مدينة قالمة بثمانية كيلومترات، والموقع يحتوي على مقبرة بونية ولكن الحفريات فيها لم تجر بعد، وتوجد بقايا خزفيات مرمية على الأرض، وهذا يدل على مدى الإهمال الذي تعانيه الآثار البونية بهذه المنطقة.

وتوجد في بلدية قلعة بوصبع بناحية قالمة بعض البقايا الأثرية، وزرنا في إطار فرقة البحث السالفة الذكر موقعا أثريا بونيا آخر، وهو موقع عين النجمة وجرى اكتشاف عن طريق الصدفة نصبين لهما طابع ديني، وقد أزيل عنهما التراب كلية لإظهارهما وذلك بتعرية النصبين، وهذا ما قاله لنا السيد مومن مدير المركز الثقافي، وقد صورتهما وللتأكد من قيمة هذا الإكتشاف الثري الهام قمنا بزيارة الموقع الأثري البوني لعين النجمة الذي توجد به مقابر بونية ما بين سهلين، وكذا مواقع ذات طبقات رومانية وبونية في الأسفل التي لم يتم حفرها بعد، وقام بمسح الموقع الأثري السيد محمد البشير الشنيتي والسيد محمد أورفلي .

آثار القصيبة

هناك آثار عثر عليها في القصيبة وهي سيفيتاس بوبتسيس، وقد أورد ستيفان غزال في الطلس الأركيلوجي في الورقة 19 رقم 37 أنه عثر في القصيبة على أنصاب مكتوبة بالبونية الجديدة وقد تم اكتشاف أنصاب ندرية أخرى في عام 1936 وتم العثور عليها في معبد موجود في الهواء الطلق بمنطقة جبل التواتي[1]، ووجدت أنصاب عديدة منقوشة عليها كتابات بالبونية الجديدة في القصيبة وهي تنتمي إلى المعبد سالف الذكر، ولكن لم تتم الحفريات في هذا المضمار بشكل منهجي .

آثار عنابة

حسب ما أورده ستيفان غزال في الأطلس الأركيولوجي للجزائر القديمة الورقة 59، حيث أورد أن عبارة بعل حمون كانت موجودة في المدينة الملكية هيبون أي

1 - Voir Gsell Atlas archéologique feuille 19, 146-253 voir aussi G felegerolles les fouilles à Ksiba par la société archéologique de souk Ahras 2 congres de société d'Afrique du nord in revue africaine 1936 p 435 J.G Guey ksiba

عنابة "هه" عبارة بقيت مستمرة في الممارسة كعبادة حتى العهد الروماني[1]، كما هو الحال في أغلب المدن أو المداشر في البلاد النوميدية على الخصوص وفي إفريقيا الشمالية على العموم، ولكن لا يوجد أي أثر إيكولوجي أي حفريات أثرية تسمح بالتعرف على معبد ما قبل العهد الروماني للإله بعل حمون[2]، ما عدا المعبد ماتورتا الذي شيد في العهد الروماني على الهضبة المسماة اليوم كنيسة القديس أغستين ويرجح أن المعبد ساتورن لا يمثل سوى مرحلة ثانية من تاريخ هذه العبادة، وقد عرض معبد أنشأ في الهواء الطلق، وإن عبادة بعل حمون في الحقيقة لم يتم التعرف عليها إلا بفضل اكتشاف بعض النصاب المكتوبة بالبونية الجديدة مع العلم أن النصاب المتميزة بأشكالها في ميدان الركوم والتماثيل والكتابات خلال العهد ما قبل وصول الرومان، فهي قليلة وتتمثل ثمانية أنصاب[3]، وفي هذه الأنصاب المتميزة نلاحظ وجود. شكل الآلهة تانيت مثلما يتجلى ذلك في النصب الثالث المصنوع بالرخام وكذلك في النص الرابع أين يوجد رسم تانيت ومعها صولجان و في النصب الخامس والنصب السادس يلاحظ وجود الهلال ورسم الآلهة تانيت أيضا، أما النصب الثامن فتوجد فيه أربعة أحرف بونية لا غير[4].

آثار سكيكدة (روسيكاد)

يبدو أن السكان القدماء لروسيكاد قد مارسوا العبادة في فترة ما قبل العهد الروماني أي قبل ظهور عبادة ساتورن التي تشهد عليها أصاب ندرية رومانية، وفي العهد المتميز بظهور البونية الجديدة ما بعد سقوط قرطاجة، عثر على نصبين ندريين[5]، ففي النصب الأول نجد رسم تانيت مع الصولجانV، وفي النصب الثاني نجد طرفا من النصب مع تانيت والنخلة، وعثر في تيكباب، وهي تقع ما بين الخروب

1 - Voir Gsell Atlas archéologique de l'Algérie Bone feuille 9 n°59.
2 - Voir Leglay Monum tip p 434.
3 - Id Ibid p 434.
4 -Voir Alia ben Younes "la présence punique en pays numide" p 232.
5 - Id Ibid p235, voir aussi J.Bosco notes au sujet d'un nouveau topique romain des environs de Constantine In B a n° 3692 fig p 93 situation de tikbab

وقطار العيش، ناحية قسنطينة، حيث عثر على نصب ندري وفيه رسم لتانيت مع الصولجان وعلامةV[1].

ويعد ميناء ستورة Stora الذي يقع على أربعة كيلومتر إلى الغرب من مرسى سكيكدة وهو مكمل لهذا الميناء؛ و بخاصة في العهد القديم، والرأي السائد أن إسم المدينة ستورة مشتق من أصل سامي وهو مأخوذ من إسم إلهة قابلها اللاتينيون بالإلهة جونون Junon وربما تكون عشتارت السامية الشهيرة[2].

آثار دلس

في دلس عثر على أنصاب ندرية تعود إلى العهد البوني الجديد وكان اسمها (روسكوكورو RUSCUCCURU) فيها أنصاب ندرية تعود إلى العهد الروماني فقد اكتشف كما سلف ذكره نصبين ندريين يعودان إلى الفترة البونية أي بعد سقوط قرطاجة في 146 ق.م حسب لوكلي فإن النصب الأول يوجد فيه رسم لتانيت مع الهلال ورمانة ونحت في الواجهة باب منمق، وإن هذا النصب يعود إلى حقبة استقلال الممالك الوطنية في بلاد المغرب أو بداية العهد الروماني[3]، أما النصب الثاني فهو يحتوي على رسم لتانيت أيضا .

آثار كاب جانيت

في كاب جانيت عثر على نقشين بونيين يتعلقان بالمعتقدات الدينية للأهالي القدماء لهذه المدينة، مع العلم أن هناك ذكر لموقع جانيت في الأطلس الأركيولوجي في الورقة 05 الجزائر رقم Gsell A.A.A feuille 5.57، أما النقيشة الأولى فهي مزدوجة ليبية بونية وتتكون من ثلاثة أسطر مكتوبة بالبونية، استطاع فيفريي قراءة كلمة "رب" في السطر الثالث واسم عبد ياشون في السطر الثاني

1 - Voir Leglay (Saturne Africain) in monu 2 p 303

2 . نفس المرجع. غانم : معالم التواجد الفنيقي في الجزائر. ص : 213

3 - Id Ibid p 303

ولفظ الكاهن الكبير في السطر الثالث، وأن مهام الراهب الكبير تدل على سلطة دينية لديه فإن الإله المعبود غير معروف مع الأسف. [1]

آثار إيكوسيوم

وفي إيكوسيوم التي ذكرها قزال ستيفان في الورقة الخامسة الجزائر رقم 11 Gsell A.A.A feuille 5 N°، وعثر في موقع مدينة إيكوسيوم على نصب غير مؤكد بالضبط[2]، ولكن وجد في الجزائر وهذا النصب شكله مثلث في الجهة العليا وفيه عمودان وهلال ورسم يشير إلى الإلهة تانيت مع الصولجان ويوجد في النصب صورة لصاحبة الإهداء واقفة ذات شعر قصير ومجعد، واليد اليمنى موضوعة على الصدر، واليسرى تقبض على الإناء وهذا النصب يعود إلى عهد ما قبل الإحتلال الروماني، ولكن على المختصين تحديد تاريخ مضبوط للنصب نفسه .

آثار تيبازة

عثر في تيبازة- هذه المدينة العتيقة - على أنصاب نيوبونية أي بونية جديدة، اكتشفت في مواقع عديدة بالمدينة ونواحيها. إن العقيد برادير الفرنسي le colonel Brader اكتشف عن طريق الحفريات عدة أنصاب بونية جديدة تمثل مشاهد قربان[3] مع أواني فيها بقايا الحمام، وهي عبارة عن مجموعة من الأنصاب الندرية تبين وجود معبد ما قبل الإستعمار الروماني وأن عدد النصاب الندرية المكتشفة بمنطقة تيبازة هو 12 مثلما يرى ستيفن قزال، في الأطلس الأركيولوجي في الورقة الرابعة رقم 38 في المرجع المذكور أعلاه، ضمن هذه الأنصاب يوجد في أعلى النصب الثاني هلال مع صحن وصورتين لشعار تانيت

---

1 - Voir J.G février note sur la publication de J lecerf sur deux inscription , l'une libyco punique et l'autre trouvée au cap djanet séance de nov 1953, p 14

2 - Leglay bibliographie libyca 2 1954 , p 485.

3 - voir Gsell Atlas archéologique feuille 4 (cherchel n°38 et même auteur Tipasa ville de la Mauritanie césarienne 1894 p 303 et M leglay Saturne africain monument 2 p 313

والنصب الثالث يوجد فيه شعارين لتانيت مع الإهداء[1] والنصب الرابع يوجد فيه هلال مع صحن وشعار لتانيت مع نحت امرأة على النصب لم يبق منها سوى رأسها[2] كما عثر على نصبين من الحجم الكبير في البوابة الشرقية لمدينة الجزائر ويوجد شعارين كبيرين لتانيت وفي أسفل النصبين شخصيات جاءت للقيام بتقديم قربان[3] وأن هذه الأنصاب يمكن إعادة تأريخها في نهاية عهد إستقلال الممالك النوميدية في بلاد المغرب، وتشهد على وجود معبد بوني جديد npunique، حيث أن العبادة التي كانت تعبد لم يوجد حلا لها بعد.

أنصاب شرشال " يـول القديمـة "

فيما يخص يول القديمة، واسمها في العهد الإسلامي "شرشال"، وكانت تدعى في العهد الروماني قيصرية Caesarea ويوجد نصب منقوش حيث أن V أعلى قاعدة النصب مكسرة وفيها كتابة بونية جديدة مع شعار تانيت وصولجان وغصنين يرمزان بعلامة V.أما الكتابة المنقوشة الموجودة على النصب فهي موجودة في العلى ومنقوشة بالحروف البونية الجديدة[4]، وهناك مصاعب متعلقة في هذا الشأن وهذا النصب عبارة عن إهداء مكتوب بالبونية الجديدة "إلى الإله بعل" وتنتهي بالعبارة "وسمع صوته فليباركه[5].

وهناك مجموعة كبيرة من المؤرخين يرون أن إسم يول Iol - التي هي شرشال الآن - مشتق من أسماء إحدى الآلهة الفنيقية وجاء ذكرها في رحلة سيلاكس بإسم إيوليو (Ioliou)[6] التي أعيد تأسيسها على يد الفنيقيين.

---

1 - Id Ibid 309 - 310 fig 01

2 - voir Gsell Id Ibid 309-310 .

3 - voir Alia ben Younes "la présence punique en pays numide" p276 - 277 et voir J Laus l'archéologie d'Algérie en 1958 libyca 7 - 1959 p 274.

4 - voir P G auckler Musé archiologique de L'algerie,musé de Hrel 1895,P:80-90 ? 4 id

5 - voir Gsell ´le chanps de steles de saint le "B.A.C.1899pp rapport sur les decouvertes faites en algerie, séance du 15 janvier 1901 B.A.C.1901 p:cl2. .

6 - Ibid 184.

ومن مظاهر بقيا الحضارة القرطاجية في مدينة يول وجود نقش مكيبسا وهو مكتوب بالبونية؛ كما عثر على قرص مدور أثناء توسيع ميناء شرشال... وعلى دمى فخارية بونية وبعض الجرات والكسر الفخارية ذات الطابع القرطاجي.[1]

وأثناء الحفريات التي أجراها لاسوس Lassus في الجزيرة المقابلة لمدينة شرشال (Joinville) في عام 1960 اكتشفت عدة مسكوكات لملوك موريطانيين علاوة على كسر فخارية إيبيرية وإيطالية وبونية، وبعد دراسة نتائج هذه الحفرية البونية ؛ أعطي تاريخ القرنين الرابع والثالث ق.م لسكنى الجزيرة المشار إليها[2]. وكما هو لوم أن يول كانت عاصمة يوبا الأول ويوبا الثاني.

آثار أرزيو القديمة "بورتوس مكنوس" Antique Portus Magnus

إن أصل مدينة بورتوس مكنوس يعود إلى العهد البوني وقد جرت فيها حفريات جزئية غير كاملة وهناك شواهد مرتبطة بالحياة الدينية للسكان القدماء، عثر على معبد في الهواء الطلق في شمال المدينة الرومانية مكنيس، ما بين المدينة والبحر، وأشار بل تعرض إليها ستيفان قزال في الأطلس الأركيولوجي في الورقة 21. مستغانم Gsell A.A.A.feuille N° 21.staganem وتمتد على سهل ساحلي عرضه ما بين 60م/ 800م، وهذا المعبد المكتشف غير مغطى وموجود في الهواء.الطلق في طريق وهران – مستغانم، ولقد اكتشف في القرن 19 وكان يدعى حقل النصاب من قبل ستيفان قزال[3]، ولم يشهد هذا الموقع أي حفريات علمية ومنهجية، وإن الحفريات التي أجريت على يد هوات، أدت إلى اكتشاف مئة جرة في عمق 0.40م – 0.50م . ووجدت في عين المكان إحدى عشر قطعة في حالة جيدة للحفر وخمس منها مازال فيها رماد وعظام محروقة[4]، ومن الأنصاب التي اكتشفت في بورتوس مكنوس خمسة منها في حالة جيدة لكن تصعب قراءتها فلم يستطع فيليب برجي

1 - Ibid 184.
2 - Ibid 184.
3 - G. Doublet Musée d'Alger n° 890 p 64 pl 3 - 2
4 - G. Doublet Musée d'Alger n°890 p 65 pl 3- 5

قراءة النص المكتوب في أسفل النصب، والذي ينتمي إلى البونية الجديدة. وفي النصب الثاني هناك رسم تانيت مع نقيشة بونية جديدة وفي النصب الثالث يلاحظ وجود رسم لشخصية صاحب الإهداء وهو يحمل رمانة، أما النصب الرابع ففيه رسم هلال وصحن مع نخلتين مع كتابة باللغة البونية الجديدة ولكنها غير مكتملة[1].

فيما يخص الجرات التي عثر عليها في أرزيو القديمة بورتوس ماكنوس، قام ديماغت Demaegt بنشردراسة حول إثنى عشر جرة أغلبها لا يمثل حقبة محددة ولكنه بنشر دراسة حول إثنى عشر جرة أغلبها لا يمثل حقبة محددة ولكنه في الترتيب رقم 4 وجد الباحث سالف الذكر عنصر مقارنة في الشكل الثامن والثلاثين حيث وجد أنه يعود للقرن الثاني قبل الميلاد، أما الشكل الذي يوافق الشكل رقم 22 الذي درسه بيرسانتاس الذي يمكن إرجاعه كذلك إلى القرن الثاني ق.م وكل هذا يؤدي للإعتقاد إعتمادا على أشكال الجرات المحفوظة، فكل هذا يؤكد وجود معبد ما قبل العهد الروماني كان قائما في " سان لو Saint Leu " كان يرتاده المتعبدون في القرن الثاني قبل الميلاد، ولكن حسب المعلومات المتوفرة يستحيل تحديد الآلهة التي كانت تعبد في هذا المعبد المقدس.

وذكر ميناء بورتوس ماغنوس وهي مرسى الدجاج اليوم في النقوش اللاتينية، ولم يعثر في هذا إلا على بقايا المدينة الرومانية التي يعتقد أنها حلت محل المدينة البونية، ويظهر ذلك جليا من خلال النقوش البونية الجديدة Nپopunique التي عثر عليها في عين المكان، والملاحظ أنه إكتشف في بورتوس ماغنوس على معبد بوني يشبه ما هو موجود في المدن الفنيقية البونية في بلاد المغرب القديم، وقد عثر في أرضية هذا المعبد على جرار عديدة مملوءة برماد عظام الأطفال، وليس من المسلمات الإعتقاد بأنهم أحرقوا كأضاحي للإلهة تانيت أو لآلهة سامية أخرى؛ لأنه ليس هناك دليل قاطع يثبت وقوع ذلك فربما أنهم أطفال ماتوا بصفة طبيعية وجرى وضعهم في تلك القبور الجنائزية[2].

---

1 - voir Alia ben Younes "la présence punique en pays numide"

2 - Ibid 187.

الأندلسيات

لايوجد أي أثر على وجود الفنيقيين في مدينة وهران المعروفة في العصر الإسلامي والعثماني، ولكن هناك آثار تعود إلى ما قبل التاريخ في جهة تروجلوديت التي تقع فيها كهوف قديمة،والتي عثر فيها على صناعة حجرية وعظمية[1].

وفي غرب مدينة وهران توجد جزر الأندلسيات حيث عثر في شاطئها الجنوبي على أقبية محفورة في الصخر مع بقايا فخار بوني قرطاجي تعود إلى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، وكانت هناك علاقة قائمة بين آثار الأندلسيات البونية[2]، وتلك المجودة في إسبانيا وجزر البليار، وأنواعها لاتشبه كثيرا فخار قرطاجة وأوتيكا، وفي بعض النقود البونية في قبور الأندلسيات هناك أسماء قادس وسيكس الإسبانيتان[3]، ويروى أن هناك نصب تذكاري يحمل كتابة بونية لازالت لم تفك عبارات كتابتها حتى يومنا هذا[4].

مرسى مداح

إن حفريات عالم الآثار الفرنسي فويمو Vuillemot في مرسى مداح قد أظهرت نتائج على كسر فخار دولاب الخزف البسيط ، والفخار النموذجي الذي يعود إلى القرن السادس قبل الميلادن مما يدل على أن مرسى مداح أقام فيها الناس في تلك الفترة السالف ذكرها، وهذه المعلومات وردت[5] في كتاب فويمو "سلسلة المراكز البونية الوهرانية".

1 – نفس المرجع ، ص: 187.

2 – نفس المرجع ، ص: 188.

3 – نفس المرجع غانم، ص: 188 .ولمزيد من التفاصيل أنظر: Mercier, B.S.G.A.O.1985? P:/335

4 – نفس المرجع، ص: 188.

5 – نفس المرجع، ص: 188 . ولمزيد من التفاصيل لابد من العودة إلى : G. Vuillemot: Reconnaissance aux: echelles puniques d'Oranie. Pp: 283 et suite.

جزيـرة رشقـون

تقع جزيرة رشقون عند عرض الخليج الذي يصب فيه واد التافنة ولاتبعد عن الشاطئ إلا بمسافة كيلومترين (2كلم) فقط ، ولاتزيد مساحتها على خمسة عشر هكتارا وأجريت حفريات في رشقون على يد الباحث فويمر في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن العشرين، وجاء بعدها حفريات البعثة الألمانية بمشاركة مصلحة الآثار الجزائرية في السبعينيات من القرن العشرين، ومما يجب ذكره في هذا الأمر أن حفريات فويمو كشفت عن مراكز تجمع سكاني يتوسط المرتفع الموجود في الجزيرة، علاوة على وجود مقبرة بونية (قرطاجية) ثبتت بعد دراسة الفخار العتيق الذي عثر عليه في الطبقات السفلى، وأعتقد أنه لايمكن أن ننعته بأنه فخار إغريقي بصفة قاطعة؛ لأن التشابه في الأشكال ليس من المسلمات في فن الفخار من الناحية العلمية.

على كل حال كانت رشقون أقدم موقع فنيقي في غرب المتوسط ولها دور الرابط الفنيقي من خلال المميزات التي ميزتها من ناحية المدافن بأدراج والفخار والمجوهرات [1]، فإنها لعبت دور الوسيط كما سلف ذكره؛ لكن بشكل محدود زمنيا، وكما هو معلوم أن هذه الجزيرة متربعة على مشارف أبواب فضاء مضيق جبل طارقوهو عالم يحدده تارادبل Taradelle كفضاء أو جو ثقافي[2] Une aire culturelle مرتبط مباشرة بفنيقيا، أما فيما يتعلق بالمسار الذي اتبعه مؤسسوا رشقون أن هنك احتمال أنهم مروا بالجزيرة الإيبيرية (إسبانيا الحالية) وليس عن طريق الشواطئ الإفريقية[3] وكل المنطقة الوهرانية وليس رشقون فحسب؛ لها بعض الآثار المادية التي تربطها بالضفة الشمالية من جبل طارق[4].

ويبدو أن هناك تقارب بينها وبين تلك التي وجدت في معطية وصقلية وأوتيكا وقرطاجة بتونس[5].

1 - Voir Alia Krandel Benyounes: La présence punique en Numidie . p: 461.(1
2 - Id Ibid p: 461.
3 - Id Ibid p: 461.
4 - Id Ibid p: 461.
5 - G.Vuillemot:Reconnaissance aux:echelles punique d'Oranie.p:122.

ومن خلال المقارنة تم تحديد تاريخ بداية الإستقرار في الجزيرة إبتداءا من القرن السابع قبل الميلاد ثم تواصل بعد ذلك حتى القرن الخامس قبل الميلاد، وبعد هذا التاريخ حصل إنقطاع في الجزيرة ولاسيما من ناحية المصادر المادية يعتقد أنها هاجرت بعد ذلك[1] ويعتقد أن لإسم رشقون الحالي مشتق من إسم فنيقي وهو رأس سيغان ، أوخليج سيغا، في المحطة الممتدة التي توجد فيها الجزيرة والتي عثر فيها على آثار مادية تعود إلى تاريخ قديم جدا وهو القرن السابع قبل الميلاد، وهذا العهد يتميز بفخار ذي شكل عتيق منها الجرات ذات مسند jarresà épaulement ومرمدات urnes ومشاجب حافتها مزخرفة، وجرى تعايش لهذه الأدوات مع الطين المشوي الموجود بكثرة ،وكل هذا يدل على حظور في جزيرة رسقون سكان من فجر التاريخ البربري حيث مازالوا يستعملون تقنيات ذات تقليد يعود لفترة ما قبل التاريخ في جنوب الجزيرة.

وجزيرة رشقون تعتبر من أقدم المحطات الأثرية البونية التي عثر عليها في الشواطئ الجزائرية إعتمادا على الفخار الموجود فيها العائد إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، مع اعلم أن علاقة رشقون بمستوطنات شبه جزيرة إيبيريا البونية كان أقوى[2] منه بعلاقتها بقرطاجة وذلك نظرا لقرب المسافة بينهما وربما لأسباب أخرى مازالت مجهولة.[3]

سيغـا

تحدث المؤرخ بلينيوس الكبير عن مدينة سيغا مشيرا على أنها تقع على الشاطئ الإفريقي المقابل لمدينة مالقا الإسبانية[4]، وجاء ذكر سيغا مع قائمة المدن القرطاجية الساحلية التي تضمنتها رحلة سيلاكس خلال القرن الرابع قبل الميلاد، ووصف البكري

1 – غانم محمد الصغير: معالم التواجد الفنيقي في الجزائر. ص: 192.

2 – نفس المرجع ، ص : 192.

3 – نفس المرجع غانم. ص: 192.

4 – أنظر تحقيق مخطوطالبكري بالفرنسية:

EL-BAKRI: Déscription de l'Afrique septentrionale, traduction. Dr Slane 2eme édition Alger 1913, p: 157.

سيغا تحت أرسقول، وقال أن السفن الصغيرة تصعد من البحر مع مجرى التافنة حتى المدينة ، ثم يضيف بأن المسافة التي تفصلها عن البحر تقارب ميلين، والبكري كان مخطئا في إعتقاده أن سيغا هي رشقون فمن الناحية التاريخية والجغرافية فهو غير صائب على الإطلاق ، لأن رشقون التي ذكرها البكري لاتعني سيغا كإسم علم.

آثار تبسة

هناك غموض حول بداية تاريخ مدينة تبسة، ولو أنه معروف تاريخيا أن هذه المدينة كانت من أكبر المدن الموجودة في إقليم الماسيليين الشرقيين، وعرفت باسم هيكاتمبيبلس التي ذكرها ديودورس الصقلي مظهرا أهمية ثروتها الاقتصادية أثناء الحرب الأولى بين روما وقرطاجة، ويذكر نفس المؤرخ بأن صفوان القرطاجي استولى على تبسة وذلك سنة 274 ق.م، وهو ما يتوافق مع سير.أحداث الحرب الأولى بين روما وقرطاجة، وما عدا هذا فليس لنا معطيات تاريخية وأثرية تثبت توسع كبير للقرطاجيين في تبسة، وما جاورها، فلا بد من إعادة النظر وبحث عميق في الكتابات القديمة مثل النقوش البونية ثم الإغريقية واللاتينية، وكذلك ما أضافته التقنيات الأثرية.

إيجلجيلي

جاء ذكر إيجلجيلي في النقوش اللاتينية على أن تسميتها من أصل مغربي، وهناك مؤرخون آخرون يرون أن إسمها له جذور فنيقية[1].

وأشار البكري المؤرخ المغربي إلى أطلال مدينة جيجل القديمة في القرن الحادي عشر الميلادي، هذا مع العلم أن جيجل إنكب على دراستها الأثريون الفرنسيون منذ نهاية القرن التاسع عشر، فأجرى ضابط فرنسي مولع بالآثار حفرية في موقع

1 – أنظر محمد الصغير غانم: معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر. ص: 208.

منحنى الرأس الأسود (La pointe noire) الذي اكتشفت فيه أول قبور سردابية بونية محفورة في التل الرملي، علاوة على قبور أخرى كانت منحوتة في الصخر، وفي عام 1928 أعاد الكرة في التنقيب والدراسة لهذا الموقع الأثري المشهور (ألكير) J.Alkier الذي عمل في منصب أمين المتحف في قسنطينة يومئذ.[1]

ومن نتائج حفرياته: وضع تاريخ لقبور منحنى الرأس الأسود إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، ثم إن الفخار الذي عثر عليه في المنطقة له قرابة مع ما عثر عليه في قرطاجة ومعطية بصقلية وسردينيا ومالطا. وأعطى الباحثون الذين تناولوا هذا الموقع فيما بعد تاريخ القرن السادس والخامس قبل الميلاد كبداية الإستيطان في محطة جيجل البونية[2]، وبذلك فهي سابقة على تلك التي عثر على بقاياها الأثرية في القل.

ومن خلال المصادر المادية والكتابية يظهر أن نشأة محطة جيجل جرى على يد الفنيقيين وكانت تربطها علاقة قوية مع قرطاجة ويذكلر أنها كانت ضمن المدن الليبيو-فنيقية التي أشار إليها إسترابون تحت إسم الميتافونيتيس[3].

قورايا

تعد قورايا من المراكز البونية الهامة وتدعى اليوم قبة سيدي إبراهيم، ومن خلال الحفريات الأثرية التي جرت فيها عثر على ثلاثة مقابر بونية يعود تاريخها إلى القرن الثالث والرابع قبل الميلاد[4]،وذكر قزال في الأطلس الأثري[5] أنه عثر على نقود في قورايا، وجد مكتوبا على البعض منها إسم المدينة بأحرف بونية جديدة وهي كالتالي : قنقن كارتينا.

---

1 - نفس المرجع. ص:209.

2 - نفس المرجع. ص: 210. ولمزيد من التفاصيل أنظر: M. Astrung: Nouvelles fouilles à Djidjelli, Revue Africaine,T.L XXX,1935. p: 253

3 - غانم محمد الصغير: التواجد الفنيقي في الجزائر. ص: 211.

4- نفس المرجع. غانم. ص: 185 ولمزيد من التفاصيل أنظر:

F. Villard: Vase antiques du Vsècle av. J.C À Gouraya, L.A.E.(1959) pp:7-13.

5 - S. Gsell: Atlas archéologique, figure 12 n)20.

يورد بعض العلماء اللغويين أن إسم كارتينا – وهي تنس حاليا- يعد فنيقيا وليبيا في الأصل، وهو يتكون من شقين : فالأول وهو كرت يعني المدينة، أما الثاني فهو ليبي "تينا"وهو الذي إشتق منه إسم تنس"Tennas" فيما بعد. وهكذا فإن إسم المدينة كارت تيناس. وتقع آثار مدينة كارتينا القديمة على بعد كيلومترين(2كلم) إلى الغرب من المدينة الحالية، ويمكن أن يكون خليج نهر الملاح هو الذي كان يشكل مرفأ المدينة القديمة.[1] كما تحدث إسترابون عن مناجم النحاس الغنية القريبة من كارتينا، كما وصفها البكري خلال القرن التاسع الميلادي، أما ستيفان قزال فيرى أن إسم كارتينا أورده البكري في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)[2]، ويعتقد جزيل أن إسم المدينة ورد ضمن قائمة رحلة سيلاكس تحت إسم شلكا(Chalca)[3].

معالم التواجد الفنيقي في الجزائر

شولـو (القل في يومنا هذا)

توجد هذه المحطة القديمة وهي شولو (القل اليوم) من رأس بوقرعون الذي يحميها من الرياح الشمالية الغربية، واشتهر سكانها في البداية بإستخراج الصباغة الأرجوانية من أصداف البحر إلى جانب صناعت السفن والقوارب.

ويرجح أن إسم هذه المحطة التجارية من أصل فنيقي بوني، وشولو كانت من المدن الليبيو-فنيقية التي كانت تسير في فلك قرطاجة، وكان لأهل شولو نفس حقوف المواطنة الخاصة بالعاصمة القرطاجية.[4]

وعثر الجنرال الفرنسي هيلوHélo في عام 1895 خلال حفريات جرت في قبور جنوب المدينة، فأثبتت الحفريات وجود فخار قرطاجي ينسب إلى القرن الثالث ق.م [5].

---

3 - نفس المرجع. ص: 187.

4 - نفس المرجع.ص: 187.

5 - Gsell: Hist A.A.N.Tome II, p: 27-28.

1 - نفس المرجع السابق. ص: 211.

2 - Héllo: Notice sur la nécropole phénicienne de cllo. P: 334-345

أثر الديانة البونية في البلاد النوميدية

بعل حمون و تانيت في نوميديا

الأصول الدينية الأولى للديانة القرطاجية في فينيقيا

قبل أن نستهل بحثنا في قضية الديانة القرطاجية ونفوها في داخل البلاد النوميدية لابد أن نعطي نظرة حول جذور هذه القضية وتتمثل في الديانة بالإعتماد على مصادر الديانة القرطاجية وتتمثل في الديانة الفينيقية الأم من خلال العودة إلى النصوص الأوجاريثية وكتاب التاريخ الفينيقي لمؤلفه[1] فيلون الجبيلي، ونقل إلينا هذا المصدر أن التقاليد المبهرجة للحضارة الفينيقية التي امتدت ما بين 1200ق.م و332 ق.م أي حتى دخولالإسكندر المقدوني وقد نشر قبل أسفار العهد القديم .

وكان هناك تنوع إقليمي في الديانة الفينيقية أي وجود آلهة مختلفة لكل مدينة، مثلا: ملقرت في صور و عشترت وأشمون في صيدا، ثم إن أسماء أرباب بينهم يمكن أن تكون القابا كما هو الحال في أوجاريث أن بعل مثل إل يمكن أن يكون كلاهما لقبين بمعنى سيد، كما يمكن أن يكون إلاه معينا خصص فيما بعد بالإضافة إلى اسمه : مثلا بعل صفون، وهو رب العاصفة الذي يقيم في جبل صفون جنوبي العاصي (الجبل الأقرع)، وبعل ملقة وبعل لبنان وبعل أدر أي القوي و منه اسم الشهر آذار المعرب وهو معروف في القرن الخامس ق.م[2] في جبيل ثم انتقلت عبادته إلى إفريقيا الشمالية.. إلى قرطاجة بالذات والمغرب، وبعل مرقود (سيد الرقص، ربما كان ربا شافيا)، وبعل حمون سيد الأمانوس في شمال سورية[3]، و أضحى فيما بعد شعبيا في قرطاجة والمغرب،وبعل صور وبعل صيدا[4]، وهناك أيضا بعل البقعة أي

---

1 - حمد حرب فرزات، الديانة الفينيقية - عناصر البيولوجية في حضارة سورية/ ص 43 - مجلة دراسات تاريخية/ العدد/ 41-42.

2 - مشق حزيران 1992.

3 - نفس المرجع ص / 43

4 - نفس المرجع ص 48

بعل البقاع وأدونيس بصيغته الهلينية مشتق، كما هو واضح من الإسم أدن أودنى في اللغات السامية السورية القديمة وهو يعني سيد و سيدي[1].

تضحية الأطفال في التوراة

وفي بعض أسفار التوراة التي نقلت عن التورات الكنعاني والفينيقي وكثير من المعلومات عن الحياة اليومية والدينية فيها تفصيلات إضافية عن هذا الموضوع (عاموس1-7، وهو شع 9 :1-7) ونقدم أمثلة على ذلك في سفر أرميا 16: 5-9 كما يلي : أرميا 16: -5 لأنه هكذا قال الرب : لا تدخل بين النوح ولا تحظ للندب ولا تغرهم لأني نزعت سلامي من هذا الشعب[2].

أما أشهر ممارسات الديانة الفينيقية فهي تضحية الأطفال، وقد ذكرت في التوراة وعند المؤلفين الكلاسيكيين، وقد كانت ممارسة إحراق الأولاد بالنار معروفة كما جاء في سفر الملوك الثاني 16: 3، 10-23 وفي سفر أرميا 31 وفي مواضع أخرى أيضا ولكن الموسوية تدين هذه الممارسة كما جاء في سفر اللاويين[3].

إن قضية الديانة القرطاجية ونفوذها في داخل البلاد النوميدية يعد مشكلا صعبا، ويتمثل الأمر في مسألة السيادة الألوهية ما بين بعل حمون وتانيت، وهما آلهان جرت عبادتهما في قرطاجة والبلاد النوميدية ولا سيما أن معبد الحفرة في قسنطينة شاهد عيان على رسوخ عبادة بعل حمون داخل قلب البلاد النوميدية .ومن خلا البحث الأثري الشامل على أرض قرطاجة وغيرها فقد عثر على ألف نصب ديني، وهناك ما اكتشف في مرسيليا نفسها.

---

1 - نفس المرجع ص 48.

2 - نفس المرجع ص 48:

3 - نفس المرجع ص 50 وأنظر لمزيد من التفاصيل التوراة - العهد القديم عاموس 1-7 و هو شع 9 1-7 وسفر ارميا 16: 5-9 حول الأوضاع الدينية في فينيقيا.

مسألة السيادة الدينية:

وتانيت كان بمثابة إلاهة تعد بمثابة السيدة الأولى في قرطاجة مع العلم أن بعل حمون هو الإله الأول أو المعبود الأول وبمعنى هذا، كانت له السيادة الدينية حتى القرن الخامس ق.م، الذي أصبحت فيه تانيت هي الأولى في قرطاجة وحدها. في السجلات البونية نعثر على أسماء الرجال والنساء في تشكيل أسماء الآلهة أوالمعبودات الدينية المقدسة، وهذا الاتجاه الذي كان سائدا يعبرعن الطابع الديني، حيث نرى أن المظاهر التي نراها في ميدان تطبيق العبادة تبين وجود إرادة وضع حماية الإله عن طريق تقاسيم السلطة الإلهية، وإن هذا الوضع يبن ويسمح للتعرف على بعض الآلهة التي كانت موجودة في المعبد القرطاجي[1].

وأن العديد من هذه المعبودات يبدأ بلفظ عبد أي خادم كذا، ونفس الكلمة نعثر عليها في اللغة العربية مثلما هو الأمر في اللغة البونية ونضرب مثلا على ذلك بعبد الله أي خادم الله[2]، ونجد عند البونيقين عبد شمون أي خادم شمون، وعبد القارت أي خادم ملقارت، والذي اشتق منه اسم اميلكار الذي يعني عبد الملك، أي خادم الملك، وهذا الاسم موجود وشائع كاسم انسان أو شخص في العالم العربي الحديث[3].

على كل حال فإن تانيت وبعل حمون يمثلان وحدة متماسكة، وفي النقوش البونية نعثرعلى كتابات فيها تأكيد على هذه الوحدة في الجملة المكتوبة كما يلي: إلى السيدة تانيت بني بعل وإلى السيد بعل حمون وتانيت، ونعثر عليها مندمجة مع آلهة أخرى تم إدماجها وبخاصة مع حنون وعشتارت[4].

---

1 - TLATLI Salah Eddine la Carthage punique p 17
2 - Id Ibid p 179.
3 - Id Ibid p17.
4 - Id Ibid p 179.

بعل حمون وتانيت معبودان فينيقيان

إن بعل حمون وتانيت هما معبودان من أصل فينيقي وبعل بالبونية يعني المعلم أو السيد أو المالك ومؤنث بعل هي بعلات أما الجمع فبعاليم، وفي نصوص التوراة جاء ذكر المعبودات الأجنبية باسم بعاليم[1].

واسم بعل له علاقة باسم جبل في فينيقيا بعل تسافون أو سافون وهذا الجبل يقع شمال أوغاريت في سوريا ويمكن العودة إلى سنيسر الذي بحث في الأمر، وله مقالة عنوانها في مجلة الآثار بالفرنسية أركيوليوجيا SZNYCER[2].

Mythes et dieux de la religion phénicienne (In archéologie Fev.1968)

وبعل حمون نجد له ذكرا في نصوص أوغاريت ونصوص التوراة كما سلف ذكره، وفي المعابد المقدسة بقرطاجة، وورد اسم بعل في الأشعارالأوغاريتية على أساس أنه إله الخصوبة، وأطلق عليه اسم "النور" وهو أيضا إله محارب يجابه خصوم الحياة، وبخاصة رب الموت، ويدعى باللغة الفينيقية "موت" وهنا يظهر الشبه الكبير بين الفنيقية والعربية في ذكر نفس المصطلح أي "موت" وأمير البحر "يام"Yum مع العلم أن هناك كتابة أثرية عثر عليها بالقرب من خليج الإسكندرونة عثر فيها اسم حمون بالحاء و ليس بالألف[3].

مسألة بعل حمون وأمون

هناك بعض المؤرخين الذين يدمجون بعل حمون بالإله المصري أمون الذي تمت عبادته في المنطقة الليبية أوالنوميدية، وقد جرى هذا قبل وصول الفينيقيين إلى إفريقيا الشمالية أو إلى قرطاجة على الأصح، ويؤيد هذه الفكرةCarcopino

1- Id Ibid p : 183 - 184.

2 - أنظر د.أحمد حسين السليماني له مقالة مطولة عنوانها : دراسة نقدية للمصادر و الآثار و الأصول الإنسانية والحضارية التاريخية لإفريقيا الشمالية القديم، ص 32 مجلة الدراسات التاريخية لمعهد التاريخ جامعة الجزائر العدد السادس 1992.

3 - نفس المرجع ص33 و أنظر أيضا تلاتلي صلاح الدينTLATLI la Carthage punique.p:184.

وهناك من الباحثين من يرى أن بعل حمون يعني لغويا سيد جبل الأمانوس بلبنان أو سيد المبخرة أو نار الجمر، وفي تفسير ثالث فقد يعني المعبد الذي يحتوي مبخرة وقد ورد ذلك في النقوش النبطية والتدمرية.

ويتساءل الباحث التونسي أحمد الفرجاوي عن معنى بعل حمون ؟ فيرشح له معنى "سيد المعبد" الذي تقدم فيه الأضاحي البشرية[1] والأضاحي.

بعل حمون في النصب الدينية بقيرتا (أي بقسنطينـة)

ويذكر د.محمد حسين فنطر: أن بعل حمون يتم ذكره بمثابة الإله "بعل مون"

وكأنه اسم مشترك لمعنى السيد فتعبير بعل، وبعل خمون يتم تفسيرهما وترجمتهما بالسيد بعل حمون[2]

وفي النصب الدينية التي عثر عليها بالحفرة بقسنطينة، يرى السيد فنتر أن بعل حمون يحمل لقب أدير [3] Addir ومعناها القوى puissant اوهي قريبة من اللفظة العربية قدير) ولا بد من الإشارة أن رقم 42 تشير إلى أن المنعوت أديرAddir يعوض حمون.

وفي النصب رقم 4 نقرأ إلى السيد، إلى بعل أدير وإلى سيدتنا تانيت بني بعل [4]péné Baal Tanit وفي طوفيت سيرتا أي في مدينة قسنطينة هناك الإله بعل مرفوقا بحمون وفي النصب رقم 20 بمعبد الحفرة نقرأ متمنيات أريش ابن عبد شمون إلى السيد بعل حمون، الشريف le saint وفي النصب Stéle رقم 64، المؤرخ في عام 11 من حكم الملك مكيبسا ويشير إلى السيد إلى بعل إلى المقدس[5].

1 – أنظر أحمد الفرجاوي بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة ص 170 – ط المجتمع التونسي للعلوم و الأداب و الفنون بيت الحكمة ص 170.

2 – أنظر محمد حسين فنتر ص81: M.H Fantar: Baal Hammon Revue Reppat.p
Institut national L'Archiologie et d'art ,1990 Tunis

3 – نفس المرجع بالفرنسية ص 81

4 – نفس المرجع ص 81

5 – نفس المرجع فنتر ص 82

كركوبينو الذي يرى أن رع المعبود المصري، وبعل حمون كلاهما يعنيان عبادة الشمس ويرى أن عبادة أمون ظهرت في برقة منذ العصر النيولتيكي وكذا في الجنوب الجزائري.

ومن المسلم به، أن عبادة أمون جاءت من مصر ولأن مصر كانت في العصر[1] النيولتيكي المغربي في قمة الحضارة والإزدهار بينما أرض المغرب كانت تمر بمرحلة حضارية بدائية جدا لا تستطيع أثناءها أن تصدر حضارتها أو تكون كمركز إشعاع [2] حضاري لأن الشروط الضرورية لم تكن متوفرة يومئذ ومما يجب ذكره أن مصر الفرعونية عرفت تطورا حضاريا كبيرا[3] بدأ منذ عصر بناة الأهرام، في حوالي 35 قرنا قبل الميلاد إلى عهد رمسيس الثاني الذي جعل طيبة عاصمة دولية وانتهاء بعصر البطالمة في القرن الرابع ق.م الذين جعلوا الإسكندرية عاصمة لهم، وفي كل هذه المراحل التاريخية عرفت مصر ازدهارا حضاريا في جميع الميادين رغم النكبات التي تعرضت إليها في مراحل تاريخها الطويل.

ويجب التمييز بدقة في حرف الحاء (ح) الموجود أي بعل حمون ووجود الحاء يميز حمون عن أمون، وإن لفظ حمون مشتق من الجمع الفنيقي حمامين ومعناه الحرارة، والتي نجد لها مقابلا في اللغة العربية "حمام" وكما هو معلوم أن مفهوم الحرارة هنا يستمد معناه من حرارة الشمس، وله علاقة بمهام الإله القرطاجي "بعل حمون". وحسب الإكتشافات الأثرية والمعطيات التاريخية فإن هناك توكيد أن بعل حمون يمثل إله الشمس ونجد اسمه مصحوبا باسطوانة مجنحو[4].

---

1 - نفس المرجع د. أحمد السليماني مقالة دراسة نقدية للمصادر و الآثار لإفريقيا الشمالية القديمة ص33.

2 - نفس المرجع ص 33.

3 - نفس المرجع ص 33.

4- نفس المرجع د. السليماني ص34 وانظر ايضا TLATLI la Carthage punique.p:34.

وهناك نصب تم اكتشافه بالقرب من قسنطينة وهو موجود في نفس معبد الحفرة، ونقرأ ما يلي إلى السيد، إلى إله المعبد، بعل حمون[1]، نجد في النقوش الدينية بالحفرة لفظة قدس والمقصود بهذا المصطلح أي القدس هو المعبد ولكن القدس الوارد ذكره في النقيشة الدينية بالحفرة هو بمثابة نعت لبعل حمون وهو توكيد ديني، وهناك امتداد لهذه العبادة الدينية البونية بعد الإحتلال[2] الروماني نجد ساتورن الذي يساوي دومينوس سانكتو DOMINUS SANCTUS وهناك نصب تم العثور عليها في قرطاجة وبوقرنين، وهنشير بوبكر، وفي كاب بون بتونس ونكاوس وخنشلة وسطيف بالجزائر، حيث نجد فيها التعبير اللاتيني دومينوس سانكتوس الذي يترجم بكل أمانة و بصفة أدبية التعبير البوني أدون قدس Adon Qodesh[3] ومما يستحق ذكره أن بعل حمون كان يعتبر الإله الحامي لقرطاجة، وهناك وثائق وفيرة في هذا الشأن .

بعل حمون في حضر موت

طوتوجد صورة لبعل حمون اكتشفت في سوسة وهي حضر موت القديمة أو حدر متوم، وقد حدد تاريخ هذا التمثال بالقرن الخامس ق.م (وهو تحديد بييرسنتاس) [4]، وطول التمثال لا يتجاوز 17 سنتم، ولكن الوثيقة المكتوبة لتمثال بعل حمون ضاعت وهربت خارج تونس، حيث أن هناك بحث مكثف بمشاركة الشرطة الدولية لاسترجاع هذه الوثيقة[5] وهي جريمة تهدف إلى حرمان تمثال بعل حمون في وضعه بالمتحف التونسي[6].

1 – نفس المرجع فنتر ص 82.

2 – نفس المرجع بالفرنسية فنتر ص 82.

3 – نفس المرجع بالفرنسية لفنتر ص 82.

4 – نفس المرجع بالفرنسية لفنتر ص 87.

5 – نفس المرجع ص 87.

6 – نفس المرجع ص 87.

اتساع عبادة الإلهين بعل حمون و تانيت في البلاد النوميديـة

وعندما جرى امتزاج بين المجتمعين البوني والنوميدي، ووفقا لذلك عمت المنطقة النوميدية عبادة الإلهين بعل حمون وتانيت بني بعل (وجه بعل) و تعايشت مع الآلهة المحلية السابقة عنها في المنطقة التي عرفت فيما بعد بالآلهة المورية[1]

وقد كانت عبادة الآلهة بعل حمون والآلهة تانيت قد وجدت في نوميديا أرضا ملائمة لازدهارها ولعل ما يدعم هذا الرأي، هو وجود معبد الحفرة بقسنطينة الذي كان مسخر لتلك العبادة[2]، والذي يدل على مدى اتساع وشيوع نفوذ الديانة البونية في البلاد النوميدية وهذا هو السبب الذي جعلني أسلط وأكتشف هذا الجانب أي عبادة بعل حمون وتانيت في قرطاجة والبلاد النوميدية واللوبية على العموم .

وغالبا ما تتبوأ تانيت المكانة الأولى في الذكر والعبادة، و ذلك قبل مرافقها بعل حمون، هذا في نقوش قرطاجة أما في سيرتا، فكانت السيطرة في الذكر من نصيب الإله بعل حمون، ثم تأتي بعده تانيت، وهناك آلهة أخرى مثل بعل إديروملقارت[3].

وهناك إشارة إلى تانيت في بعض النقوش البونية في كل من مدينة سيرتا والمواقع الأثرية ذات التأثير البوني القريبة منها، ولا حاجة أن نذكر هنا بأن نطلق اسم الآلهة تانيت وكتابتها بهذه الطريقة لا تزال لم تتأكد بعد وإنما هي تقريبية فقط، وبعل حمون في بعض نصب قسنطينة حاملا للخولجان[4]. وعليه فإن الإله بعل حمون و الإلهة تانيت لم يكونا بالإلهين البونيين الوحيدين اللذين أنشئت لهما المعابد، فهناك إشارة إلى وجود معبد للإله ملقارت تضمنته النقيشة البونية[5]. هذا مع العلم أن نشاط معبد بعل حمون في الحفرة يعود تاريخه إلى منتصف القرن الثاني ق.م[6]3 إن لم يكن قد سبق هذا التاريخ الآنف ذكره.

---

1 - د. محمد الصغير غانم المملكة النوميدية و الحضارة البونية ص ٢٠٦

2 - نفس المرجع ص 206.

3 - نفس المرجع د. غانم ص 207.

4 - نفس المرجع د. غانم ص 208 .

5 - نفس المرجع السابق ص 208.

6 - د. أحمد السليماني، دراسة نقدية للمصادر والآثار والأصول الإنسانية والحضارية ص 34 مجلة الدراسات التاريخية لعدد 6/ 1992.

فدية الأطفال على شرف بعل حمون

إن المعطيات التاريخية تذكر لنا أنه كان من العادات الدينية المتبعة أن القرطاجيين كانوا يقدمون أولادهم الأوائل فداءا على شرف بعل حمون في نار موقدة، وهكذا يمكن أن نعتقد أن بعل حمون يمثل سيد المواقع الساخنة أو الحارة ونقل عبادة بعل حمون المهاجرون الفنيقيون الأوائل وكان من جملة مضمون وطقوس هذه العبادة تقديم الأطفال لحرقهم أحياء كنوع من الفداء للإله بعل حمون[1]، وهو نوع من الفداء البشري .

أما ديودور الصقلي عندما يتحدث عن فدية الأطفال في قرطاجة فإنه يدعو بعل حمون بكرنوس Kornos ولكن يجب تقبل رواية يودور الصقلي بنوع من الحذر. ولكن هناك معبودات أخرى تم اندماجها مع بعل حمون مثل زيوس، وجوبيتر، هذا حسب ما يذكره القديس أوغسطين، ولكن في عهد الإحتلال الروماني نلاحظ أن زيوس حل[2] مكانه أبيه كرونوس، مثلما حل بعل مكان إبل على رأس أوقمة آلهة أوغاريت في رأس الشمرة بفنيقيا أي لبنان حاليا[3].

1 - نفس المرجع أحمد السليماني ص 34.

2 - نفس المرجع ص 34.

ويكثر ذكر ممارسة تضحية الأطفال في الآثار ولكن كل الشواهد عليها جاءت في الواقع من قرطاجة ومستوطناتها في الحوض الغربي للمتوسط.ففي قرطاجة عثر على 20.000 من الجرار الجنزية، فيها بقايا هياكل عظيمة إنسانية وحيوانية أحرقت في المحرقة (وهي كلمة "توفيت" في المصادر التوراتية على امتداد 600 عام. وهناك بعض الجرار، وجرار أخرى تحتوي على رفات أطفال ومجموعة ثالثة من الجرار تظم بقايا حيوانات وأطفال[138]. وكانت كلها محروقة، وفي المقابر العادية رفات أولاد مدفونين و بقايا آخرين محروقين[239] ولقد خضعت ممارسة تضحية الأطفال في فينيقيا وفي قرطاجة وعند بني إسرائيل في العهد القديم لمراجعة تحليلية كاملة وتبين أن هذه الأضاحي كانت استثنائية، وقد بالغ بعض الكتاب في الحديث عنها، وفي إطلاق التعليمات فكلمة "توفيت" تدل على مقبرة للأطفال الذين توفوا لأسباب طبيعية، وقد كرست هذه المقبرة لتانيت اللطيفة ولبعل حمون[340] ثم أن النسبة الضعيفة من الأطفال المحرقين في قرطاجة تدل على أن توفيت كانت مقبرة عادية للأطفال. وتضحية الأطفال كانت حقيقية تاريخية لا غبار عليها كما يعتقد المؤرخ السوري محمد حرب فرزات اعتمادا علىالآثار مع وجود نقد لهذه العادة في الكتب السماوية[441] ومواعض الأنبياء ولكن لا يمكن البرهنة على هذه العادة بصفة منتظمة في فينيقيا[542] لعدم وجود براهين أثرية و لكن كانت تمارس أحيانا على الأقل وكانت تضحية الأطفال في فينيقيا طقسا دينيا وطريقة لتنظيم تزايد السكان، لأن حلول تضحية الحيوان محل تضحية الإنسان غدا أقل تكرارا مع تكاثر عدد السكان في قرطاجة[643].

1 - محمد حرب فرزات ، الديانة الفينيقية ، عناصر البيولوجية في حضارة سوريا مجلة الدراسات التاريخية السورية/ صفحة 52 العدد 41-42 / دمشق / حزيران 92

2 - نفس المرجع صفحة 52

3 - نفس المرجع صفحة 52

4 - نفس المرجع صفحة 52.

5 - نفس المرجع صفحة 52.

6 - نفس المرجع صفحة 53.

وفيما يتعلق بمسألة تضحية الأطفال والطوفيت (أي المقدس)، وإن معنى الطوفيت الذي يعد من الطقوس الجنائزية والذي لا يعد من المظاهرالتي لها طابع تضحية مع العلم أنمصطلح معبد الذي تم توظيفه هو الذي يعبرعن المعنى المقصود بالضبط، وهناك المظهر الجنائزي للطوفيت حيث يلاحظ طقس إراقة الخمر إكراما للآلهة الوثنية وتتجلى فيما يلي:

عن طريق وجود حفر مدورة ... من أجل استقبال إراقة الخمور، واعتمادا على هذه الأطروحة المتعلقة بإقامة شعائر جنائزية الذي تم إحياؤه في الطوفيت (أي المقدس)، وقد دعم ذلك بالإكتشاف الذي وقع في 12 جويلية 1945، والذي عثر فيه بفرنطون على مسلة أو نصب (une stéle â fronton, la stéle Cb 687 bis,Cis I,5780)[1] يمثل امرأة مرتدية لباسا طويلا وهي راكعة وهذا النصب يمثل مشهد لإراقة الخمر قربانا للآلهة .

وحسب د. محمد حسين فنطر فإن السيد لانسيل S.Lancel يرى أن تضحية الأطفال تعد حقيقة تاريخية و لكن مسألة الطوفيت (أو المقدس) والتضحية بالأطفال عند البونيين تعد موضوع جدال كبير. فيرى د.فنطر أنه لابد من فتح الملف للنقاش الواسع[2] يشارك فيه كبار المختصين في هذاالمضمار بينيشو صفار وس. ريبشيني (H.Benichou Safar,S.Ribichini) وآخرون ولابد من مشاركة المختص الكبير للحضارة و البونية السيد سباتينو موسكاتي، ففي هذا الإطار يرى د. فنطر بل يأمل أن يجري ذات يوم عن طريق المؤسسات المختصة تنظيم ندوة أو مائدة مستديرة حول محور الطوفيت وتضحية الملك.[3] Le tofet et le sacrifice molk .

ومما يجب الإشارة إليه أن الطوفيت في العالم البوني كان يرتاده العديد من المتعبدين الذين كانوا يأتون للتعبد بدون أي علاقة تذكر بتضحية الأطفال، فيقدمون إلى الآلهة أو المعبودإلتماس أو صلاة وعند تقديم الدعاء وإجراء

---

1 - Voir Dr.M.H. Fanter, A propos d'un livre sur sur carthage P.80(de S.Lancel, édition Arthème, Fayard, Paris 1992) Note E discussioni- Consiglio Nazionale Delle Richerche 1993 (Instituto Per la Civilita, Fenicia E Penica, ROMA)

2 - Id Ibid, Fantar p 80

3 - Id Ibid p 81.

المراسيم التعبدية يقدم أضحية وليست ضمنيا أن يكون القربان أو الأضحية بشرية[1]، ولكنها كانت عبارة عن حيوان أو بعض من القرابين الأخرى[2].

واعتمادا على الجانب الأثري فمن خلال مشهد تمثالي نحصل على مادة تاريخية وتتمثل في الكاهنة القرطاجية عريشات وهي كاهنة عشتارت التي قدمت قربانا أو أضحية والتي لم تكن بالتأكيد أضحية بشرية[3] وكان هنالك الجو القرباني للطوفيت الذي كان مفتوحا إلى كل الذين يودون اللجوء إلى الآلهة ، وبفضل النقوش التي نقشت على نصب الطوفيت فنلاحظ ما يلي :

1. أن الوالد يقدم الدعاء، أما الإبن فيقوم بمهمة إنجازه .

2. من أجل التضحية للطوفيت فأي مواطن من قرطاج يشارك ابنته[4].

3. الأب والإبن يشاركان من أجل أضحية .

4. الأخ والأخت يشاركان من أجل أضحية مشتركة[5].

وفي هذا الإطار ولحالات مشابهة فإن فرضية أضحية الأطفال تعتبر ملغاة وليس لها وجود في العالم القرطاجي.

وسألت السيد: برطولوني Bartoloni إبان زيارة لكركوان أثناء الحفريات التي جرت في هذه المدينة القرطاجية بتاريخ 12 إلى 24 أوت 2002 والتي شاركت فيها، كما قلت سألته عن رأيه فيما يخص أضحية أو فدية الأطفال في قرطاجة فأجابني قائلا باللغة الفرنسية: فيما يخص فدية الأطفال أنا أعتقد أنه لم يجر فدية أو أضحية للأطفال، حيث كان يجري الموت الطبيعي للأطفال، ثم يحرقون في المعبد، أما تقديمهم كرقبان فلم يجر إطلاقا، حيث أنه حسب المصادر الدينية القديمة،

1 - Id Ibid P.81
2 - Id Ibid P.81
3 - Id Ibid Fantar à propos d'un livre sur carthage de S.Lancel p.81
4 - Id Ibid P81
5 - Id Ibid P 81
6 - Id Ibid P 81

منها الكتاب المقدس كان يقدم في المعابد الحيوانات كقرابين وليس البشر، انتهى كلام السيد بارطولوني هذا. ومما يجب ذكره أن السيد برطولوني يعتبر اليوم بمثابة مدير الدراسات الفنيقية في روما وحل محل سباتينو موسكاي المختص الإيطالي الكبير في العالم البوني، وهو أستاذ محاضر في جامعة ساسيري بسردينيا في إيطاليا Université Caceri، وقام السيد برطولوني بتأليف خمسة عشر مجلدا حول المقابر البونية والعالم البوني، وكتب مائة وسبعون مقالة في مجلات مختصة حول المقابر البونية، وله كتابان فالأول حول جزيرة سردينيا في العهد البوني وكاب بون (أي منطقة الوطن القبلي اليوم) ومونتي سيراي وبيطيا في سردينيا. واغتنمت فرصة وجود الأستاذ برطولوني في كركوان فقمت بإجراء استجواب قصير معه بالفيديو ضمن شريط حول مدينة كركوان البونية مدة بثه 26 دقيقة.



الصورة رقم : 23

في أنتاس بجزيرة سردينيا عثر على تمثال إمرأة بالبرونز وهي راكعة في هيئة عبادة.

كالياري: المتحف الوطني، إيطاليا.

SABATINO Moscati.L'Empire de Carthage.



الصورة رقم : 24

تمثال جنائزي يمثل إمرأة ويدها اليمنى مرفوعة تمثل رمز السلام، ويدها اليسرى مرفوعة على الصدر من أجل شيء يصعب معرفته .

سباتينو موسكاتي،



الصورة رقم : 25

نصب ديني لتانيت مع تتويج وسمكة، والكتابة البونية واضحة في أسفل النصب.

(متحف اللوفر) سباتينو موسكتي،

إمبراطورية قرطاجة.

أثر اللغة البونية في نوميديا

البونية لغة رسمية في نوميديا

في الميدان اللغوي نلاحظ تأثير هام للغة البونية في نوميديا وقرطاجة بالطبع ففي البلاد النوميدية كانت البونية هي اللغة الرسمية وكانت بمثابة لغة الكتابة والمخاطبة في الممالك النوميدية والموريطانية، حتى ما بعد[1] تهديم قرطاجة وباللغة البونية قدمت النذر إلى الآلهة في المعابد وكذا النصوص الإدارية التي عثر عليها وقد استعملت أيضا تلك اللغة في كتابة الشواهد القبرية وكذا العملة.

ولم يقتصر ذلك على النوميديين الشرقيين وحدهم فقط بل مس ذلك كل شمال إفريقيا قاطبة[2] وهذا لا يعني أن الأفارقة أو اللوبيين لم تكن لهم لغة خاصة فقد كانت لغتهم منتشرة في إفريقيا الشمالية والتي بقيت موجودة إلى يومنا هذا عند الطوارق الذين يستعملون لغة التيفناغ الذي وضع دوفوكو قاموس ـ طارقي - فرنسي وفرنسي- طارقي وهو راهب فرنسي عاش مدة من الزمن في المغرب الأقصى وأقام مدة طويلة في تامنغست حيث قضى بقيت عمره هناك حتى أغتيل على يد الطوارق لأسباب دينية و سياسية . وهناك دليل آخر يبين مدى تأثير اللغة البونية في تعامل الملوك بهذه اللغة، فالملك سيفاكس والملك ماسينيسا ويمتد الأمر إلى بوخوس الثاني فكل هؤلاء سكوا العملات الوطنية برموز وكتابات بونية وبونية جديدة[3].

وبعد ذلك بمدة بقيت البونية مستعملة إلى أن جاء عهد يوبا الأول حيث نجد عهدا جديدا يمثل تأثير لغة جديدة وهي اللغة اللاتينية مكانة اللغة البونية في البلاد النوميدية.

---

1 - أحمد حسين السليماني ، قرطاجة و الليبيون أطروحة دكتوراة درجة ثالثة نوقشت في جامعة نيس جانفي 1981 تحت إشراف كومبي فارنوبرنارص 123.

2 - Ch Couctois "Saint Augustin et la survivance du punique R.Africaine T 94, 1950 P 259-282

3 - Dr Ahmed Esslimani, Carthage et les libyens, P124-125, et 145 Thèse du Doct 3Cycle soutenu à Nice Janvier 1981

أنظر أيضا د. محمد الصغير غانم المملكة النوميدية و الحضارة البونية

وحسب المعطيات التاريخية والأثرية التي تبين لنا أن السجلات الرسمية كانت تحرر في المملكة النوميدية باللغة البونية، ما عدا حالة خاصة وهي تتعلق بنصب تذكاري له صبغة دينية وهو مزدوج الغة وهو يخص النصب التذكاري لماسينيسا الموجود في دوقة[4] داخل التراب التونسي بالقرب من الحدود التونسية الجزائرية وهو ليس بعيدا عن مدينة الكاف التونسية وسوق أهراس الجزائرية، ومدينة مداوروش الرومانية التي هي ليست بعيدة عن سوق أهراس أي تاغشطت القديمة التي ولد فيها القديس أوغسطين .

ونصب دوقة سوف نتعرض إليه في مقام لاحق بالتفصيل، وهو يحتوي على نص بوني مع جملة يبدو أنها مكتوبة بأبجدية ليبية ولكن غير مفهومة من الناحية اللغوية، وقد يعود لسبب إلى أن اللغة الليبية القديمة المعاصرة لعهد ماسينيسا لم يتم فك رموزها إلى حد الآن فتبقى كمعضلة تاريخية ولغوية تحتاج إلى بحث عميق من المختصين الجزائريين وغيرهم.

وإن النص المكتوب باللغة البونية في نصب دوقة يدل على أن الأهالي النوميديين بقوا على صلة بالبونية في القرن الثاني قبل الميلاد ويبرهن على الإستعمال المستمر لهذه اللغة في أوساط الشعب النوميدي خاصة والليبي عموما وتم تحريرأو كتابة النص الجنائزي لمسينيسا في يول أي شرشال .

اتساع التعامل بالبونية في نوميديا

وعلى كل حال فقد بقيت اللغة البونية مستعملة كلغة رسمية و لغة التداول اليومية في قرطاجة وفي الممالك النوميدية الوطنية على مدى خمسمائة عام بعد تهديم قرطاجة وهذا اعتمادا على المخلفات النقوشية التي عثر عليها في[5] أماكن عديدة في إفريقيا الشمالية ولا سيما في قلب نوميدا القديمة أي الجزائر القديمة[6] .ونستطيع أن نستدل بما سبق ذكره أن اللغة البونية أي القرطاجية بقيت متداولة

4 - Id Ibid P7.

5 - Gamps Gabriel, Réflexion sur la périétration de la civilation punique en Numidie p5.

6- Id Ibid p 5 et 6.

كلغة كلام في أوساط النوميديين وكانت هذه اللغة وسيلة اتصال و تخاطب في معظم المدن وأرياف نوميديا حتى وصل الأمر بالقديس أوغسطين فيلسوف المسيحية الكاثوليكية الذي كتب مدينة الله وهو جزائري ولد في ثاعشطةأي سوق أهراس القديمة وقد عاش بعد زوال قرطاجة بخمسمائة عام فقد ذكر أوغسطين أن سكان الريف المحاذي لمدينة عنابة هيبون القديمة كانوا لا يزالون حتى فترة وجوده يتحدثون ويتخاطبون باللغة القرطاجية أي البونية[7].

وبعد وفاة القديس إوغسطينوس بقرن من الزمان أشار المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس إلى أحفاد الكنعانيين الذين لا تزال بقاياهم في المنطقة النوميدية والمقصود بذلك بقايا القرطاجيين.

فضل ماسينيسا في نشر البونيـة

وتبنى الملك الماسيلي اللغة البونية كلغة عمل وتعامل في الإدارة النوميدية ومعنى هذا أنها كلغة رسمية فكانت بمثابة لغة البلاط الملكي، ولغة استعمال في القطاع الإداري والتعامل الرسمي للملك في مملكته العامرة.

وكان رؤساء القبائل النوميدية والليبية في المناطق الداخلية والمواطن السكانية في البلاد يتعاملون ويتحدثون باللغة البونية أي القرطاجية لأنها كانت لغة الحواضر وهي تمثل لغة الثقافة على العموم في المدن النوميدية[8].

ونستطيع أن نقول أن الملك ماسينيسا يعود له الفضل في نشر الثقافة القرطاجية في أوساط المجتمع النوميدي داخل المملكة النوميدية ولا سيما أنه تبنى اللغة البونية كلغة رسمية للثقافة والإدارة في فترة حكمه[9]. وهو في ذلك لا

---

7 - Voir Dr Ahmed esslimani Carthage et les Libyens p 125 et voir aussi camps Gabriel , Reflexions sur la penetration de la civilisation punique en Numidie p 7 et "La survirance du punique" du V et VI siècle karthago T4 1953 p 169-178.

8 - د. محمد الصغير غانم المملكة النوميدية والحضارة البونية ص147.

9 - نفس المرجع ص 147 أنظر ايضا بالفرنسية لمزيد من التفاصيل

G.Camps "les Numidies et la civilisation Punique dans Aut,T,14 1979 ,p 43-53

يختلف عن جيرانه المازسيليين و المورييين الذين كانوا يتعاملون بنفس اللغة، غير أن وجود بوفرة النقوش البونية الحديثة بأعداد كثيرة في نوميديا الشرقية أي في الشرق الجزائري القديم يجعلنا نعتقد أن[10] مشاركة ماسينيسا وأحفاده من بعده في ميدان تعميق ظاهرة الفينقة في نوميديا كانت بصفة فعالة جدا[11]

10 - نفس المرجع ص 147.

11 - نفس المرجع ص 147.



الصورة رقم : 26

هذه اللوحة المكتوبة بالقرطاجية تمثل تدشين شارع جديد في قرطاجة خلال العهد المزدهر يتجه نحو ساحة باب الحديد (متحف قرطاجة، ما بين القرن الرابع والقرن الثالث ق.م).

مملكة ماسينيسن من خلال النقائش البونية

نموذج من الأنصاب المكتوبة في معبد الحفرة بقسنطينة

رب سائل لماذا احترت الكتابة والبحث في موضوع ماسينيسن من خلال الأنصاب البونية المكتوبة في معبد الحفرة بقسنطينة أي قيرتة القديمة ؟

والجواب على ذلك هو أنني اخترت هذا الموضوع الشائك والصعب لأنني وجدت فراغا كبيرا ونقصا ملحوظا في الدراسات المتعلقة بالبحث في آثار مملكة ماسينيسن من الناحية الإيبكرافية ولا سيما أن علم الإيبكرافيا أي علم الكتابات القديمة قد عرف تطورا كبيرا بفضل علماء أجلاء من فرنسا وابريطانيا والدنمارك والسويد ويمكن أن نضرب مثلا على ذلك بجان فرانسوا شومبوليون الذي استطاع أن يفك اللغة الهيروغليفية بمعية ومساعدة علماء من بريطانيا وفرنسا وغيرهما، ولا ننسى دور التحكم ومعرفة كنه اللغة الفينيقية واللغات الشرقية الأخرى في الإطلع على مكنونات النقوش الفينيقية البونية التي بواسطتها نستطيع أن نحل كثيرا من الغموض والألغاز العالقة بتاريخ نوميديا القديمة أي الجزائر القديمة وتاريخ إفريقيا الشمالية.

وقبل الحديث والبحث في النقوش المكتوبة التي عثر عليها علماء الآثار في قسنطينة (بعضها عن طريق الصدفة)، وتواصلت عمليات التنقيب على هذه النقائش إعتمادا على المادة التاريخية والمواقع الأثرية التي حددها العالم المؤرخ ستيفان قزال صاحب كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية في ثماني مجلدات وهو مؤلف الأطلس الأثري ، فرأيت قبل دراسة هذه النقائش المتعلقة بموضوع دراستنا (مملكة ماسينيسن التي عثر عليها في معبد الحفرة)، فوجدت كما قلت؛ ولا بأس أن أعرج وأمهد لدخولي في صلب الموضوع على الحديث عن تاريخ وظروف نشأة البحث في النقائش البونية التي أمدتنا بمادة تاريخية هامة تخص تاريخ قرطاجة ونوميديا وتطور الممالك النوميدية في بعض الوجوه التي تشكو من ثغراة تاريخية بليغة.

مكانة النقائش البونيـة

وهناك من يرى في هذا السياقأن إفريقيا الشمالية دخلت في المرحلة التاريخية بعدما تعرف عليها الفينيقيون وأقاموا فيها وأصبحت لهم في سواحل هذه البلاد مصارف ومخازن ومدن وقرى، مع العلم أن الإشراقة الكبرى تحققت بعد إنشاء قرط حدشت (أي قرطاجة باللغة الفينيقية).

ومن نتائج الحضور الفينيقي والقرطاجي إنتشار الكتابة في مختلف ميادين الحياة من تجارة وإدارة وتوثيق، والذين عاشوا في هذه الربوع الفينيقية القرطاجية كتبوا[1] ودونوا تجاربهم الدينية والدنيوية، وتسرب الحرف إلى المصانع والمتاجر والمعابد والمدافن علاوة على المدارس وفضاءات تضمن ظروف الإبداع، وتجاوز الحرف الديار الفينيقية البونية ليندس وينتشر في الممالك النوميدية مصولية كمملكة ماسينيسن أو مسيصولية كمملكة سيفاك وإبنه فرمينا فيما بعد ، بل تجاوز تخوم هذه الممالك ليدرك دنيا الماووريين[2] حتى أصبحت دور الكتب تعج بوثائق ومصنفات مختلفة الأغراض أشير إليها مرارا وتكرارا في روايات أوردها قدماء الإغريق والرومان.

وقد أضرت عوائد الدهر بالكتب القرطاجية فذهب جلها غذاء النار التي أضرمتها الجيوش الرومانية في قرطاجة بأمر من قائدها سيبيون إمليانوس إبان الحرب البونية الثالثة (149-146 ق.م) وحول بعضها إلى القصور النوميدية فتوارثها الملوك والأمراء.

وتذكر المصادر القديمة أن الدولة الرومانية وضعت يدها على الموسوعة الزراعية التي صنفها ماجون القرطاجي، وكانت هذه الموسوعة تضم ثمانية وعشرون سفرا تناولت الأرض والفلاحة؛ ولكن لم يبقى منها إلا ست وستون فقرة توحي بأغراض الموسوعة وأهدافها: ففيها فصول مطولة حول الزراعات الكبرى.

---

1 - أنظر د. محمد حسين فنطر حول النقائش البونية ،ص:١.إفريقية سلسلة مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية عدد 11 / المعهد الوطني للتراث تونس .

2 - نفس المرجع،ص: ١ ولمزيد من التفاصيل التي أوردها د.فنطر:أنظر :

Karchedon,Voir S.Gsell , Histoire Hancienne de l'afrique du Nord,tome I ,1913, et voir Auguste Audolleu, Carthage Romaine, Paris 1901,p:1-1

أما عن كتب البونيين الأخرى - وقد كانت كثيرة العدد مختلفة الغرض- فلم يبقى منها إلا إشارات عابرة تضمنتها مصنفات الأقدمين[3]. ومن بقايا تلك الكتب البونية أختام من طين ساعد الحريق الذي التهم قرطاج على تمتينها فضمن لها البقاء ، وهي أختام ترتدي شكل أقراص عليها صورا مختلفة كانوا يختارونها لأهداف يعسر علينا التعرف والوقوف على كنهها[4].

فما تبقى من كتابات البونيين يتمثل في نقائش سطرت على مواد قادرة على الصمود كالحجارة بأنواعها من كلس ورخام وحجر رملي وغيرها وهذه نقائش أخرى سطروها على العظام والعاج والطين المفخور ، وصفائح معدنية ونقود ومجوهرات نذكر منها نوعا من ذهب عثر عليها في أحد القبور القرطاجية [5]، هذا وتوجد نقائش بونية سطرت على الرصاص أو على الجلد ثم لابد من ذكر النقائش التي حفرت على واجهات بعض الأضرحة وتلك التي كتبت بالقلم والحبر على جدران بعض الغرف الجنائزية ؛ وغيرها تحكي الحروف الفينيقية أو على شاكلتها ، ونقائش حروفها نسخية مختزلة وعرفت بالنقائش البونية الحديثة وسميت كذلك لأنها أدركت أوج انتشارها بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م.

مع العلم أن الحرف النسخي المختزل كان معروفا عند القرطاجيين قبل سقوط مدينتهم ولا أدل من ذلك على وجوده على أنصاب أقيمت في قدس بعل حمون قربانا وإجلالا له ولرفيقته تانيت وتجدر الإشارة إلى أن نقيشة حروفها نسخية مختزلة سطرت بالقلم والمداد الأحمر على جدار غرفة جنائزية تم العثور عليها في مقبرة بونية تابعة لمدينة قلبية العتيقة ، وكان الإغريق يسمونها إسبيس ، وتعود النقيشة إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني ق.م [6].

3 - نفس المرجع، د. فنطر، ص:2.

4 - نفس المرجع، ص:3.

5 - نفس المرجع، ص:3.

6 - نفس المرجع، ص:3.

ولقد عثر على نقائش بونية في تونس، والجزائر، والمغرب الأقصى، هذا فيما يخص جنوب غرب حوض المتوسط، وقد حظيت قرطاجة بنصيب الأسد للنقائش البونية، وهناك حظورفي مدن ومواقع عديدة منها وتيكة وسوسة والديماس والتلالسة وجرجيس[7] وقليبية وكركوان وقرية...إلخ .

ولم يتولى الدارسون إحصاء النقائش البونية التي عثر عليها في تونس، ولكن من الثابت أنها آلاف، فمنها ما سجل في القسم الأول من ديوان النقائش السامية Corpus Sémitique وبلغ عدد النقائش التي يضمها هذا القسم ما ينيف عن خمسة آلاف ، وهي مجموعة تم العثور عليها في خرائب قرطاجة العتيقة ، ومعلوم أن أخرى عديدة أنجبتها حفريات قرطاجة ولم يتم ضمها إلى الديوان[8] سالف ذكره، وقد عثر على مجموعات أخرى في العديد من المواقع؛ بعضها نشر وبعضها الآخر مازال يترقب دارسا أو ناشرا يتولى التعريف بها والإستفادة منها ، فليس أحد يستطيع اليوم أن يقدم كشفا شاملا لضبط عدد النقائش البونية الموجودة في تونس، والحفريات الجديدة هي التي تمدنا بالجديد وتثري الرصيد.[9]

بالنسبة إلى النقائش البونية الموجودة في الجزائر القديمة والتي كشفها المنقبون الأوربيون، ويعتبر معبد الحفرة في قسنطينة أي قيرتا القديمة (وهو بيت القصيد في بحثنا هذا) من أكبر المخزونات على المستوى العالمي من ناحية قيمة ودلالات هذه النقوش[10] والتي أخذت حيزا هاما في دراستنا، مع العلم أن منطقة قالمة وإيجيلجيلي، وسكيكدة، وسيغن، وتيبازة،[11] وقوراية بالقرب من شرشال ويول والطارف وإيكوسيوم، وكلها بمثابة مواقع أثرية تحتوي على نقائش بونية تحتاج إلى حفريات جديدة (وسنقوم بذلك في إطار فرقة البحث إن شاء الله) وتوجد مواقع

7 - نفس المرجع، ص:3، ولمزيد من التفاصيل انظر : Voir J.G. Fevrier, Histoire de l'ecriture, Paris.

8 - نفس المرجع، ص: 5.

9 - نفس المرجع، ص: 6.

10 - نفس المرجع، ص: 7.

11 - نفس المرجع، ص: 7.

تحتوي على نقائش مزدوجة عثر عليهاالمنقبون مكتوبة باللوبية والبونية وهي موجودة في دوقة وتيبور سوق، ومكتار وبرج هلال، وعين الكبش، وعين ناشمة، وعثر ايضا على نقوش مزدوجة ليبية بونية في مشتة بني وكدن، وفي سيغوسSigus، علاوة على ما عثر علية في ليكسوس[12] من نقيشة مزدوجة ليبية بونية ذكرها كالاند وزنيسر في مقالة نشرت في مجلة سيميتيكا (بالفرنسية)L.Galand - M. Sznycer، la bilingue libyque punique de lixus,Sémitica, XX,1970,P:5-16. أما النص المزدوج الليبي البوني الذي عثر عليه المنقبون في كعفور بالوطن التونسي الشقيق لم يتم نشر تفاصيله بعد.[13]

مملكة ماسينيسن من خلال المصادر التاريخية والأثرية

المصادرالمتعلقة بماسينيسن هزيلة وضعيفة بل قل فقيرة، ونعني بذلك المصادر الأدبية والوثائق الأركيولوجية أي الأثرية المتعلقة بهذا الملك العظيم ماسينيسن،وقد قام ستيفان قازال Stehpane Gsell [14]ببعث وإحياء واستنطاق النصوص القديمة الإغريقية واللاتينية التي تسلط الأضواء أو تكشف على بعض الأحداث التي تخص حياة ماسينيسن من خلال المغامرات والأحداث التي شارك فيها في غرب المتوسط، فماسينيسن ومعاصروه من الأفارقة والبونيين أي القرطاجيين دخلوا إلى التاريخ عن طريق الحروب البونية، بحيث أن حكم ماسينيسن الطويل من الناحية الزمنية لم يتم توضيحه إلا من خلال فتراته الأولى والنهائية المرتبطة بنهاية الحرب البونية الثانية أي سنواته الأخيرة التي أدت إللى مرحلة تحضير روما لتهديم قرطاجة.[15]

وهناك مصادر تاريخية قديمة نستطيع بواسطتها أن نطلع على بعض المصادر

12 - Voir Mansour GHAKI,répartition des inscriptions libyques ,P:104-105.Africa.Institut du Patrimoine TUNIS.

13 - Id Ibid,p:105.

14 - Voir Camps Gabriel, Massinissa au début de ?histoire .P:185,lybica-Bulletin de service des Antiquités- Archéologie-Epigraohie ,TomeVIII,Alger 1er Semestre 1960.

15 - Id Ibid, P :185,et voir aussi pour avoir plus d'informations sur la destruction de Carthqge .

الفيزيولوجية والطبائع التي كانت تميز شخصية الملك ماسينيسن، جاء ذكرها على لسان بوليبيوس، وإيبيانوس، وسيسرون، ورونارس[16]

المصادر الأثرية والإيبكرافية الخاصة بماسينيسن

فيما يخص المصادر الأثرية وهي تتعلق أساسا بالوثائق الأركيولوجية والإبيغرافية فهي جد هزيلة وقليلة[17]، فهذا الملك العظيم لم يترك إلا آثارا مادية ضئيلة، ولسنا متأكدين من معرفة قبره، ونتقبل بدون حجة قاطعة أو برهان حقيقي على أن صومعة الخروب هي مدفنه الذي وضع فيه نعشه، ومن جملة الوثائق المعاصرة لدينا بل في حوزتنا المسكوكات النوميدية التي تعود إلى عهد ماسينيسن، وتوجد قطعة نقدية تحمل إسم ماسينيسن إعتمادا على مازار[18] (Mazard)

ويأتي بعد ذلك كمصادر النصب البونيةفي معبد الحفرة بقسنطينة التي هي موضوع دراستنا حيث نجد بعض هذه الأنصاب قد تم تأريخها حسب سنوات حكم الملك ماسينيسن[19] علاوة على ذلك توجد النقيشة المشهورة التي اكتشفت في معبد دوقة وهي بمثابة تشييد معلم دوقة من قبل أهالي مدينة دوقة في العام العاشر من حكم ماكيبسا، والجزء اللوبي من هذه النقيشة يعد بمثابة الوثيقة الوحيدة التي تعطينا الشكل اللغوي اللوبي لإسم ماسينيسن[20] أما النقوش الأخرى فهي بونية وإغريقية ولاتينية[21].

16- جاء ذكر رواياتهم في كتاب قزال ستيفان تاريخ إفريقيا الشمالية، ج11ص: 304-301/، Gsell.Stéphane Histoire Ancienne de L'afrique du Nord,p:301-304.

وقد نقلنا ذلك إعتمادا على مرجع رئيسي وهو كامبس غابريال/ Camps Gabriel, Massinissa,p:186.

17 - Voir Camps Gabriel, Massinissa ,p:186.

18 - Voir MAZARD corpus nummorun Numodiae Mauretaniaeque N° 17.

19) - Camps Gabriel, Massinissa,p:186.

20 - Id Ibid, p: 186.

21 - إعتمادا على كامبس في كتابه: ماسينيسا الذي أورد لنا المرجع الرئيسي حول النقائش الإغريقية التي جاء فيها ذكر الملك ماسينيسن:

Roussel et J. Hatzfeld, dans le bulletin de correspondanse hellenistique,TXXIII, 1909,P: 473 - 522, les autres textes figurent dans les insceiptions Graecae,II,968, (Athenes,XI 1115 ey 1116 Delos).

هذا مع العلم أن النقوش الإغريقية التي تذكر ماسينيسن هي معاصرة له وجاءت بفترة قليلة بعد وفاته [22] وهي عبارة عن مدح وثناء للملك ماسينيسن عثر عليها في ديلوس ببلاد الإغريقوقد قام بإقامة هذه النقيشةالملك نيكوميد الذي كان ملكا على بتينة Bithynie.

وهناك نقيشة بونية جديدة Néopunique كتبت بلغة قرطاجية متأخرة بعد سقوط قرطاجة، وهي تعد بمثابة تمجيد جنائزي للملك ماكيبسا، وقد جاء ذكر الملك ماسينيسن في هذه النقيشة.

وتوجد نقيشة لاتينية من روما تعود لنفس العهد تذكر الملك النوميدي ماسينيسن الذي حكم مدة طويلة في الجزائر القديمة وجعل قيرتا عاصمة لملكه.[23]

كما عثر على نقيشة لاتينية في قرطاجنة الجديدة بالأندلس أي إسبانيا الحالية Nova Carthago وهي تورد لنا شجرة النسب ليوبا الثاني [24]

وإن الوثائق الإيكوغرافية أي النقائش المكتوبة وضحت لنا أمر كتابة إسم ماسينيسن، بينما نجد أن المؤرخين الفرنسيين كتبوه بالسين المفتوحة في الأخير مع حذف النون أي ماسينيسا، ونذكر من المؤرخين الذين ساروا على هذا المنوال : ستيفان قزال، وشارل أندري جوليان، وبريتي، ومزارد، بما في ذلك المستشرقين مثل هاليفي Halevy، وديسو Dussand وشابوJ.B.Cabot وفيفريي، كلهم يذكرونه على نفس التركيب الإسمي وهو ماسينيسا بفتح السين فقط.

22 - يرى المؤرخون الفرنسيون الذين بحثوا في أصل تسمية نوميدي ونوميدا Numida أن النعت اللاتيني أي الروماني للنوميدي، زمنهم كامبس الذي يعتقد وينفي أن هذا النعت جاء أصلا من التسمية الإغريقية Nomades كما انه يرى في كتابه بالفرنسية تحت عنوان (ماسينيسا) ص: 152 أن بعض الشعراء اللاتين قد أوردوا الإسم الإغريقي نوماد Nomades منهم فرجيل في لانيلدة Vergil, Eneide, VI 320, 335, Silus Italicus VI,675, Martial, XII, 26, 6 كما يرى كذلك أنه توجد مجموعة بنيسة تتكون من صيادين بدائيين جدا يحملون اليوم في موريتانيا إسم نومادي Nomadi ، بل يلقبون بهذا الإسم سالف ذكره ، كما ارتبط هذا الإسم نومادي بالرعي .

23 - Voir Camps Gabriel, Massinissa,p:187.

24 - Id Ibid, p :187.

فإن النون الموجودة في النطق اللوبي لإسم ماسينيسن يدل على وجودها في أصل النطق البربري، وقد ذكرت صحيحة كما هي في الأصل في الأنصاب البونية بمعبد الحفرة فبي قسنطينة أي ماسينيسن، وهذا ما سنتعرف عليه في دراستنا للنصب التي جاء فيها ذكر الملك النوميدي في مقام لاحق من هذه الدراسة.

وإن كلمة ماسينيسن تعني سيد الجميع، وسعى هذا الملك أن يكون ملكا بمعنى الكلمة، وربما أراد أن يظهر بمظهر الإله[25]، وعلى كل حال فإن عبادة الإله الملك ظهرت وتركزت في عهده، فبعد مرور عشرة أعوام من وفاة الملك ماسينيسن أقيم له معبدا في دوقة بالقرب من الكاف في التراب التونسي ، والذي شاهدته خلال زيارة سياحية وأثرية له، وصورته بآلة التصوير، وكان ماسينيسن قد صك نقودا تحمل صورته بتاج على رأسه، مع العلم أن ماسينيسن كان له جيش وأسطول نوميدي لم يرقى إلى مستوى الجيش القرطاجي وأسطوله البحري العتيد.

وجعل ماسينيسن قيرتا (العاصمة الملكية) من أرقى المدن العالمية يومئذ، وبنى فيها قصرا كان يؤمه ويأتيه الناس من كل حدب وصوب من جميع أنحاء العالم القديم، وكانت عاصمته قيرتا قبلة وملاذا أمينا ومرتعا للفنانين والموسقيين الإغريق[26]، وعمل ماسينيسن أن يكون الحكم وراثيا لأكبر أبنائه مثلما هو معمول به في الممالك اليونانية ،لكنه لم يستطيع أن يحقق هذا المبتغى لأن الرومان وقفوا له بالمرصاد ، فعارض سيبيون الإيميليب الروماني هذه الفكرةالملكية النوميدية وعمد إلى تجزئة المملكة النوميدية ولو أن هناك من يشك في تبعية الدولة النوميدية لروما، على كل حال فقد اعترف مجلس الشيوخ الروماني وهذا نقلا عن ليفيوس عن بوليبيوس بوجود السيادة النوميدية علة مملكة ماسينيسن جاء فيها :أرسل السيناتور بعثة لتهنئة ماسينيسان ليس لكونه سيطر على مملكة آبائه فحسب، ولكن لأنه وسعها بضم القسم الأكثرمن مملكة سيفاك.

25 - أنظر د. محمد البشير الشنيتي قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة، ص: 38 /مجلة التاريخ/ معهد التاريخ العدد 5- 1988.

26 - نفس المرجع، ص : 38 ولمزيد من التفاصيل أنظر:LIVIUS. XXXVII.53,22

ويفهم من بوليبيوس أن ماسينيسن ملك حر، ولكنه صديق للرومان وشأنه في ذلك شأن معاصريه الملوك المتاخمين لحدود الإمبراطورية الرومانية، ومن ثم فلا مجال لفكرة العطاء (Donation) أي منحة المملكة من قبل الرومان التي روج لها صلوسيتيوس وليقيوس، وفي هذا الشأن جاء على لسان بوليبيوس أن معاهدة السلم المبرمة بين روما وقرطاجة عقب معركة زاما 202 ق.م تضمنت مصالح المملكة والحقول والمدن وجميع ما هو بحوزة ماسينيسن أو كان تابعا لمملكة آبائه يجب إعادته إليه.[27]

أما أبيانونوس فروايته حول الموضوع تجعلنا نستنتج أن ماسينيسن دخل الحرب الإفريقية (البونية الثالثة) كملك نوميدي قوي الجانب ، وأنه دخلها إلى جانب سيبيون مخيرا على رأس جيش من رعايا مملكة أجداده الماسيليس، في جيش مدرب في فنون وأساليب القتال التي تقتضيها الأرض الإفريقية، وأنه دخلها بعبقريته العسكرية وإقدامه دون أن يهمل نصائح حليفه سيبيون عندما كان محتاجا إليها، وعرف كيف يتخلص منها عندما كانت تعوقه[28]، وفي هذا السياق يدخل هجومهالإنفرادي على خصمه سيفاكس ودخوله مدينة قيرتا وقبضه على سوفونيس أرملت الملك الأسير سيفاكس وتزوج منها ثم قتل ماسينيسن هذه الأميرة الحسناء عن طرق احتساءها السم في كوب بدلا من تسليمها لحليفها الروماني.

وساهم الود والخوف لدى رعايا الملك ماسينيسن في تعلقهم بملكهم، وتواصلت عبادته على مر العصور وهو يشبه في هذا الجانب الملوك الفراعنة في مصر الفرعونية؛الذين كانوا بمثابة ملوك وآلهة مقدسين في نفس الوقت .

ويوجد في الخروب بالقرب من مدينة قيرتا (قسنطينة اليوم)ضريح من الحجارة المنحوتة يدعى صومعة الخروب، وقام بترميمه فنانون فرنسيون ما بين 1915

---

27 - يورد لنا قزال رواية صلوستيوس وليقيوس، ومفادها أن مسينيسن حصل على لقب ملك ابتداءا من العام 203 ق.م على يد القنصل سيبيوس بعد هزيمة وأسر سيفاك. أنظر قزال ستيفان، كتابه: تاريخ إفريقيا الشمالية القديم ، الجزء الثالث، ص:240

Voir Gsell Stephane.Histoire ancienne de l'Afrique du nord .tome 3 p:240. (POLIBIUSXI, 18..1)

28 - أنظر: د.الشنيتي المرجع السابق، ص : 38 الذي يورد.

و1916 من القرن العشرين، أثناء أعمال ترميم هذاالأثر الفني القديم، واكتشف قبرهذا الأثر التاريخي مع متاع كبير؛ يتكون من سلاح وآنية طعام [29] وحوض من فضة مملوء بالرماد، ويحتمل أن هذا الرماد قد يكون [30] ما بقي من جثة الملك ماسينيسن؛ إذا ما أخذنا بعين الإعتبار: العصر والموقع والفن المعماري، وعادة ما يتم إحراق الموتى في ذلك العهد القديم، ويرجع أن يكون ذلك مدفنا للملك ماسينيسن الذي أراد أن يطل على عاصمة مملكته في موقع ممتاز هو كدية الخروب، لتذكره الأجيال القادمة على ما فعله من إنجازات معتبرة ومآثر خالدة. كما أود أن أذكر بهذه المناسبة أن ماسينيسن رغم تحالفه مع الرومان؛ فإنه تأسف على نية الرومان التي كانت تهدف لتدمير قرطاجة وإزالتها من الوجوج، الشيء الذي ولد له في أعماق نفسه كراهية للرومان، وهذا ما يفسر تكوينه لإبنه مستتبعل على تربية وثقافة يونانية محضة وينهل من الرصيد الحضاري الهلينستي؛ كرد فعل ومعارضة واضحة ضد الثقافة الرومانية.

29 – نفس المرجع السابق د. الشنيتي، ص : 38.

30) - Voir Gsell Stephane.Histoire ancienne de l'Afrique du nord .tome 3 p:321.et voir aussi Camps G. Massinissa,p:194..

تفاسير الأنصبة البونية التي ورد فيها ذكر الملك ماسينيس في معبد الحفرة بقسنطينة

قبل الخوض في تفاسير الأنصبة البونية وهي أنصبة ندرية ورد فيها ذكر الملك ماسينيسن، لابد من تقديم نظرة وجيزة حول تاريخ اكتشاف نصب معبد الحفرة، ويعد الباحث الفرنسي دولامار Delamar هو أول من بحث في ميدان الآثار بشكل منظم في قسنطينة ما بين 1840م-1845م عندما رسم في لوحته رقم 129 ثلاثة أنصبة فينيقية.

وجمع كوسته الأثري الإيطالي ما بين 1875م-1887م مجموعة أثرية تحتوي على مائة وثلاثين (130) نصبا ندريا التقطت من مرتفع الحفرة، وكانت هذه النصب مبعثرة في منطقة واسعة، وأرسل جزء من هذه المجموعة الأثرية[31] إلى متحف اللوفر، وقد تحصل على 135 قطعة منها وذلك بعد وفاته عام 1877م، هذا ومما يجب ذكره في هذا المضمار أن كوستة باع عددا كبيرا من النصب الندرية إلى متحف قسنطينة الذي أنشأ[32] في عام 1855م.

وهكذا أصبح لقسنطينة الفضل الكبير في مجال الآثار البونية وهي موجودة في مواقع أثرية عبارة عن نصب وشواهد دينية بونية وبونية جديدتوجدت على يد الأثريين في موضع الصخرة، وكدية عطي، وموقع المقبرة الأوروبية ، وموقع المنظلر الجميل، وموقع المنصور، وموقع الحفرة، وقطاع معبد الحفرة قد أظهر إلى حيز الوجود عددا من الشواهد البونية، ويعد ذلك أهم قطاع فيما يخص الآثار والنتائج المحققة على مستوى قسنطينة وذلك قبل الإكتشافات التي وقعت في سنة 1950، والتي تعتبر إيجابية جدا.

أما الإكتشافين الهامين الذين وقعا جريا على تباعد زمني يقدربخمسة وسبعين عاما، فالإكتشاف الأول جرى في 1875 أما الثاني ففي 1950. هذا مع العلم أن

31 – أنظر: محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، ص:198.

32 – نفس المرجع، ص: 198.

كوستة قد وجه نداءات إلى وزير[33] البناءات الفرنسي حينذاك لمساعدته على أخذ صور طبق الأصل (Estampage) لكتابة النصب التي جمعها، وقد قدمها في شكل جيد إلى جمعية النقوش السامية التي لم تتأخر بدورها في قراءتها وتوضيحها.

أما الضابط الفرنسي MARCHAUT فقد تبرع بجزء من مجموعته الأثرية لمتحف اللوفر وكان ذلك في 1890، وقد قام الأب الكاهن Abe Caheu بمحاولة فك رموز حوالي 32 نصب من مجموعة كوستة ، منها نقوش بونية وبونية جديدة كان ذلك في 1887 وذلك في الجزء الرابع من مدونة النقوش السامية[34].

واعتمادا على كتاب بريتيي وشارليي[35] Berthier et Charlier المعنون : (معبد الحفرة بقسنطينة Sanctuaire d'El Hofra de Constantine) فقد استطعنا قراءة النصوصالمكتوبة بالبونية الموجودة على الأنصاب الندرية بدون الإعتماد على الشرح الفرنسي إلا نادرا، وهذا للتعود على قراءة النص البوني بصفة مباشرة فترجمته إلى اللغة العربية مع مقارنة المصطلحات الفينيقية أو البونية الموجودة مع ما هو كائن في اللغة العربية وهناك تقارب بين اللغتين القرطاجية والعربية من ناحية المرادفات والإشتقاقات اللغوية.

---

33 - نفس المرجع، ص:172.

34) - Voir Abe Cheu Inscriptions Puniques et Néopunhques de Constantine (EL HOFRA) R.S.A.C.T.XIX,1878,p:252-283cis T I, phase IV.
ووردت نقوش كوستة في أعمال الباحث الألماني ليدزيارسكي الذي حاول أن يدرس و يترجم بعض من تلك النقوش فيما بعد ، وبعد ذلك سجلت في مدونة النقوش السامية إ Corpus mitiqud ن كما درس مجموعة كوستة الأستاذين برتاندي وسنيزار (Bertandy et Snycer). ويستفاد من دراسته لمعبد الحفرة البوني الذي كان يمارس نشاطه الفكري والثقافي بداية من القرن الثالث قبل الميلاد.

35 - حدد بريتي وشارليي في كتابهما معبد الحفرة البوني : تواريخ ونقوش وهي تحمل الأرقام التالية : 64.63.62.61.60.59.58.57.56 يضاف إليها نقوش كانت قد اكتشفت قبل ذلك من طرف كوستة ، وكانت أحد عشرة من تلك النقوش قد تناولت فترة الخمسة عشر سنة الأخيرة من حياة الملك ماسينيسن الذي حكم ستة وخمسون سنة وانظر لمزيد من التفاصيل:

A.Bérthier et Abe Charlier le Sanctuaire d'El Hofra de Constantine,p:59-61 Paris ,1955.Arts et Métiers Graphiques.

تفاسير الأنصاب

فيما يتعلق بالنقيشة المكتوبة بالقرطاجية (أوالبونية) رقم 56 VIII.B Pun-PL

فأولا قبل قراءة وشرح النص البوني الوارد في النصب الندري هذا لا بد من ترجمة النص المكتوب، وهو كما يلي:

1 - لأدن لبعل حمون ملك أتر ندر

2 -أنت ندر بد عشترت بن عبد ملقارت

3 -ديرح مفع لفنوبحات (ت) أربع.

4 - م ست لملكت نسمع قال برك.

هذه النقيشة كتبت من قبل شخص يدعى بد عشترت بن عبد ملقارت الذي كتب هذا النصب من شهر مفع من سنة إحدى وأربعين من إعتلاء حكم ماسينيسن، وهو عبارة عن دعاء ونذر إلى بعل حمون، وقد جاء ذكر تحديد تاريخ اعتلاء ماسينيسن للحكم النوميدي كإقليد أوملك بعد هزيمة وأسر الملك سيفاك؛ حيث أن هناك من يرى أن حصول ماسينيسن علياللقب و المبايعة كملك كان مزية القنصل الروماني[36] سيبيون في 203 ق.م (ولو أني لا أوافق هذا الطرح)، فإذا اعتبرنا عام 202-203 ق.م كنقطة انطلاق لحكم ماينيسن (ولو أنها أقدم) فإن ما جاء في النقيشة هو عام إحدى وأربعين من حكم ماسينيسن؛ معنى هذا أنها تتطابق مع 162 -163 ق.م، وهذا يدل على أننا أمام نقيشة هي الأقدم على الإطلاق في قسنطينة (قيرطن أو قيرتا)، وسنتعرف في النقائش اللاحقة التي سندرسها على أنها جاءت في وقت متأخر مقارنة مع النقيشة رقم 56 آنف ذكرها.

على كل حال تنتهي النقيشة الندرية بدعاء بعدما تضمنت في البداية الإهداء والتعريف بصاحب الندر، وينتهي نص النقيشة: نسمع قال برك ومعناه لتسمع صوته وتبارك. وهذه النقيشة أي النصب رقم 56 تبين لنا بشكل جلي وبالدليل أن

36) - Voir Gsell Stephane.Histoire ancienne de l'Afrique du nord .tome III p:240.et voir aussi, Tite - Live XXX- 16,1,17,1.

ماسينيسن قد حكم فعلا في قيرتا أو قيرطن، وجعلها عاصمة ملكه، وهي دليل قاطع على حكمه للمملكة النوميدية، علاوة على المصادر الكتابية كشهادة تيت ليفيوس الذي يبين ويذكر لنا تقديم القنصل الروماني لقب ملك إلى الإقليد ماسينيسن (ولو أن هذه البيعة مشكوك في صحتها وقد بينت ذلك سالفا في مسألة السيادة النوميدية).

فتوجد إذا مصادر كتابية وأخرى أثرية حول عرش الملك النوميدي أو ملكية نوميدية قائمة بذاتها، كان أثناءها الملك ماسينيسن يقوم بالدور الرئيسي والبارز في حركة التاريخ السياسي النوميدي في الجزائر القديمة.

ومن خلال النقيشة رقم 56 نلاحظ أنه جاء ذكر الملك (تر) والمقصود به هو بعل حمون وكلمة حمون تعني إله وملك الدار السفلى أي الدار الآخرة، وكلمة(تر) ربما المقصود بها ملك الدار، فمصطلح ملك بالبونية هنا لاتعني الملك ماسينيسن، الذي هو رئيس الدولة النوميدية وبيده زمام الأمور، وإنما المقصود بها هو الملك بعل حمون أي الإله بعل حمون أي ملك الدارين أو ملك العالم السفلي؛ وهنا يظهر الفرق في لب النص البوني كما سيأتي ذكر هذا الشرح حول نقائش بونية لاحقة.

تفسير النقيشة البونية رقم: Puni, PI,X,B:57 57

جاء في هذه النقيشة ما معناه باللغة العربية :

1- ندر أت ندر بدعشترت.

2- بن عكبر لبعل.

3 – حمس ليفح بعلوت

4- خمسة أربعة ست لمد.

نلاحظ في هذه النقيشة غياب حمون مع بعل، ولا ندري ما هو السبب الذي جعل صاحب النقيشة لا يذكر إسم إله قرطاجة كاملا أي بعل حمون، على كل حال فإن النقيشة تذكر وتشير إلى أن هذا الدعاء الذي قدمه رجل يدعى بد عشترت بن عكبر قد جرى في عهد حكم ماسينيسن، ولو أنه لم يجر ذكر لإسم الملك النوميدي، لكن جاء ذكر ملك والمقصود هنا هو الحكم الملكي بدون شك، ويختلف المفهوم عما جاء في النقيشة السالفة رقم 56 التي ورد فيها ذكر بعل حمون ملك الدار السفلى، فالمقصود في النقيشتين رقم 56 و57 واضح في هذا المضمار لأن الملك في هاتين النقيشتين هو الملك الحاكم ماسينيسن صاحب السلطة الفعلية وقائد الدولة النوميدية الذي لم يصل إلى سدة الحكم عن طريق الوراثة فقط والتي هي ميزة أساسية في النظام الملكي، وإنما فرض نفسه عن طريق الدخول في صراع مع قوى عظمى هي قرطاجة وروما، كما دخل في حرب مع ملك مجاور له وهو سيفاك، فالوراثة في السلطة لم يحصل عليها بصفة عفوية وتولية شرعية سلمية، بل وصل عن طريق إنتزاع هذه الشرعية بالقوة وفرض نفسه فرضا، ولم تكن بالقناعة السياسية والوسائل السلمية الإختيارية.

تفسير النقيشة البونية رقم 58 58 Pun (PL,IX,A)

1- لاأدر لبعل حمون أت ند.

2- ر متتأليم سفط بعشرون.

3- ثمان لهرح مرفام بست أ.

4- ربعيم ست لملك مسنس.

5- ن همملكة ن سمع قال.

6- برك.

نرى أن النص كاملا في هذه النقيشة البونية بجملة مفيدة تعني أن صاحب الدعاء المقدم إلى بعل حمون هو: متتأليم بن سفط؛ وقد سجل هذا الإهداء بتاريخ شهر مرقام. ويظهر ذكر الملك ماسينيسن؛ مع العلم أن معنى كلمة ملك في الفينيـ-قية له نفس المعنى في اللغتين العبرية والعربية، وهذا يدل على الروابط اللغوية التي تجمع اللغات السامية والكنعانية مع بعض.

وهناك من يرى أن توظيف مصطلح ملك يجري في غير معناه المقصود وهو قيادة الدولة على أساس وراثي، حيث يذكر لنا شابو Chabot في هذا المقام [37] في مصنف أو مجموعة النقوش اللوبية : هذا ما أورده بيرتيي وشارلي[38] Libyques Recueil des Inscription على أن نقوش معلم دوقة المكتوبة باللغة البونية واللوبية قد ذكر فيها ستة أشخاص جرى نعتهم بملوك ؛ والذين هم ليسوا بملوك في الواقع، مما جعل بيرتيي وشارلي يعتقدان أن مفهوم الملكية في البونية يعني مملكة.

فمفهوم هذا المصطلح له معنى أشمل من معنى ملك [39] بل يتعداه إلى معنى آخر، وربما يقصد فيفري هنا أن المعنى الآخر هو الحاكم الذي لايصل إلى مرتبة الملك بالمفهوم السياسي المعروف؛ ولكن لايذكر لنا ما هو هذ المعنى الآخر مع الأسف

37 - Voir Chabot, Corpus Sémitique.

38 - Voir Berthier et Carlier, Sanctuaire d'EL HOFRA de Constantine.p:54.

39 - Id Ibid,p:54.

مما يجعلنا نبحث في حيرة عن القصد المعنوي للفظة ملك في اللغة البونية . فهل الحكام- الذين يمارسون سلطتهم في إقليم واحد ؟ يعتبرون ملوكا يا ترى؟

وفي نطاق النقاش حول المعنى الأصلي لما جاء في النقيشة رقم 58 والتي ذكر فيها الملك ماسينيسن؛ يرى فيفري[40] أن المقصود هنا هو الأمير ماسينيسن Massinissa le prince وليس الملك ماسينيسن ويزعم فيفري[41] أن لفظ أمير أنسب وأحسن في تحديد المعنى من توظيف ملك، وهذا تفسير غريب من قبل فيفري وأنا لاأوافقه فيما ذهب إليه في تحليله واستنتاجه لأنه جاء في النقيشة رقم 58 تحديد الإطار الزماني والسياسي للملك ماسينيسن، وقد حكم فعلا وكانت له عاصمة سياسية ملكية، كما تم تحديد المدة الزمنية التي نقشت فيها النقيشة وهي سنة ستة وأربعون من حكم الملك ماسينيسن؛ فتاريخيا معروف أن هذا الملك أو الإقليد وصل إلى الحكم نتيجة صراع سياسي وحربي مع روما وقرطاجة وسيفاك، وخرج منتصرا من هذا الصراع وأصبح ملكا . فلماذا ينقص من قيمته وقوته السياسية كملك إعتلى العرش النوميدي.فالإعتقاد أن ماسينيسن كان أميرا هو إجحاف في حقه، مع العلم أن فيفري لم يذكر المرادف اللغوي البوني لمصطلح أمير في اللغة القرطاجية التي هي إمتداد مباشر للغة الفينيقية، كما أن في اللغة العربية – وجميع لغات العالم القديمة والحديثة – يوجد فرق كبير وشاسع بين لفظة أمير وملك، كذلك نجد نفس المعنى تقريبا لكلمة ملك في اللغة العربية والفنيقية، فهي تعني: الحاكم بأمره كما تعني: رئيس الدولة، وتعني كذلك: الإله في اللغتين؛ فقد جاء في القرآن الكريم (ملك السموات والأرض) .

وفي الأنصاب البونية بمعبد الحفرة ورد ما معناه ملك العالم السفلي، فالمعنى والمقصود في اللغتين واحد ؛ فالملك معناه من بيده السلطة الدنيوية والدينية معا، فهناك تقارب أو قل قرابة لغوية بين العربية والفينيقية من ناحية الدلالات والمعاني ؛ فلا أضن أن معنى كلمة الأمير لها نفس المعنى لكلمة الملك في اللغة الفينيقية وهي لغة الأصل للغة القرطاجية، وفي جميع الأحوال كان ماسينيسن متربعا على عرش المملكة النوميدية شرقا وغربا بصفة ملك وليس بصفة أمير.

40 - Id Ibid.p:54.
41 - Id Ibid.p:54.

تفسيـر النقيشـة رقـم: Punique Planche. LX.B: 59

1 - ....
2 - أنت ندر ....
3 - أسمن بعشر م........
4 - بسبعة أربعم ست لمل.
5 - لكم مسنسن هممل.
6 - كت سمع قال برك.

النص المكتوب في النقيشة رغم بعض الكلمات مبتورة فيه فإنه يؤكد حكم ماسينيسن في العام السابع والأربعينمن حكمه كملك وهو إعتراف صريح بالمملكة النوميدية[42]، وجاء في النقيشة صاحب الندر حيث سقط صاحبه الأصلي وبقي أبوه الذي ذكر بإسم عبد أسمن وينتهي النص بـ سمع قال برك، ومعناه لتسمع صوته وتبارك.

ونفس الأخطاء إرتكبها برتيي وشارلي وفيفري في حق الملك ماسينيسن أشرنا إليها في نص سابق يخص النقيشةالبونية رقم 58 ، أنظر المرجع السابق بالفرنسية، ص:54.

على العموم فإن الأفكار ناقصة بسبب نقص الجمل المفيدة في النقيشة، ولكن يمكن إعتمادها كمصدر فيما يخص التأكيد على تاريخ فترة معينة من حكم الملك ماسينيسن، وكذا التعرف على صاحب الإهداء في النص البوني رغم البتر الذي وقع للنقيشة.

---

42 - في تفسير بيرتي وشارلي للنقيشة الفرنسية ، نلاحظ أنهما ينعتان ماسينيسن بالأمير ماسينيسن ، فهما يجرداه من لقب ملك، وهذا نعت خاطئ وغير صائب ويعد نواعا من الباطل والإجحاف في تأويل الحقائق التاريخية بهذه البساطة واللامبالاة إلى درجة إمكانية تأويلها بالتفسيرات العنصرية للتاريخ، فقد جاء الذكر الحرفي لمملكة ماسينيسن وانظر المرجع السابق بالفرنسية: Bertier et Charlier, le Sanctuaire d'ELHOFRA,p:58.

تفسير النقيشة رقم 62 Punique, PL. X. C. /62

لملك ماسينيسن قال[43]

هذه النقيشة رغم صغر نصها واختصاره فهي شاهد تأكيد بكل وضوح وبدون أي غوض على أن ماسينيسن كان باسطا سلطانه على حكم قيرتا . ومعنى نص النقيشة أن: ملك ماسينيسن أي من حكم الملك ماسينيسن لتسمع صوته وتبارك .

43 - Voir Bértier et Charlier,le Sanctuaire punique d'ELHOFRA, p:58.

خلاصة القول

إن النقوش المكتوبة -في معبد الحفرة بقسنطينة والتي جاء فيها ذكر المملكة النوميدية والملك ماسينيسن الذي حكم فيها- تعد كدليل قاطع وبرهان على وجود مملكة ماسينيسن التي كان لها أبلغ الأثر في مسيرة التاريخ السياسي والإجتماعي والحضاري في الجزائر القديمة ؛ كما أن هذه النقائش تبين لنا مدى التأثيروالنفوذ البوني (القرطاجي) في قلب الجزائر القديمة وتتمثل في قيرتا (قسنطينة) في القرن الثالث قبل الميلاد ، فالنصوص المكتوبة على النقائش هي قرطاجية وليست لوبية.

وهنا تظهر أهمية وزن الذخائر الأثرية الموجودة في معبد الحفرة البونية لمدينة قسنطينة التي هي إمتداد للعاصمة الملكية القديمة ألا وهي قيرتا أو قيرطن كتعبير أصح . وإن البحث الأثري حول النصب في إيطار فرقة بحثي وهو مشروع الرصيد الحضاري البوني في الجزائر القديمة؛ سيعمل على تعميق البحث في الذخيرة الكبيرة التي مازالت لم تبحث والتي هي موجودة في متحف قيرتا ومواقع أثرية أخريفي قالمة وإيجيلجيلي وبني صاف ورشقون، فالبحث العلمي يستطيع أن يزيل كثيرا من العوائق نحو تحقيق رؤيا جديدة للتاريخ البوني في الجزائر القديمة والسلام.

النصب التذكاري المكتوب بالبونية الجديدة في يول القديمة

أول من قام بدراسة للنصب التذكاري المكتوب بالبونية الجديدة هو فيليب بيرجي Philippe Berger ، ففي حوالي 1887 - 1888من القرن الماضي قام بدراسة إيكوغرافية أي دراسة للكتابة الموجودة في النصب التذكاري والذي عثر عليه في يول القديمة (شرشال)، حيث وجد صعوبة كبيرة في فك رموزه وقراءته.

بفضل بيرجي إستطعنا أن نعرف معنى ما هو مكتوب في هذه النقيشة والتي تعرب عن وجود هيمنة إمبراطورية لجوليا القيصرية (Juliscasaea) التي كانت أحد

مراكز العظمة النوميدية في يول القديمة(IOL) أي شرشال والتي كان يتربع على عرشها الملك مكيبسا.

ومما يلفت الإنتباه هو جمال النقوش التي عثر عليها، والتي حصل عليها شميتر SCHHAMITTER قابض الجمارك في شرشال في القرن الماضي، فقام بتسليمها لمتحف اللوفر ولازالت موجودة فيه إلى يومنا هذا [44] وقام السيد حوزي HEUZEZ بوضع نسخ لنقيشة شرشال وهو الذي ساعد من أجل دراسة النقيشة إعتمادا على الأصل مع العلم أن النصب مكتوب بالبونية الجديدة ويتكون من إحدى عشر سطرا بكتابة بونية جديدة والتي تم نقشها على لوحة من الرخام الأبيض الجميل علوها 0.30 سم وعرضها 0.22 سم ويحيطها شكل تزييني، وقد أصاب النقيشة كسر مس الأسطر السبعة الأخيرة[45] مما أدى إلى إكتشاف الغموض في بعض أجزاء النقيشة، وقام فيليب بيرجي بترجمة نقيشة أو نصب شرشال التي لا تعني يرجمة كلية للنقش بأكمله ولكن للأسطر الأولى فقط وهي التي تفيدنا رغم النقائص الملحوظة في هذا المضمار.[46]

أود أن أشير إلى قصة العثور على نصب شرشال كما يوردها لنا فيليب بيرجي حيث أن النقيشة كانت ضمن ممتلكات معمر إسباني يدعى ماركدال MARCADAL الذي كان يملك مزعة عنب تبعد بخمس مائة متر على يسار الطريق الرابط بين شرشال وتنس على الضفة اليمنى لوادي القنطرة، وعلى بعد كيلومترين من مدينة شرشال، هذا المعمر الإسباني الذي مات منتحرا؛ أثناء عمله في مزرعته عثر العمال من الأهالي الذين كانوا يعملون عنده على كثير من الآثار القديمة، واستمر البحث بشكل مكثف لأن أرضه كانت موجودة في موقع مقارة لم يتم حفرها بشكل معمق، فباع هذا المعمر الآثار التي وجدها في مزرعته إلى صانع ساعات بشرشال يدعى

44 - Voir Philippe Berger , Inscriptions Néopuniques de Cherchel En l'honneur de Micipsa Extrait de la revue d'Assyriologie et d'archéologie Oriontale 2eme Année 1888 N° 2 / Paris ENEST - 1889.
45 - Hd Ibid,p:1.
46 - Hd Ibid,p:2.

لكحاط LAKHAT وعند هذا التاجر الصغير عثر السيد شميتر CHMITTER على النقيشة المصنوعة بالرخام[47]، والتي أصبحت ملكا له وقد قص صاحب متجر الساعات كيف حصل على النقيشة التي كانت في حوزة المعمر الإسباني ماردكال.

ترجمة النص الأصلي

وقام فيليب بيرجي بترجمة النص البوني الجديد بحروف عبرية وهي عبارة عن ترجمة للجزء الأول أما نهاية النقيشة فهي غامضة ولم يستطع فك رموزها .

النص العبري المترجم من البونية أو القرطاجية على يد فيليب بيرجي

1 מקדש קאם חי חם מבמן מלך ומשלים
2 המלל מיהר ארצת רבת במלבאת חשב נדם
3 לא מנא ת המאם נת וביהואתורוקלא קברא יקום
4 בן יחנתן בן בנאת בן בגון מיקם אלם
5 ובי ברר עלנמא.. המא א.. אבמאת במשו
6 נת אבתנים אם עלומים בלא ונקו בולא לבתיא
7 ת.נם עלם עב..ת לח..א .להרגת שלא ..
8 ושעיתם..בעל..ל..א..מא השם ..
9 ורבוא שלא בבל תית בנא. ומשתיא ....
10 ורוצאת המתקות שלא חובנם רובו ....
11 פעלא וארוש בן ותבריא ......

47 - Hd Ibid,p:2,3.

وهاهي الترجمة العربية للنقيشة:

1 - معبد «كنام» حياة الأحياء Vie des vivants مكيبسا ملك الماسيليين

2 - المجيد أو المجد المهيمن على بلاد عديدة، الملك المتسامح.

3 - هو الذي نصب هذا التمثال من أجل ....قبره جعزام.

4 - إبن جاكوكتان، إبن بوغوت إبن ماسينيسا، المكلف أو المنوط به أشياء مقدمة.

5 - ....

6 - ....الذي هو على قيد الحياة

7 - ....

8 - ....

9 - ....الذين هم له إبان طول عمر فلان[48]

10 - هذه البلدان التي تنتمي.....النقيشة قام بوضعها أريس، إبن ن...........

ومما يجب ذكره أن هذا النص له أهمية قصوى فهو يقدم لنا مثلا على نقيشة بونية جديدة (Une inscription néopunique) والتي تعود إلى حوالي 118 ق.م ويلاحظ تطور الكتابة البونية الجديدة في ذلك العهد بشرشال النوميدية ويبدو أن الكتابة النيوبونية قد تبناها الأهالي في وقت متأخر بعد سقوط قرطاجة حيث تم قبول الحروف الفينيقية على يد شعب من عرق آخر وهم النوميديون وقد وقع تطور في شكال حروف البونية التي تبناها النوميديون حيث نرى خصوصيات في النقيشات البونية الجديدة néopunique، وإن قراءة إسم مكيبسا في النقيشة يدل على تأكيد عهد هذا الملك النوميدي تاريخيا وسياسيا في يول القديمة.

على كل حال فإن النص البوني من نوع البونية الجديدة لنصب شرشال يدل على إستمرارية النفوذ البوني الطويل الذي بقي قائما بعد زوال قرطاجة في 146 ق.م بعد ذلك بثلاثين عاما من إندثار عاصمة الحضارة القرطاجية (قرطاجة) فإستمرار

48 - Hd Ibid,p:3

إشعاع الكتابة البونية في يول قلب نوميدية(شرشال)، هذا يدل دلالة قاطعة على التأثير الفعال الذي كان للحضارة والديانة القرطاجية في وسط المجتمع النوميدي، فنصب يول المكتوب بالبونية له طابع سياسي وتاريخي تمجيدا للملك الوطني الجزائري مكيبسا، وهذا يعد كأثر لانقاش فيه حول هيمنة ونفوذ الحضارة البونية المتمثلة في الكتابة البونية على أرض إفريقيا في وقت متأخر أي في 118 ق.م بعد سقوط قرطاجة بمدة زمنية.

الفصـل الرابع

الآنية الزجاجية البونية المسواة على قاعدة في إفريقيا الشمالية على العموم وفي الجزائر القديمة على الخصوص.

بقلم الأستاذة: نورية آكلي

(عضوة فرقة البحث)

المصطلحات

كل باحث يستعمل مصطلحا خاصا به، ويتغير بتغير الأزمنة والبلدان. فبعض الألفاض تستدعي شروحات إذ نجد "الزجاج الإسطناعي"و"الميناء"و"زجاج متعدد الألوان"و"الزجاج النافذ" و"الزجاج الفينيقي" وفي حالة الغموض"الزجاج". [1]

لايقتصر مشكل المصطلح على المادة فقط بل تراه قائما في الأبحاث والدراسات التي لا تستند إلى الصورة، فالوصف وحده لا يكفي للتعرف إليها، كما أن أغلبية الأواني الزجاجية لم تحضى بالإهتمام اللازمفي تقارير علماء الآثار، ومنها التي وجدت في المقابر البونية. ففي تقارير الباحثين المنقبين نجد مثل هذه الإشارات نسوقها على سبيل المثال :

- قطع زجاجية متعددة الألوان. [2]
- قوارير زجاجية مموةنة ومتعددة الألوان وأشكالها متنوعة/، ها إثتين مكسورتين[3]
- عدد كبير من الكيزان "Unguentaria" المصنوعة من الزجاج.

كنا نتمنى لو كان لدينا توضيحا أكثر حول الشكل واللون والزخرفة وعدد الأواني وكذلك بالنسبة للصور.

طريقة العمل هذه لا تسمح لنا بعملية إحصاء الأواني، وعدم ذكرها في دراستنا يعود إلى عدم استطاعتنا من التحقق فيما إذا كانت تتعلق حقيقة بالقينات المسواة

1 - آكلي نورية : الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة، في شمال لإفريقيا (رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور محمد فنطر) قسم الآثار جامعة الجزائر . ص:13.

2 - M.C Macclellan core-formed glass from dated contexts New-York 1984.p:24 - 25.

3 - D.B Haarden, catalogue of greek and Roman glass in british museum.vol 1,core - and rod formed vessels, loudre, 1981.p:55.

على قاعدة أوغيرها، فالوصف الأكثر دلالة هو الذي يتعلق بالأواني الزجاجية المسواة على قاعدة للتشخيص الدقيق للزخرفة ذات الخطوط الملونة أو للزخرفة على شكل الريشة والتعرجات، وقلّ ما توجد هذه المعطيات في تقارير الباحثين المنقبين. ولما كان ذلك كذلك ؛ وجب علينا وضع مصطلحات موحدة.

تقنيـة الصنـع

رغم المعارضة الصريحة لعلماء الآثار لرواية إبلينيوس الأكبرفيما يخص الزجاج، يجب الإعتراف إلى أنه أول من أشار إلى تركيب هذه المادة بقوله: فأخذوا كتلا من حمولات سفنهم، وأشعلوا النار، فالتهبت واختلطت برمل الشاطئ، ومن جراء هذه الحرارة تكونت جداول من سائل شفاف غير معروف . . . فذاك هو الزجاج. ويوضح كذلك أن نفس الطرق كانت تتبعفي مختلف الأمصار والأزمنة.

في بعض الجوانب فن التزجيج يشبه إلى حد ما فن الفخاري إذ أن القاسم المشترك بينهما هو "التراب والنار" ولكن صانع الزجاج يستعمل الرمل عوضا عن الطين، وهو بذوبانه يمكن من الحصول على مادة غضة تسمح بدورها إلى تشخيص الأشكال المرغوب فيها.[4]

وجدت ثلاث طرق لصناعة الأواني الزجاجية قبل القرن الأول قبل الميلاد وتتمثل في:

- تشكيل كتلة من المادة الخام وكأنها أحجار كريمة.
- تطبيق عجينة الزجاج على النواة.
- ملاطفة الزجاج بالتسخين الشديد مع إفراغه وهو غض في القالب.

وقد ظهرت مؤخرا طريقة التصنيع هذه للزجاج وتعتبر من الطرق الحديثة، فالتسوية على قاعدة وإفراغ المادة السائلة في قالب طريقتان مختلفتان، وتمثل موضوع دراستنا في هذا السجل، فالمحاولات التجريبية المختلفة سمحت منذ عهد

4 - آكلي نورية. الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة في شمال إفريقيا . ص:14.

بيتري(Petri) (وهو من الأوائل الذين أقروا بتقنية تصنيع الزجاج باستعمال قاعدة كانت كنتيجة لاكتشافاته لورشات الصنع في تل عمارنة زمن الأسرة الثامنة عشرة)، بتحليل دقيق لنوعية المادة والتقنية. إلا أن الدراسة الشاملة حول صناعة هذه الأواني قدمها جودنرات (Gudenrath) في سنة 1991.[5]

تقنيـة التسويـة على قاعـدة

ظهرت هذه التقنية الجديدة في الشرق الأوسط خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد . سمحت للحرفي بصناعة تحف أشد تعقيدا من صناعة المجوهرات، لقلة نوعيتها في تلك الفترة. سنقوم بتعريف بعض مصطلحات هذه التقنية التي عرفت من قبل هاردن وماكيلان.

التسويـة علـى قاعـدة

يقوم صانع الزجاج بتشكيل كتلة أو نواة على طول القضيب الذي يكون منسجما مع حجم الآنية المراد صنعها بعد التجفيف. والشائع بين الناس إلى يومنا هذا أن مادة القاعدة خليط من الرمل والتبن أو ألياف أخرى، لهذا نجد مصطلحا "نواة الرمل" أو "حبيبات الرمل" يستعمل لتوضيح التقنية المتوخاة لصناعة هذه التحف. غير أن هذا المصطلح "نواة الرمل" تم الإستغناء عنهمنذ 1968، لأن عناصر النواة القديمة كانت مصنوعة بالطين أو بالرمل الممزوج بالمواد العضوية، على أن النسب في كمية العناصر تختلف من عصر إلى آخر[6] هذه الأدلة والإثباتات تزيد من اعتقادنا أنه ليس في مقدورنا تحديد مكونات نواة أواني إفريقيا الشمالية. حتى أننا لانستطيع تقديم مصطلح صحيح لتعيين النواة. ولهذا فمن الأفضل استعمال عبارة

5- نفس المرجع. ص:14، ولمزيد من التفاصيل انظر: M ,Cmcclellan ,core-formed glass .p:92

6 - اكلي نورية، المرجع السابق:15

"الزجاج المسوى على قاعدة" دون تحديد مادة خاصة، في انتظار البحوث والتحاليل الكيميائية لأواني إفريقيا الشمالية.[7]

الزجـاج

تحاط النواة بطبقة من الزجاجوهو خليط مصنوع من السليس والصودا والجص، مع ملون حديدي، ويجب التفرقة بين نوعين من الزجاج:

- زجاج كتيم.
- زجاج نصف شفافي.

الزخـرفـة

يتحلى الإناء عامة بزخرفة مركبة، وقد درس جوكلار(Gauckler) هذه التقنية الأخيرة بشكل واسع فهي في اعتقاده تتشكل عن طريق رسومات في سمك العجينة وسرعان ما تأخذ لونا قاتما وهو لون المهاد كما يكون أزرق أسود وأزرق نيلة كما يمكنه أن يكون فاتحا باستثناء الأبيض الفضي ثم تتجلى هذه الأشكال الزخرفية أخاديدا على سطح الآنية وهي ساخة حتى يتسنى احتواءها فتمتزج فيها الألوان كالأصفر الأمغر (Ocre) والليموني والأبيض والأزرق الفيروزي وتفيض هذه الألوان في شكل خط زجاجي بارز أحيانا، ونافذ أحيانا أخرى ثم تعرض الآنية مرة أخرى إلى الشي فتؤثرالحرارة مباشرة على هذه العناصر الجديدة فتنصهر ببعضها البعض، حتى كأنها كتلة موحدة.[8]

اللـون

من الواضح أن صانع الزجاج يقوم أولا بمزج مواد الصودا أو البوتاسيوم مثل حامض النيتريك أورماد بعض الأعشاب، ورمال سيليسو مع إضافة كمية قليلة من الألوان المستخرجة من مختلف المواد الحديدية، فالنحاس يعطي اللون الأخضر

7 - اكلي نورية، المرجع السابق : 15.

8 - M .C .Mcclellan , op .cit p:94

واللون الأزرق هذا الأخير يمكن الحصول عليه من الكوبالت، أما الألوان الأخرى؛ مثل البني والأسود والبنفسجي تستخرج من المغنيزيوم، أما اللون الأصفر يتم الحصول عليه من أكسيد الحديد، واللون الأبيض من أكسيد القصدير.[9]

تصنيف زمني للزجاجيات

المقدمة: زجاجيات القرن السابع والنصف الأول من القرن السادس.

الميلاد: زجاجيات النصف الثاني من القرن السادس وبداية القرن الرابع.

قبل الميلاد: زجاجيات القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد.

زجاجيات القرن الثالث والقرن الأول قبل الميلاد.

المقدمة

نترك الجانب التاريخي والمعطيات الخاصة بالزجاج المسوى على قاعدة، لنتطرق الآن إلى النتائج المحققة. فمن بين الخصائص التي تنفرد بها الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة: الشكل.

لقد قمنا بإعداد سجل للأشكال مستنديد إلى الدراسة التي قام بها هاردن، إلا أن بعض الأشكال التي شهدت في مجال بحثنا لم تقدم في مجموعات المتحف البريطاني (British Museum).

كل الأواني المعروفة إلى حد الآن (ما عدا الأشكال المفتوحة) مصنوعة طبقا لتقنية -التسوية على قاعدة -. ظهرت هذه التقنية في البلدان المتوسطية خلال القرن السابع قبل الميلاد وتواصلت حتى القرن الأول قبل الميلاد. مما يجب التركيز عليه في هذه الدراسة هو أين وكيف تطورت تقنية الزجاج المسوى على قاعدة ؟

تنتمي عجينة الزجاج بصفة مطلقة إلى الحقبة الأولى واحتفظت خلال الحقبة

9 - D.B.Harden, op. cit p: 101.

الثانية بنفس تقنية الصنع وطريقة زخرفتها. أما فيما يخص الأشكال، فالملاحظ أن عددها محدود وتخضع لتحولات. وهي أشكال إغريقية معروفة: منها المدهن والأنفورة والأروبلة والإبريق والكوز؟ ?Unguentariumوغيرها .

تتوزع هذه الزجاجيات في شمال إفريقيا على ثلاث مجموعات أساسية:

1- الصنف I: مجموعة ذات الأصول الرافديةابتدا من القرن السابع حتى النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد.

2- مجموعة أشكالها متوسطية: من النصف الثاني للقرن السادس إلى القرن الأول قبل الميلاد.

3- مجموعة متأخرة

فيما يخص مجموعة بلاد الرافدين، تتمثل في قنينتين من صنف المداهن.[10]

المجموعة الأساسية المتوسطية تنقسم إلى ثلاث مدجموعات:

1- **الصنف** II : "المجموعة المتوسطية الأولى" النصف الثاني من القرن السادس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد .

2 - **الصنف** III : "المجموعة المتوسطية الثانية" من القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد.

3 – **الصنف** IV :"المجموعة المتوسطية الثالثة" من القرن الثالث وبداية القرن الأول قبل الميلاد.

فلكل من هذه الحقبات الزمنية الثلاث أشطال تتطور من فترة إلى أخرى أو بالأحرى من مجموعة إلى أخرى.

طرأ على شكل المداهن تغير تدريجي في الجذع والمقابض، وتعرضت أنفورة المجموعات المتوسطية الثالثة لتحولات شكلية في الجذع والمقابض.

تطور شكل الإبريق تطورا شكليا والملاحظ وجود اختلافات واضحة بين إبريق

10 – آكلي نورية. الواني الزجاجية المسواة على قاعدة في شمال إفريقيا. ص: 25.

المجموعة المتوسطية الأولى وإبريق المجموعة المتوسطية الثانية، ثم إختفت هذه الآنية في المجموعة المتوسطية الثالثة.11

ولابد من الإشارة إلى ظهور أشكال جديدة أثرت المجموعات المتوسطية الأولى والثانية والثالثة، نذكر منها شكل الأروبلة العدسية في المجموعة المتوسطية الأولى، وشكل الكوز في المجموعة المتوسطية الثانية، ثم تركت المكان لأشكال أخرى كالكراز والقلة. وفي نهاية السجل نجد الأشكال المتأخرة. 12

أغلبية الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة في شمال إفريقيا ليس لها سياق أثري يساعدنا على توريخ الآنية ولو بصورة تقريبية هذا ما أدى إلى إنتهاج طرقة فوسينج وهاردن، في الترتيب التصنيفي للأواني إلا آنها طريقة لايمكنها أن ترتب وتورخ الآنية ولكن تساعدنا فقط على تحديد مركزها أو موضعها في فئة أو أخرى.

إن معطيات الموارخة القليلة المشار إليها في هذا السجل مستنتجة من الدراسات التي قام بها هاردن وماكليلان اللذان كرسا جهودهما في بحوث طويلة، معمقة ودقيقة حول مقابر غنية جدا بالمعلومات، على أن المقابر البونية تفتقر إلى معطيات المؤارخة وفي حالة وجودها تبدو غامضة، وإذا تطور الزجاج المسوى على قاعدة تطورا يكاد يكون مماثلا في حوض البحر الأبيض المتوسط، يمكن الإستفادة من هذا لتوريخ ذلك.

إذا أخذنا بعين الإعتبار هذه الحقبات الزمنية الطويلة، فإن هذه الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة مرتبطة بنماذج لها مميزاتها الخاصة، شكل الجذع والزخرفة واللون، هكذا ننسب لكل آنية من مجموعتما مرجعا يحدد إنتمائها لمجموعة ما، وهذا مثال لتبيان ذلك فلنأخذ آنية من صنف II .A .iii .2 فمعنى ذلك يتجلى كالتالي:

III : "المجموعة المتوسطية الأولى" فالآنية تنتسب إلى زجاجيات النصف الثاني

11- نفس المرجع السابق، ص: 26.

12- نفس المرجع السابق، ص: 26.

من القرن السادس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد.

A: شكل الآنية: مدهن[13]

iii : مداهن من الزجاج القاتم اللون لها شفة مستديرة الشكل منحدرة نحو الداخل وجذع كروي مزخرف بخطوط منكسرة.

2: أما الرقم العربي 2 فهو يشير إلى الآنية يمثل العدد الثاني من هذا الصنف. [14]

أما بشأن تحديد ورشات المجموعات الثلاث الأساسية الخاصة بصنع الزجاج المسوى على قاعدة، فالبحث في هذا الميدان صعب، وإن تمكن بعض الباحثين من تجاوز هذا العائق.

المجموعة ذات الأصول الرافدية

الفصل الأول: زجاجيات القرن السابع والنصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد.

الصنف 1

أصبح من المعروف عموما منذ دراسة فوسينج، أن أواني هذا الصنف كانت تصنع طوال الألفية الأولى قبل الميلاد في بلاد الرافدين، وقد تم إكتشاف نماذج تحاكيهافي مناطق مختلفة من العالم القديم في بابل وقرطاج وإيطاليا باستثناء مصر، ويحتمل أن شكل المدهن في هذه المجموعة مشتق من شكل وعاء سرجون(722-705 قبل الميلاد)بمنطقة نمرود.[15]

كرست العديد من المؤلفات المعمقة حول دراسة إنتاج بلاد الرافدين، وأحدثها أعمال هاردن وماكليلان، اللذان تناولا بالدرس أهم إستنتاجات باراج (Barag) الذي ينسب أصولا رافدية لصناعة الزجاج في حوض البحر الأبيض المتوسط.

لقد أشار هاردن في سجله إلى خمسة مداهن: أربعة منها ذات جذع عريض من

13 - نفس المرجع السابق. ص: 27.

14 - نفس المرجع السابق. ص: 27.

15 - Fossing, Glass vessels before glass blowing,Copenhagen,1940.p:30 -40.

القسم وهي صادرة من كاميروس، وجزيوة رودس وقرطاج والمكتشفة في القبور التي تعود إلى القرن السابع والسادس قبل الميلاد، وأثبتت أنها منتوجات رافدية بحتة، لكنه رأي قابل للنقاش باستثناء مداهن جزيرة رودس وقرطاج، خصوصا بعدما إكتشفت هجرة بعض الحرفيين الأسويين إلى الغرب خلال القرن السابع قبل الميلاد، مما يدعم إمكانية إنشاء ورشة أو ورشتين من أصول رافدية في جزيرة رودس خلال القرن السابع قبل الميلاد. لكن يعترف الباحث البريطاني أن الظروف المحيطة بمدهن قرطاج(درمش) غامضة رغم أنه لايستبعد وصوله إلى قرطاج عبر البحر، هذا وليس باستطاعتنا معرفة هل كانت قد أدخلت من قبل تجار من الإغريق أو من الفنيقيين، أو أتى بها بعض المهاجرين الهاربين من المدن الفنيقية المهددة من سيطرت الآشوريين في القرن السابع.

أما فيما يخص مداهن الصنف الثاني قسم ii فهي تتميز بجذعها الضيق ومجهزة بمقبض على شكل زر، وقد تكون صادرة من آماتوس بقبرص، ويرى هاردن أن هذا الصنف ممثل بنموذج فريد 2. بينما ماكليلان يعتقد عكس ذلك، حيث أشار إلى مدهنين من القسم اوثلاث مداهن من القسم ii وهي في رأيه صادرة من جزيرة صقلية ومن إتروريا وجزيرة قبرص، غير أن مدهن جزيرة قبرص يشبه مدهن قرطاج (دويمس) في الزخرفة ولكن بيهما إختلاف من حيث شكل الشفة.

أما فيما يخص أصولها، فهو يعتبرها أواني إنتشرت في المشرق Levant وإنتقلت إلى المركز الإقتصادي للبحر الأبيض المتوسط. يلاحظ نفس الشيء فيما يخص مواد عديدة أخرى دخيلة من المشرق خلال هذه الفترة. [16]

ليس لدينا شيء نضيفه لإستنتاجات هاردن وماكليلان سوى نقطة واحدة تتمثل في فرضية هاردن المتعلقة بمدهن درمش الذي نعتقد أنه أدخل عن طريق التجارة البحرية الفنيقية في إفريقيا الشمالية ويتراءى لنا وجود صنفين من المداهن كلاهما ينتمي إلى بلاد الرافدين:

16- M.C Mcclellan core ñ formed glass from dated contexts.pM 24 - 26.

الصنف A. I. i : مدهن ذو جذع عريض

يتميز هذا النوع بجذع عريض ومقبض على شكل حلقة مذيلة. هذه المميزات خاصة بالقسم i لهاردن، ويظهر أنها أقدم مثال مقارنة بتلك التي وجدت في إفريقيا الشمالية.

الصنف ii. A. I مدهن ذو جذع عريض

يتميز هذا النوع بجذع طويل وضيق وفم مستدير الشكل وعنق، كما يتميز بعدم وجودالمقبض (؟)، هذا ما يميز القسمii لماكليلان.

مداهن من الصنفـA. II

وجدنا من بين أواني المجموعة المتوسطية الأولى أربع مداهن كاملة وبعض الكسرات ذات سياق معروف ونسبت إلى مابين 525- 375 قبل الميلاد.

يتميز هذا الصنف من الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة بجذع ذو شكل ثابت ومقبض في شكل حلقة مذيلة، تتوزع هذه المداهن إلى أربعة أصناف مختلفة الأشكال.

يرى هاردن أن للمجموعة المتوسطية الأولى ستة أشكال أساسية، تنقسم بدورها إلى قسمين استنادا إلى شكل الشفة:

- القسم الأول (i) يتميز بشفة أفقية مستديرة الشكل.
- القسم الثاني (ii) يتميز بشفة مستديرة الشكل منحدرة نحو الداخل.

وبالإستناد إلى اختلاف الزخارف، نلاحظ ثلاثة أقسام فرعية؛ على أن هذا الترتيب يبقى ترتيبا نظريا بحتا بحيث يعسر توريخ النماذج توريخا دقيقا. [17]

الصنف i. A. II: مداهن من الزجاج القاتم اللون لها شفة أفقية مستديرة الشكل وجذع أسطواني مزخرف بخطوط منكسرة.

يوجد هنالك نموذج واحد من هذا الصنف (رقم 3) وكسرة واحدة لاتكفي لتصور الشكل(رقم 4).

17 - D.B.Harden, op, cit.p:28.

يتميز النموذج(رقم 3) بشفة أفقية مستديرة الشكل، وعنق أسطواني وجذع أسطواني يميل إلى الإستدارة على مستوى القاعدة، هذه المميزات تخص الشكل 3 والقسم i لهاردن. زخرف على شكل خطوط حلزونية في مستوى العنق وتصل تلك الخطوط إلى ما فوق المقبض ثم بخطوط منكسرة على شكل حرجل.

وتتميز هذه المداهن بلون فاتح حتى القاعدة. أما من حيث التوريخ فالأرجح أن هذا الصنف يعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس أو إلى بداية القرن الرابع قبل الميلاد [18].

أما عن الكسرة (رقم 4) فهي تنتمي إلى صنف من الزجاجيات تتميز بتقنية معقدة الصنع: لونها أحمر وتعود إلى منتصف القرن السادس قبل الميلاد[19]

الصنف iii. A. II: مداهن من الزجاج القاتم اللون لها شفة مستديرة الشكل منحدرة نحو الداخل وجذع كروي مزخرف بخطوط منكسرة.

نلاحظ عنصرين يميزان هذا الصنف من المداهن التي يعود تاريخها إلى ما بين525 و500 قبل الملاد : تتمثل الزخرفة في خطوط منكسرة على شكل متعرج تغطي مجمل سطح الجذع ونشاهد آثار الأخاديد العميقة على كامل سطح الجذع.

يتميز المثال (رقم8) بشفة مستديرة منحدرة نحو الداخل، وبعنق أتلف معظمه، وبمقبض أسطواني يتقلص قطره تدريجيا وبقاعدة كروية، يتميز كذلك بزخرفة على شكل خطوط منكسرة متعرجة على كامل سطح الجذع، وهذا النوع من الزخرفة لم يتجاوز سنة 450 قبل الميلاد، ويخص هذا الصنف الشكل 6 والقسم ii والقسم الفرعي d لهاردن .

المثال الثاني (رقم9) سياقه معروف وهو يشبه سابقه في شكل الجذع والزخرفة؛ إلا أننا نلاحظ حزوزا عميقة في سطح الجذع ولونين (الأصفر والأزرق) في الزخرفة.

18 - Id Ibid , p: 60.
19- Ibid ,Ide; p: 60.

الصنف iv. A. II:مداهم من الزجاج القاتم اللون لها شفة مستديرة منحرفة نحو الداخل وجذع كروي مزخرف بخطوط منكسرة.

هناك مثال واحد في حالة جيدة (رقم10) وبعض الكسرات(رقم11-13-12-1415) سياقها معروف وتنتمي إلى هذا الصنف من الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة التي تمثل مجموعة كبيرة كثيرة الإنتشار وتتدرج فيما بين 525 ? 450 قبل الميلاد.

يتميز هذا الصنف بعنق ضيق وجذع كروي وفم مستدير الشكل منحدر نحو الداخل، وهو مزخرف بخطوط منكسرة على شكل حرجل . يخص هذا الصنف الشكل 4 والقسم ii والقسم الفرعي c لهاردن.

زجاجيات مابين القرن الثالث والقرن الأول قبل الميلاد

الصنف IV

يتعلق هذا الجزء من الدراسة بالفترة ما بين القرن الثالث والقرن الأول قبل الميلاد، وهي آخر فترة لصناعة الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة في المناطق المتوسطية، وغالبا ما تكون كمصحوبة بأواني كمبانية تميز نهاية القرن الثالث والثاني قبل الميلاد . يمكن تقسيم هذه الصناعة إلى فترتين زمنيتين:

- تمتد الفترة الأولى من 250 إلى 150 قبل الميلاد وهي إستمرارية تقليدية للأواني الزجاجية المسواة على قاعدة في الفترة مابين نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد.

- تبتدأ الفترة الثانية في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، وقد ظهر تغييرا جذريا على أشكال الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة، كما ظهرت أصناف جديدة من المداهن والأنفورات مختلفة كليا حلت محل سابقتها.

التغيرات المعتبرة التي عرفتها أواني المجموعة المتوسطية الثانية للقرن الرابع هي نفسها التي عرفتها أواني المجموعة المتوسطية الثالثة في القرن الثالث.

نلاحظ أن هناك خمسة أشكال، ثلاثة منها تعرف بها المجموعة المتوسطية الثانية وتتمثل في الإبريق والكوز والأروبلة العدسية الشكل التي توقف صنعها في المجموعة المتوسطية الثالثة.

ظهرت أشكال جديدة من المقابض على شكل عري بالنسبة للمداهن أما مقابض الأنفورات قد صارت تصنع من الزجاج شبه الشفاف، كما ظهرت أصناف جديدة من الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة التي طبعت وميزت هذه الفترة كالليقوت. فحرفيو المجموعة المتوسطية الثالثة تخلو من الأشكال الأنيقة للفترات السابقة، فالأشكال الكثيرة والمختلفة لهذه المجموعة تدفعنا إلى الظن بأن تقنية الزجاج المسوى على قاعدة والتي دمت قرونا عديدة أصبحت تقنية مهددة بالإنقراض، وذلك راجع إما لظهور تقنيات جديدة كالإفراغ والزجاج المنفوخ، أو إلى الإتجاهات المعاصرة في نهاية الفترة الهلينستية.

هذا التغير الجذري على تقنية الزجاج المسوى على قاعدة من الصنف IV له علاقة بنشأة مراكزجديدة للصناعة المنتشرة في عدة مناطق الساحل المتوسطي، فتبنت الإسكندرية تقنية الصنع لكنها لم تحتكر التطور، ووجدت ورشات في إيطاليا قبل بداية القرن الثالث، كما ظهرت مراكز كبيرة في المناطق السورية ؟ الفلسطينية بالمشرق عامة؛ بالإضافة إلى ظهور مركز للصناعة في نهاية القرن الثاني وخلال القرن الأول قبل الميلاد في جزيرة قبرص.

وبخطوط لوبية في العنق، تلك مميزات تخص الشكل 17 والقسم i لهاردن. النموذجان متشابهان رغم إختلاف أحجامهما ومع هذا لايمنع الإعتقاد بأنهما صنعا في نفس الورشة البونية.

الصنف : IV .A .ii مداهن مغزلية مزخرفة بالريش.

يوجد من هذا الصنف نموذجان (رقم 92 و93)، كلاهما يمتاز بجذع مغزلي كبير وبمقبض على شكل عروتين. هذه المميزات تخص الشكل 18والقسمii والقسم الفرعي I لهاردن.

الصنف iii. A. IV: مداهن مغزلية زخرفتها في شكل إكليل.

لهذا الصنف نفس المميزات التي لمسناها في الصنف ii. A. IVوالتي تنتمي إلى الشكل 18 والقسم ii لهاردن. إلا أننا نلاحظ إختلاف صغير في الأبعاد والزخرفة الإكليلية الموجودة في مجمل سطح الجذع، وهو ما يميز القسم الفرعي 2 لهردن.

إن الصنف ii. A. IV والصنف iii. A. IV متماثلان نوعا ما، فهما مصنوعان فيما بين منتصف القرن الثالث ومنتصف القرن الأول قبل الميلاد أو في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، يمثلان تطورا في شكل المداهن الزجاجية المسواة على قاعدة، ومن الممكن أن يكونا تقليدا لصناعة الفخار الهلينستي، فهاردن يعارض هذه الفرضية ويعتقد أن هذا الشكل من الأواني الفخارية صنع محاكات للمداهن الزجاجية المسواة على قاعدة، فالتشابه بين هذين الصنفين قد يرمز إلى شئ يجعلنا نعتقد أنهما مصنوعين في نفس الورشة.

الصنف iv. A. IV: مدهن أسطواني مزخرف بخطوط.

يمثل هذا الصنف نموذج واحد (رقم 96) يتميز بجذع أسطواني وقاعدة دائرية وكتف يتميز بوسادة دقيقة، مزخرف بخطوط لولبية في مجمل سطح الجذع وهو يشبه إلى حد ما مدهن منطقة نابلي NAPLE الصادرة من كوماي "Cumae" المذكورة من قبل فوسينج.

الصنف : v. A. IV مدهن مصغر.

يوجد نموذج واحد من هذا الصنف (رقم 97) شكله مختلف عن أشكال المجموعة المتوسطية ومما يلفت الإنتباه غيابه من كل الدراسات التي إهتمت بالأواني الزجاجية المسواة على قاعدة. إمتاز بجذع أسطواني ومقبض واحد وقاعدة مسطحة وعنق وكتف يشكلان زاوية إرتباط قائمة، البدن مزخرف بخطوط منكسرة على شكل حرجل.

الصنف :IV .Biv أنفورات ذات عنق طويل وبدن بيضوي وقاعدة دائرية مزخرفة بإكليل.

الرقم: 104 -لوحة رقم 12

المادة: عجين زجاج

الخالة: غير كاملة، ينقصها جزء كبير من البدن ومقبض واحد

الأبعاد:	الإرتفاع	الإرتفاع	قطر الفم
	15سم	4 .9 سم	2 .4 سم

الزخرفة: خطوط صفراء حلزونية على العنق والكتف والجزء السفلي من البدن، إكليل أبيض وأصفر على الجزء الأوسط ومقبض من عجين الزجاج نصف الشفاف يستند إلى الكتف ووسط العنق.

المصدر: سيرتا

السياق: مقبرة كدية عاتي أوسيدي مسيد

المؤارخة: القرن الأول قبل الميلاد ؟ بداية القرن الأول بعد الميلاد

المقارنة:المجموعة المتوسطية الثالثة من الشكل D 7 والقسم iiiوالقسم الفرعي d لهاردن .

المقر: متحف سيرتا .

رقم التسجيل: الجديد 227 - القديم 116 .

المراجع:

G. Doublet et P.Gauckler,Musées et cllections archéologiques de l'Algerie et de la Tunisie Paris,1893, pp: 112-113, U. Hinglais, Objets Antiques, curiositÈs úuvres d'arts.
Rec de const . 1905, p:241; P. Gauckler, N.P.T.II.1915, pp: 296-7. D. B. Harden, 1981, p: 129.







تحف فنية راقية من عجين الزجاج، الأولى جرة صغيرة للعطر والثانية تميمة في شكل قناع زجاجي يعبر عن وجه رجل ملتحي والثالثة تمثل رجل ملتحي من الزجاج / متحف قرطاج القرن الرابع ق.م



راس صغير مصنوع بعجين الزجاج واستعمل كأساور - كالتياري / المتحف

امبراطورية قرطاجة لسباتينو موسكاتي

نتائج الدراسة

المقدمة: - الورشات وتوزيعها.

- توزيع الأواني في شمال إفريقيا.

- المؤارخة.

- إستعمال الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة في الفترة القديمة.

- الخاتمة

قدمنا من خلال هذه الدراسة شرحا مفصلا عن الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة المصنوعة في البحر الأبيض المتوسط والتي تأريخا من نهاية القرن السادس قبل الميلاد إلى نهاية القرن الأول بعد الميلاد، ويرجح أنها شكلت حسب أنماط أنتجتها بلاد الرافدين؛ وقد ثبت وجود حرفيين من بلاد الرافدين في البحر الأبيض المتوسط - أنظر الجزء الثاني من الباب الثاني - وإلى جانب تلك الأنماط الرافدية سجل إنتاج آخر ذي طابع هلينستي من تأثير صناعات مابين النهرين، من خلال هذا نعتقد أن هذه الصناعات من إنتاج ورشة واحجة انتصبت في جزيرة رود س أو في عدة ورشات أخرى مستقلة منتشرة في أماكن متعددة خلال فترة زمنية قصيرة.

لقد بينا سالفا أن الصنف III سجل تحولا هاما في خلال بداية القرن الرابع والقرن الثالث قبل الميلاد إذ تخلى عن الأشكال الزخرفية المتبعة في الفترة القديمة وتبنى أشكالا زخرفية جديدة، فلقد فضل حرفيوا هذه الفترة زخرفة تتخذ شكل الريش أو الإكليل كما آثروا الخطوط المنكسرة التي ترسم شكل الحرجل. يوحي تنوع المجموعات المتوسطية الثانية بإمكانية تعدد مراكز الإنتاج. يتمثل الصنف IV كآخر ظاهرة لصناعة الأواني الزجاجية بالبحرالأبيض المتوسط وتبدو أنها تنقسم إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى:

من القرن الثالث إلى القرن الثاني: تمثل هذه المرحلة استمرارية النمط القديم للأواني الزجاجية المميزة للفترات السابقة.

المرحلة الثانية:

إبتداءا من القرن الثاني تم تحول جذري في شكل الأواني، سمح بظهور قصائل جديدة مختلفة تماما وحات محل الأواني القديمة. نلاحظ أيضا ظهور الكراز والليقوت.

تخلى الحرفيون في هذه الفترة عن أشكال الفترات السابقة لصالح الإتجاهات المعاصرة التي تميزت بأقل رقة، وهذا له علاقة بتعدد مراكز الإنتاج الجديدة المنتشرة في مناطق متفرقة على ساحل البحر الأبيض المتوسط. في الجزء الثالث من الباب الثاني عرضنا المجموعة الأخيرة التي تطورت في نهاية الفترة الهلينستية والمتميزة بشكل منفتح يختلف عن الأشكال المغلقة(الأواني المسواة على قاعدة).

الورشات وتوزيعها

بصفة عامة يمكننا القول بكل يقين أننا لانعف اية ورشة للأواني الزجاجية المسواة على قاعدة في شمال إفريقيا، لكن هذا التأكيد لايحجب محاولات البيحوث العلمية في هذا الميدان خلال السنوات الأخيرة.

لاحظ فوسينج وجود علاقة تشابه واضحة بين الأواني الزجاجية المسواة على قاعدقللمجموعة المتوسطية الأولى، وأواني الإمبراطورية المصرية الجديدة في تقنية الصنع واللون والشكل والزخرفة، استنتج من خلال ذلك أن هذه الأواني في مصر، أما بالنسبة للورشات المتوسطية في المجموعة المتوسطية الثانية والمجموعة الثالثة (صنف III. IV) فيحتمل أن تكون من الإسكندرية.[21]

---

21 - Fossing, Glass vesels befor gls blowing , Copinhagen,1940 p:80 - 82 - 136.

واستنتج فوسينج أن هذه الأواني الزجاجية الصغيرة قد صنعة في أماكن كثيرة من مناطق البحر الأبيض المتوسط خلال الألفية الأولى قبل الميلاد، والخلاصة الشاملة للمعارف الحالية قدمت منذ سنوات من قب هاردن.

يجب الإشارة إلى أننا نجهل موقع مركز إنتاج مجموعة بلاد الرافدين رغم ظهور العديد من الفرضيات وتضارب الآراء حولها؛ لكن لايمكن التجاهل أنها قد تكون سابقة للمجموعة المتوسطية[22]، ويبدو أنها صنعت حسب طريقة بلاد الرافدين، ربما من قبل الحرفيين الرافديين العاملين في البحر الأبيض المتوسط المسؤولين على صناعت الأواني العريضة التي تم تأريخها بين نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس قبل الميلاد، حيث يعتقد أن حضارة بلاد الرافدين قد أنشأت صناعت الزجاج المسوى على قاعدة بعد القرن السابع قبل الميلاد. [23]

في بداية المر نلاحظ تواجد مركزين لصناعة الأواني الزجاجية، مركز في إيطاليا وآخر في جزيرة رودس، وتبين بأن هذين المركزين تطورا في اتجاهين مختلفين. فكل البحوث لم توجهنا نحو أصل إيطالي بل وجهتنا نحو جزيرة رودس كأهم وأول مركز لإنتاج الأواني الزجاجية المتوسطية المسواة على قاعدة.

بدأ إنتاج صناعة أواني المجموعة المتوسطية الأولى الموزعة في شمال إفريقيا في جزيرة رودس في منتصف القرن السادس قبل الملاد، ويرجح بأن الأواني التي وصلت إلى قرطاجة منذ النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد (حسب مؤارخة القبور المحتوية على الأواني الزجاجية بين نهاية القرن السادس والرابع قبل الميلاد) بلإمكانها أن تنسب إلى هذا المركز، ولكن البونيين هم الذين قاموا مقام البديل في تجارة هذه الأواني الزجاجية الصغيرة في شمال غرب البحر الأبيض المتوسط. ومن ثم نفترض أن توزيع هذه المنتوجات في البحر الأبض المتوسط كان عن طريق التجارة البحرية البونية.

---

22 - D.B.Harden, catalogue of Greek qnd Roman glass in British museum, vol I, core - and rod formed vessels,loudres, 1981, pp: 52,53,60.

23 - M.Feugère, premiers verres d'occident, archéologia ? 25 dec 1989, p: 23.

فيما يخص قورينة، لقد أشير إلى جزيرة رودس كمصدر توزيع أواني العطر الزجاجية نحو قورينة خلال الفترة مابين القرن السادس والرابع قبل الميلاد، وتم نوقففنشاط ورشتها منذ بداية القرن الرابع لصالح صانعي الزجاج الإيطاليين إذ يظهر بأنهم تبادلوا الدور؛ وأن الصناعة الإيطالية الصغيرة التي واصلت إنتاجها للفصائل الخاصة طورت نشاطها وقامت بتوزيع واسع للمجموعة المتوسطيةالثانية، ولكن منذ تأسيسها في 332 قبل الميلاد بدأت الإسكندرية في لإنتاج الأواني الزجاجية من هذا النوع الذي لإنتقل إلى أماكن أخرى، فالمنتوجات المتوسطية الثانية متناقضة مع شهرتها القليلة بمقارنتها مع تامجموعة السابقة.

وانطلاقا من القرن الثالث حتى نهاية إنتاج الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة (القرن الأول قبل الميلاد ؟) تعددت الورشات.

إحداها سورية قبرصية التي قلدت أتفورة الخمر لهذه المنطقة والأخرى في جزيرة رودس التي عرفت دون شك تجديدا في نشاطها. فمن المؤكد أن غيطاليا أنتجت عددا من هذه الأواني خلال هذه الفترة، وبالتالي لايمكننا استبعاد فرضية وجود مراكز أخرى للإنتاج في شمال إإفريقيا، أشار ماكليلن فيما يخص هذا الموضوع بأن هذه الأواني أنتجت في ورشات بونية كان لها اتصال ضيق مع ورشات جزيرة قبرص التي أنتجت مجموعة من أواني من الصنفii. A. V والصنفii. B. IV

فالمجموعة المتوسطية الثالثة توافق مرحلة انتقال الورشات التي اقتربت بصورة واضحة من أسواق شمال إفريقيا. ونلاحظ في نفس الوقت تدهورا معتبرا للنوعية، التي ربما تخلت عنها لصالح إنتاج مجموعة أواني من نفس النوع

"Production de séries" حسب طريقة مماثلة لما يعرف في مجال الخزف بالطلاء الأسود، فيما يخص قورينة يرى ماكليلان أن ندرة اكتشافات المجموعتين الثانية والثلثة لها علاقة مع تنقل الورشات من الشرق إلى الغرب.

رغم أن صناعة الزجاج لم تكن محل دراسات معمقة إلا أن الزجاج القرطاجي ألفت نظر وانتباه المؤرخين إلى تحديد أصل مركز إنتاج الأواني الزجاجية الصغيرة التي وجدت بقرطاجة.

يرى بيسينج (Bissing) بأن الأواني الزجاجية المكتشفة في قرطاجة هي إنتاج لصناعة نوكراتيس، أما سانتاس فيرى أن المداهن هي أجمل زخرفة للقبور القطاجية : أواني ذات نمط مصري أو متمصرة صادرة من ورشات مصر. نذكر أيضا إيكسال الذي أشار إلى أن الإغريقيين استقروا في الدلتا حوالي 650 قبل الميلاد وعاين وجود مداهن صادرة من مصر؛ ربما هذه الأخيرة بيعت لقرطاجيين من قبل السماسرة الفنيقيين الذين كانت لديهم متاجر في دلتا النيل وكونوا مستوطنة مهمة في منفيس. نلاحظ أن إيكسال يعتقد أنها قد صنعت في قرطاجة.

ذكر في نصوص أخرى فرضية مضمونها أنها صادرة من ورشات نوكراتيس. صحيح أنه لايوجد أدنى شك في خصوص علاقات تجارية بين مصر (لاسيما مركز إنتاج لوكراتيس) وقرطاجة تتناول تجارة التمائم والجعل وهي منتوجات مصرية بحة، ذد يؤدي التصدير إلى التقليد والدليل على ذلك بعض الإنحرافات من حيث الصنع والشكل التي تلمس في قرطاجة، وكدليل آخر على ذلك بين هافرنيك وجود ورشة في نوكراتيس ذكرها في دراسته حول الأواني الزجاجية المصرية والإغريقية القديمة ويعتقد هافرنيك أن خلال القرن السابع والسادس قبل اليلاد لم يقم الإغريق القاطنون في نوكراتيس بصناعة الزجاج المسوى على قاعدة مع أن هذ الصناعة كانت معروفة في مصر منذ أقدم العصور، واعتمد في ذلك على غياب الأشكال ذات النط الإغريقي في مصر آنذاك ولم تعرف ورشات جزيرة رودس إلا منذ نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس قبل الميلاد.

ذكرنا منذ البداية أن عدة باحثين قاموا بربط الأواني المسواة على قاعدة الموجودة في شمال إفريقيا بورشات إغريقية أو إيطالية أو مصرية ومن النادر أن ترى باحثا يترك مجالا لصناعة تقليدية بونية. لايمكطننا أن نعطي دليلا قاطعا على وجود صناعة تقليدية بونية، على أن بعض الدارسين لم يترددوا في إثباتها، ذكرنا من قبل أن إيكسال لمح إلى وجود ورشات بونية، ونجد باحثين آخرين كصلاح الدين تلاتلي الذي حصر شخصية التجار القرطاجيين ونسب إليهم ابتكار الصناعة التقليدية القرطاجية بقوله "كان التجار القرطاجيون أذكياء إذ أنهم تمكنوا من الفهم

بأن مواد التجميل كانت ورقة رابة لإغراء زبائنهم الأجانب بالإضافة إلى مبيعات أخرى كانت مضونة في الأسواق الداخلية حيث توجد مواطنات أنيقات؛ إذن الصناعة الحقيقية لمواد التجميل تطورت في مدينة ديدون".

أطلعنا ديودور الصقلي "Diodore de Sicile" على أن الكثير من الإغريق أسرعوا إلى الإستقرار في المدن التي كانت تحت سيطرت قرطاج خلال القرن الرابع قبل الميلاد، وساهمت الحملات العسكرية في صقلية في دفع قرطاجة لإلى تقليد بعض الحرف الإغريقية والتقنيات منها صناعة الفخار ذي الطلاء الأسود الشائع في البلدان الإغريقية فقياسا على هذا يمكن قبول فرضية تقليد صناعة الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة .

أصدرت مدينة ثيبة مرسوما يسمح بإقامت وكالات تجارية بونية سنة 365 قبل الميلاد، وكان بقرطاجة مستوطنون إغريق إستقروا من أجل احتراف التجارة أو ممارسة المهن المريحة، فضلا عن ذلك، فمن الممكن أن يلجأ التجار إلى عقود ضيافة تربطهم بمراسليهم الأجانب أو بعث مشروع تجاري أو عقد صفقة على أن تكون رابحة. مع تلك العقود يبقى إحتمال إستقرار بعض صناع الزجاج في قرطاجة

ويبقى من الصعب كذلك إثباته ولكنه إفتراض وارد لأن الآفاق كانت مفتوحة للمهجرين ذوي الأفكار والمشاريع الجديدة، ولم يكن هناك أي مانع يحول دون ذلك.

نستطيع أن نعتمد بالمعطيات الأثرية كشواهد قاطعة بأن الأمر يتعلق (افران خاصة بالزجاج وجدت بقاياها في قرطاجة في منطقة درمش من قبل جوكلير وقد أثبته في دفاتر حفرياته التي نشرت بعد وفاته، لكن ملاحظاته لا تسمح بإعادة تصميم الفرن بصفة كاملة، إذ يقول "... تجلية تنور زجاج أقيم على أنقاض معبد. التنور بيضوي الشكل. سرداب يساوي إرتفاعه قامة أو أقل بقليل مفروش برمل محترق مزجج مبلز أبيض مائل للإخضرار، وفي أعلاه ثقب للتهوئة يمتد التنور على كامل الضريح الذي تم قطعه بجدار أقيم في العمق..." يظهر أن الفرن قد شيد بعد التخلي عن المقبرة أي إبتدا من القرن الرابع قبل الميلاد، وفي قرطاجة أيضا

أجريت تنقيبات في موقع يحده الكردين الثالث عشر والديقومانوس الشمالي عدد 1 فكشف الغطاء عن أرضية من تراب مدكوك فيه ما قد يوحي بصناعة الزجاج، ولكن ذلك لايكفي لإثبات وجود مشغل لصناعة الزجاج ؛ فقد يكون التراب مجلوبا من موقع آخر، أما في مدينة كركوان فقد عثر على ورشة لصناعة الزجاج (مسكن رقم 01 شارع الزجاجين) فالفرن مازال باقيا رغم العوامل التي أضرت به.

فحسب موريل كانت هذه الورشة تنتج عجين الزجاج دون المتوسط، حفرة مماثلة للغرفة 4 وكومة من الرمل الناعم وبقايا الزجاج ذا اللون الأزرق. في حين لايزال الكلس مزيد، ومادة خضراء ملونة وجدت بالقرب من التنور، تسمح هذه المواد بإنتاج عجينة من الزجاج دون المتوسط، ومما يثبت أن صناعة الزجاج وجدت بكركوان منذ القرن الخامس هو بقايا من الخبث عثر عليها في طبقات هذه الفترة، ووجدت بقايا هذه الصنعة في الغرفة رقم 07 والتي تتمثل في أدواة من البرونز "إبرة، مقص، ساق ينتهي ببرونزحاد في طرف، ومسواط في طرف آخر، قارورات، أكواب، وكسرات." ويبدو أن من الوحدات التي تشملها جزيرة سفينكس: مشاغل صغيرة لحرف يعسر تحديدها ولكن ليس فيها ما يتعلق على مباشرة السفر الطويل وعلى تعلم اللغات الأجنبية وعلى التعرف على عادات وأذواق زبائنهم المحليين والأجانب حتى يتمكنوا من إغرائهم وإقناعهم على شراء سلعهم، فكان ينظر إلى البونيين كتجار؛ يمكن الإلتقاء بهم في كل اللأسواق والمرافئ، حسب بعض المؤرخين القدامى فإن البونيين لايعرفون حرفة أخرى غير التجارة، ويمكن الإستشهاد ببعض ما قاله قيقيرو: "بأن البونيين لايتاعاطون نشاطا آخر دون التجارة". في حين لم يتردد إيبلينيوس الأكبر بالإعتراف "بأنهم إبتدعوا هذه الحرفة"

ويذكر الرحالة دينوس بأنهم هم الذين فكروا قبل غيرهم في التجارة عبر البحار الهائجة.

عند محاولة التقريب بين الوجود التاريخي للزجاج الخام المنقول باتجاه مناطق أخرى وبعد أن تمكنا من حصر هوية القرطاجي بإعتباره تاجر، فإنه من غير المنطقي أن نبعده عن تجارة الزجاج، بل على العكس نضيف مساهمته في توزيع

هذه المادة، ولعله كان يشتري الزجاج الخام من المراكز الأصلية، ويقوم بتصنيعه في ورشات موزعة عبر المدن الإفريقية، منها قرطاج أو مدن الجزائر. ويمكن الإعتراف مستقبلا بالصناعات المحلية في أغلبية الأواني الزجاجية المسواة على قاعدةبمختلف الأشطال التي وجدت في شمال إفريقيا.

ففي رأينا لايجب أن يطرح السؤال حول وجود مراكز لصناعة الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة، إذ أن أفران الزجاج تمثل الدليل القاطع على وجود حرف بونية ويبعد كل شك حول هذا الموضوع. لكن المشكل الذي بقي مطروحا هو كيف التوصل إلى معرفة تاريخ بداية صناعة الأواني الزجاجية في شمال إفريقيا؟

- مدهن من وتيكة صنف 2. II. A. i.

- أنفورة من درمش قبر رقم 199 من الصنف II. B. في لبقى الكبرى.

- أنفورة من جنجن الصنف 2. II. B. i. غير أن هذه الآنية تحتل موضعا غريبا، مثلما أشرنا إليه من قبل في الفصل الثاني من الباب الثاني.، فهذ تنتمي لإلى المجموعة المتوسطية الثالثة حسب تاريخ القبر. ولايمكن أن تتعلق بالمجموعة المتوسطية الثالثةولا بالمجموعة المتوسطية الثانية إذا ما أسندنا إليها خصائص هذه المجموعة، وبناءا على ذلك فإنها تعود إلى المجموعة المتوسطية الأولى. ويمكن تعليل وجودها في ذلك السياق بطريقتين:

- يمكن ألإعتبار بدون أي شك أن التحفةوضعت في المقبرة خلال القرن الثاني أو الثالث بصفتها تحفة قديمة، كما بينه فوجير من قبل، أو دفن الميت مع ظهرة جنائزية متقدمة في الزمن.

- إعادة النظر في مؤارخة القبر أي السياق.

ولقد اهتم بأواني جنجن عدة باحثين مثل جوكلير وإكسال ولكن جاء وصف المقبرة سطحيا، والوحيد الذي وضحه هو الباحث دي كاردياك (De Cardaillac)

الذي كتب يقول : - حفر الفينيقيون السراديب ثم أتى الرومان فشتتوا عظام الأموات القديمة ودفنوا فيها أمواتهم - .

محتويات المقبرة البونية في جنجن

فالمقبرة البونية الموجودة في جنجن الواقعة بين شرشال وتنس عرفت منذ زمن بعيد بفضل المنشورات التي خصصت لها وهي معروفة بثراء الظهرة الجنائزية التي إكتشفها جوكلروإكسال وميسونيي (Missonnier).

أعاد فيلار في المادة التي عثر عليها في جنجن، كما أعاد النظر في النتيجة التي توصل إليها الباحثون الآثاريون خلال حفرياتهم في المنطقة الأثرية، ونسبوا المقبرة إلأى مابين القرن الثالث والقرن الأول قبل الميلاد، وارتقى فيلار بها إلى القرن الخامس قبل الميلاد بعد أن قام بتحليل الفخاريات المتمثلة في الأواني الأتيقية المستوردة على الأرجح عن طريق تجار صقليين.

- أروبلة عدسية الشكل من الصنف 2. ii. ?IIIC من قرطاجة.
- مدهنة من شولو.

هاتان الأخيرتان تنتميان إلى المجموعة المتوسطية الثانية وتم توريخهما بموجب سياقهما الأثري. في حين يصعب وضع الأواني الأخرى في إيطارها التاريخي ولا تتسنى معرفة مصدرها. ونلاحظ نفس المشكلة في المجموعة المتوسطية الثالثة، فبعض التحف التي كان بوسعنا تأريخها تتمثل في :

- الصنف A. IV جنجن وتيبازا.
- الصنف B. IV. وية ولبقى الكبرى.
- الصنف B. IV. سالا.

وتجدر الإشارة إلى أنه بغض النظر عن هذه الأمثلة، تنقصنا معطيات حول التاريخ النهائي لصناعة الكرزان المنتمية للمجموعة المتوسطية الثالثة لهاردن. والتي إكتشفت ضمن سياق متشابك. وكذلك الأمر بالنسبة لتحف قسنطينة (انفورات ومداهن وكرزان).

مدهن سيرتا من الصنف A. IV. رتب من قبل جوكلير بصفته آنية حقيقية

وتنتمي إلى نوع "المداهن" التي لها شطل مميز، في حين أن الأواني الأخرى ليست إلا مشتقات، فمن خلال هذا الوصف وضع هذا الصنف من المداهن في إطار زمني متقدم، لكن طبقا للدراسة التصنيفية لايمكن إعتبار هذه التحفة ضمن الأواني أو الأشكالالقديمة، التي تشتق منها المداهن الأخرى للمجموعة المتوسطية فهذا النمط من الأشكال ظهر خلال نهاية الفترة الهلينستية كما أثبته فوسينج.

وفيما يخص مشكلة تأريخ تحف قسنطينة الصادرة من "سيدي مسيد (mcid Sid)" وكدية عاتي(Coudiat-Aty) لقد أشار برتيي (Berthier) إلى أنه لم تكن هناك تقنيات نظامية ومنسقة خاصة في كدية عاتي، لكن الإكتشافات كانت عرضية من جراء الأشغال الخاصة أثناء توطية تل كدية عاتي في بداية القرن. بينما في سيدي مسيد أجريت تنقيبات هامة أفضت إلى توريخ تقريبي للمكتشفات بين القرن الثلث والثاني قبل الميلاد.

وبغض النظر عن هذه الأمثلة تنقصنا بالفعل معطيات حول تاريخ صناعة الأواني الصغيرة الحجم والمجردة من السياق الأثري، فندرتها في السلحل الجزائري والمغربي زد على غيابها الكامل في المناطق الأخرى يبعثان على الغرابة، لقد سجلنا ثلاث قوارير من المتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر، ومدهن من متحف طيطوان الصادر من ليكش التي لايعرف تاريخها.

لقد سجلنا الغياب التام لأشكال الصنف G. IV. في دراسة فوسينج وفي سجل هاردن وفوجير وكذلك في سجل ماكليلان فالمراجع التي نملكها والتي بحوزتنا هي المذكورة من قبل هاردن، والممثلة في تسعة أنفويرات يقدر طولها بـ 5. 1 سم . كلها مصنوعة من نفس القالب صادرة من جزيرة رودس التي تتطابق مع أحجام لياقيت الجزائر ومدهن المغرب.

ونلاحظ أن التحف التي وجدت بالمغرب والجزائر تمتاز بأشكال مختلفة وصنعت بنفس التقنية التي بها صنعت تحف المجموعة المتوسطية الأولى والثانية

---

24 -M. Feugère, le verre préromain en europe occidentale, Montagnac, 1989 pM 59.(24

25 -Barreca, M.Bouchenaki,A? Ciasca,M.H.?Fantar, S.Moscati,Vitussa, Richerche puniche-nel Meditrrraneo central, Roma 1970, p:65.

والثالثة، ولانستطيع توريخها بدون الإستناد إلى سياقها الأثري، على أن تاريخ المقابر الموجودة بالجزائر والمغرب تؤيد ضمها إلى ما بين القرن الثالث والقرن الأول قبل الميلاد .

فحسب ما ذكر في الفصل الخامس من الباب الثاني فإن تاريخ الأشكال المفتوحة حدد في نهاية الفترة الهلينستية أي في السنوات الأولى لحكم أوجيستوس.

عموما يربط اختفاء تقنية التسوية على قاعدة بظهر الزجاج لمنفوخ الذي سمح خلال منتصف القرن الأول قبل الميلاد بإنتاج مجموعة كبيرة من الأواني تقوم بنفس الوظيفة، وإذا كانت الطريقة الجديدة قد قضت بصفة نهائية على استعمال القاعدة الطينية في الورشات الزجاجية فلا يمكن أن تكون مسؤولة على التدهور التقني والجمالي الذي ظهر في وقت مبكر.

إن الحفريات الجديدة المنجزة من قبل الفرق الليبية في ربوع السرت الأكبر، أسفرت عن تشخيص قبور بونية والتي بدون أي شك تسمح بإعطاء تفسيرات جديدة للحضارة البونية، فعندما نتفحص خريطة توزيع الأواني الزجاجية، والمؤرخة في أغلب الأحيان حسب المعايير التصنيفيةتسجل إفراطا في عدد تحف المجموعة الأولى بالمقارنة مع المجموعتين الثانية والثالثة.

إن توزيع هذه الأواني (المجموعة المتوسطية الأولى) وانتشارها في قرطاجة ووتيكة وقورينة؛ تشهد على مدى اتساع التجارة وفعاليتها في هذه المدن الثلاثة.

يبدو وبصورة جلية أن في عهد سيادة قرطاجة كان لبعض المدن مثل وتيكة وجديرة منشآت تجارية خاصة بها منها البحرية بدون أي شك. في حين أننا نلمس ضآلة التوزيع والإنتشار في المناطق الشرقية بل تبدو في الغالب عديمة الوجود. فمن الصعب القبول بأن المناطق المجاورة لقرطاجة بقية بعيدة تماما عن الحركة التجارية، وما نلمسه عموما هو أن قرطاجة في الجهة الغربية للمثلث البوني لم تقدم جهودا من أجل الإستغلال التجاري لساحل شمال لإفريقيا بين تونس والمغرب، فالتيارات المضادة وقلة الموانئ وخطورة السواحل الصخرية والرياح العاصفة

جعلت الملاحة فيها صعبة، فقد تفسر هذه الأسباب إهمال شمال إفريقيا الشمالية من قبل قرطاجة، لكن السبب الحقيقي كما يبدو يتمثل في قلة مردودية أسواقها وخصوصا بإكتشاف منطقة هامة للتجارة القرطاجية.

فالجانب الشرقي للمقاطعات القرطاجية كان منطقة محرمة ومحمية من كل ملاحة أجنبية. فقرطاجة منعت البونانيين من التجارة في الجهة الشرقية لمقاطعتها (لبقى الكبرى ووية وصبراتة) وهذا ما يفسر غياب الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة في الجهةالشرقية والغربية لقرطاجة باستثناء تحف وأواني لبقى الكبرى وجنجن، وتمركزها فقط في قرطاجة ووتيكة، هذه الأخيرة التي ينعدم فيها الإحتكار السياسي.

فنلاحظ إبتداءا من القرن الرابع أن توزيع الأواني الزجاجية للمجموعة المتوسطية الثانية يتغير بصورة جلية نظرا لندرتها، كما بينه فوجير: فإن ندرة المجموعة الثانية في شبه الجزيرة الإيبيرية خصوصا لم تكن إلا نتيجة جهل الخصائص العامة لهذه المنتوجات. ولايمكننا جهل هذه الفرضية بما أنن نلاحظ نفس الظاهرة في شمال إفريقيا خاصة في قرطاجة وتبدو محصورة جدا في وتيكة.

هناك تفسير معقول لهذه الظاهرة تبينه الإتفاقية الثانية التي أوردها بوليبيوس "Polybe" والتي تعكس أوضاع القرن الرابع، لقد أبرمت سنة 348 قبل الميلاد وأكدت على ضبط أحكام نصوص الإتفاقيات السابقة، لقد غمرتنا الدهشة حينما وجدنا بأن التدخل في البداية لم يقتصر على قرطاجة بل شمل شعوب قرطاجة وصور ووتيكة وحلفائهما، ولكنها إشارات شكلية لا معنى لها، بحيث أن القرطاجيين الذين فرضوا أنفسهم سوف يعرفون فيما بعد صلاتهم بالرومان دون النظر إلى مسألة صور أو وتيكة فالولاء التمهيدي الموجه إلى صور مساويا ومعادلا لإقرار المبادئ التي من خلالها أكدت قرطاجة إرادتها في استمرار سيادة إمبراطوريتها، فذكر وتيكة التي دخلت كما يبدو إبتداءا من القرن الخامس تحت خضوع قرطاجة، هو عبارة عن مبادرة إحترام لصالح المدينة، وهذا ما لاحظه إكسال: صارت قرطاجة

المسؤولة على مصالح المدينتين وتيكة وصور، فالمعاهدة القائمة كما تبدو إستوحت بنودها من هذا المنهج السياسي.

لم تكتفي قرطاجة بتطبيق الصرامة والسيطرة وفرض قوتها على المناطق المتفتحة على التجارة الخارجية بل كان لديها قوانين تمنع الرومان من إرساء سفنهم في سردينيا وغفريقيا سواء للتجارة أو لتأسيس مدينة، وخاصة في الحدود الجديدة التي كانت مخصصة للقرصنة، ومعلوم أن ذكر صور جاء ليؤكد الإعتراف بسيادة قرطاجة وبحقها في الوصاية على كل الممتلكات الفينيقية في غرب البحر الأبض المتوسط بما في ذلك وتيكة التي لايمكن لها وحدها أن تبرم إتفاقيات تجارية مع مدن أخرى إلا بواسطة قرطاجة . ولهذا نستطيع بدون شك تفسير تقلص الأواني الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة المنتية للمجموعة المتوسطية الثانية في وتيكة.

فقد أبعد القرطاجيون الرومان من كل السواحل الإفريقية بحكم أنهم أسياد المنطقة ولم يقبلوا إلا في قرطاجة ذاتها، والتساؤل المطروح هو هل يجب علينا الإعتقاد بأن هذه الإجراءات تشبه حضرا تجاريا ؟

نجد في المعاهدة الأولى والثانية نفس السياسة قائمة في المناطق المحرمة، نفس النظرة المحترزة التي كانت تخفي سر المناطق المربحة والطرق الأمنية، فإذا اقتصرنا على اعتبار ما أثبتته الحفريات الأثرية وجب الإعتراف بأن تجارة القرطاجيين مع اللوبيين والنوميديين والماووريين (Maures) كانت تقريبا منعدمة، لكن من الممكن أن القرطاجيين قد أهدوا للحكام والأمراء تحفا قيمة وأسلحة رائعة وحليا وعطورا. . . لكن مع هذا يجب الإعتراف بوجود حركة تجارية ذات أهمية بين السواحل والمناطق الداخلية اللوبية. وربما هذا ما يفسر وجد بعض الأواني في الجزائر، وكذلك بداية انفتاح السواحل الغربية لقرطاجة.

ولا تخفى أهمية انتشار المجموعة المتوسطية الثالثة في كامل سواحل شمال إفريقيا من الغرب إلى الشرق، فكان على قرطاجة تزويد مقاطعاتها بمنشآت مرفئية،

وبما ييسر ملاحة بحرية قادرة على ضمان نقل السلع والأشخاص، والتكفل بحماية السواحل والملاحة ولقد أنشأت مرافئ في مدن بونية لشمال إفريقيا، وجزيرة سردينيا، وصقلية ومالطا، وإسبانيا الجنوبية، وليكش، وصبراتة، ووية، ولبقى.

فمن تلك الموانئ تسربت تأثيرات بونية وانطلقت تيارات تجارية مختلفة نحو المناطق المجاورة.

• فالتأثيرات القادمة من المدن الفنيقية أو القرطاجية الساحلية نحو المناطق الداخلية كانت تتم عن طريق التجارة.[29]

• تسربت تلك التأثيرات كذلك عن طريق الأهالي الذين عملوا في الجيوش البونية فتأثروا بمستوى عيش قادتهم. واعتادوا على المواد المستعملة في المجتمع القرطاجي: وأواني العطر كانت من بينها.

وأخيرا التأثيرات المفروضة من قبل الأمراء النوميديين، وملوكهم خاصة، ملوك البلدان المجاورة للمقاطعة البونية، الذين كانت لهم علاقة مستمرة مع الجمهورية الكبرى فموادُ الفزينة والعطر من أهم ما يتأثر بها الأمراء والطبقة الغنية في كل مجتمع.

ونلاحظ وجود الزجاجيات المسواة على قاعدة في المناطق التي كانت تبدو من قبل غير معروفة والتي اتبعت طريقا مميزا عند مرور القرطاجيين على طول الساحل والمناطق الداخلية (لبقى الكبرى، وية، صبراتة، قرطاجة، تفشت، سيرتا، هيبون، شولو، جيجل، تيبازة، جنجن، طيطوان، ليكش، سالا). غير أن قضية متحف سكيكدة الذي هدم في الخمسينات من قبل القوات المحتلة أدى إلى تبعثر مجموعاته وأدى إلى فقدان عدد كبير منها " سرقة، همجية. . . " وبالتالي فإن وجود الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة في سكيكدة من الصعب إثباته.

فوجود عدد كبير من تحف المجموعة الثالثة فبي الجزائر له علاقة بدون شك مع التحرر النوميدي كما إقرحه فوسينج، في حين ؛ فيما يخص الجانب الشرقي لقرطاجة فإن نبش القبور البونية الجديدة في السرت الأكبر والحفريات القائمة

---

29 – آكلي نورية الأواني الزجاجية المسواة على قاعدة في شمال إفريقيا ، ص: 234.

حتى الآن في لبقى الكبرى ووية وصبراتة لاتسمح لنا بإعطاء أيّ إإقتراح إلا بعد نشر تقارير الحفريات التي وفرت مجموعة هامة من الوثائق تحمل الكثير من المفاجآت.

ثم إن ضآلة الإكتشافات في المغرب قد تتفق مع ما صوره إكسال فيما يخص علاقاتها مع جيرانها: ففي كامل الفترة القديمة كان المغرب عبارة عن منطقة تابعة لشبه الجزيرة الإيبريية رغم وجوده ضمن شمال إفريقيا. ويُعتقد أيضا أنّ تهديدات الرّومان لعبت دورا هاما في ضآلة عدد الواني الزجاجية في شمال إفريقيا.

فانتشار أواني العطر لها علاقة مع كثافة النشاط الإقتصادي الذي يمثل إحدى دواعي وجود الحضارة البونية، وهكذا عرف الزجاج إنتشارا كبيرا في العالم البوني، وقد كان من قبل مخصصا للجمهورية القرطاجية ولقورينة وللطبقات الميسورة.

تعتبر صناعة الزجاجيات - المسواة على قاعدة التي دامت أربعة عشر قرنا (من القرن الخامس عشر إلى القرن الول قبل الميلاد)- عملية إنتاج فريدة من نوعها. فاتجاه القرون الأخيرة يظهر بكل وضوح أنّ التطور يشفّ عن رغبة في الحصول على منتوج يوفر ربحا أكثر ويتطلب وقتا وتكلفة أقل. كما يعود إلى التنافس المتزايد في تطور هذا النوع من المصنوعات الحرفية. وقد أظهرنا بأن التقنيات ليست هي فقط التي تطورت خلال هذه الفترة بل كذلك الظروف التقنية والإجتماعية.

فهل كانت لقرطاجة والمدن البونية الأخرى صناعة زجاجية بالمعنى الحقيقي؟ وهل ساهمت في تطوير هذه الصناعة ؟ فالمرجّح لدى الباحثين أنّها لم تكن مبدعة في الميدان بل تمكّنت من السيطرة على تقنيات هذه الصناعة.

والثابت أن القرطاجيين كانوا قادرين على محاكات الصناعات الأجنبية وعلى تطويرها وتوفيرها في الأسواق بأثمان قد تعسر منفستها وكذلك كان شأن الزجاجيات في قرطاج.

وأيا كان الأمر فالزجاج القديم والزجاجيات المسواة على قاعدة يبقى مفتوحا ونرجوا أن تثير هذه المساهمة المتواضعة فضول الدّارسين ليواصلوا البحث في ميدان مازال محفوفا بالضباب.

---

30 - Fossing, Vesels before glass bloing, Copinhagen, 1940 p: 80-82.

الفصـل الخامس

الأثر البوني من الناحية الإجتماعية والعمرانية والدينيـة

منذ قرنين من الزمن أي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، نلاحظ أن الإكتشافات الأثرية تشهد حضور الحضارة البونية، ولاسيما في المدن والسواحل الإفريقية، ودخولها إلى العالم النوميدي.[1]

إن الحضارة البونية لم تكن حضارة الفنيقيين ولكنها نتيجة لقاء بين الفنيقيين والسكان، وأن أصول قرطاجة والمدن البونية لم تكن سوى تحقيق وإنجاز إسهامات فنيقية ولوبية ، وهذا يبرهن على وجود مبادلات كبيرة بين حضارتين شرقية وبربرية. وأن ميلاد هذه الحضارة يتميز بمظاهر خاصة من ناحية اللغة والفن والعمران (الطابع العمراني) والعبادات، والطقوس الجنائزية[2]. فابتداءا من المنتصف الثاني للقرن الخامس قبل الميلاد نلاحظ وجود دولة قرطاجية، مع مدينة قرطاجة، والمدن الساحلية المرتبطة والمتحالفة؛ الممثلة للحضارة البيونية، ومن جهة اخرى نلاحظ دول نوميدية أخرى تحت قيادة الماسيليس والمازسيليس، حيث يصعب تحديد المناطق والحدود الترابية لهذ الممالك. وكانت هناك روابط كبيرة بين دولة قرطاجة والممالك النوميدية والتي تتمثل من خلال الزواج، واللغة، والديانة، والعمران، وأن النوميديين قاموا بتبني الحضارة البونية، ومنذ قرون عديدة فإن الأمراء النوميديين كانوا يعتبرون قرطاجة كعاصمة لهم، ومما يجب ذكره هناك ما اورده أبيانوس من أن ماسينيسا قد تربى في صغره بقرطاجة.[3]

وكانت هناك عدة أمثلة زواج سلف لنا ذكر بعضها في مقام سابق من هذه الدراسة، وهي تتعلق بروابط زواج قرطاجية نوميدية ما بين عائلات من الأرستقراطية البونية

1- Mohamed Kheir Orfali, échanges culturels artistiques et religieux entre numides et puniques.p: 105 (l'Algerie au temps des royaumes numides) .
2 - Ibid. P : 109/Numides , éd Somofy , ed Qart.
3 -Appien, X, 37, 79

والمراء النوميديين، وأن النصوص القديمة أوردت لنا أخبارا حول عدة زيجات أو وعود بالزواج، وأن أميلكار بعث برقية وعد فيها بتزويج إحدى بناته إلى أمير نوميدي هو نارقاس[4] أثناء حرب المرتزقة (حسب ما أورده بلينيوس 178).

أمـا أوزاليسيس فقـد إختـارة كزوجة إمرأة قرطاجية قريبـة لحنبعل (la nièce d'Hanabal) وكانت قد زوجت إحدى بناتها لقرطاجي وهو أدربعل[5] (تيت ليفيوس tite live)، مع العلم أن ماسينيسن وسيفاكس قد طلبا يد سوفونيسب ولأسباب سياسية فإن سيفاكس هو الذي فاز بالزواج بها، وقد تعرضنا لهذا الزواج من قبل، وهي إبنة جنرال قرطاجي. وأن ماسينيسن نفسه قد زوج إحدى بناته إلى قرطاجي، فقد كان هناك إمتزاج دم وتفاعل حضاري بين النوميديين والقرطاجيين، فقد جرى في عروق الطرفين الدم القرطاجي والدم النوميدي كما هو الحال بالنسبة للبطل حنبعل.[6]

الأثر البوني في ضريح المدراسن وضريح قبر الروميـة:

إن المدن النوميدية سواء أكانت ساحلية أو داخلية، كان لبعضها أسماء بونية أو لوبية، كلها كان لها تأثر كبير بالثقافة البونية، وشهد على ذلك منتوجات الفخار البوني الذي عثر عليه في قيرتا أو في محطات الشواطئ، علاوة على ذلك نلاحظ أن المعابد كان يعبد فيها بعل حمون وتانيت، وكانت اللغة المستعملة رسميا وعموميا على مستوى العوام هي اللغة القرطاجية.

وكانت مدينة قيرتا هي العاصمة النوميدية تحمل إسما من أصل بونيقي رغم أنها لم تخضع إطلاقا للسيطرة القرطاجية.[7]

---

4 - Mohamed Kheir Orfali, échanges culturels artistiques et religieux entre numides et puniques.p: 106

5 - Tite - lhve. XXIX, 29, 19.

6 - Mohamed Kheir Orfali, échanges culturels artistiques et religieux entre numides et puniques.p: 106

7- Id Ibid,p: 106.

هناك تأثيرات بونيةظاهرة فيما يخص التصميم المعماري للأبنية والأضرحة الجنائزية النوميدية ويتجلى ذلك في ضريح قبر الرومية بسيدي راشد قرب تيبازة، وضريح المدراسن بالقرب من باتنة، فالديكور أو التحسين الجمالي لعناصر من أصول متنوعة بشكل مساهمة تبادل هام بنفس المستوى فيما يخص الأعمدة والأبواب التمويهية fausse porte[8] والتيجان المصرية لقبر الرومية، ويلاحظ وجود العمود اللإيوني في ضريح قبر الرومية في ناحية تيبازة، وهو يمثل جزءا هاما من التجميل الخارجي، أي الديكور الخارجي الذي يحيط بالقبر، وكذا في الأبواب التمويهية؛ وأن أعمدة هذالأبواب تتميز بديكور أو فن تجميلي نباتي؛ بالنخلات المفتوحة، وهو أصل من شكل الديكور الفنيقي. [9]

ويوجد نفس الديكور في أعمدة الناوس NAOS البوني الذي عثر عليه تبيربو ماجوس Thuburbo Magus[10]

إن الأرضية المميزة : للضريحين المدراسن وقبر الرومية مع وجود بهو يؤدي إلى الغرفة الجنائزية، وكلها تعود إلى أضرحة جنائزية لفترة فجر التاريخ البربري paléoberberes، مع العلم أن الديكور ونعني بذلك فن التحسين،يعود أصلا إلى الطابع الإغريقي البوني.[11] وهذا الإبداع المعماري البربري المتمثل في الضريحان المذكوران؛ يجمع بين تقليد جنائزي بربري محلي مع عناصر ديكورية تحسينية إغريقية وبونية، فهما نتاج مجتمع نوميدي مفتوح بشكل واسع أمام التأثيرات البونية [12].

8 - Id Ibid,p: 108. voir : lézine , 1962, p: 30,27 - fig a, b
9 - Id Ibid,p: 108.
10 - Id Ibid,p: 108
11 - céchle colonud , deux mausoées Noyaux de Numidie, p: 11 (l'Algerie au temps des royaumes numides) .
12 - Id Ibid,p: 110.

من مآثر الحضارة القرطاجية في نوميديا:

المقابر البونية

بقي أن أذكر أن دراستي عن الرصيد الحضاري الفنيقي البوني في البلاد الجزائرية وهي المعروفة بنوميديا لايخلو من نقائص والكمال لله، رغم أني عملت كل ما في وسعي لإجلاء الغموض على بعض أمور تخص الحضور البوني في نوميديا، ولكن مازال البحث مستمرا للوصول إلى حقائق أكثر وضوحا حول هذا الحضور المميز ولاسيما في ميدان عالم الأمواتبل العالم الجنائزي، حيث نلاحظ أن السمات البونية والشكل البوني في البلاد النوميدية يمثل تنوعا متعددا على المستوى المحلي.(فكل موقع يحتاج إلى دراسة واسعة ومعمقة) يتميز بخصوصياته.

فمدينة قولو (وهي القل اليوم) الساحلية يوجد فيها قبور بونية لها بهو تم نحته في الصخر. أما جيجل فقبورها لها ميزة أنها على شكل بئر بدروج، وتمتاز بثراء أشكال مقابرها ذات الأحواض.

أما الأندلسيات في الجهة الوهرانية، التي ليست بعيدة عن وهران فتتميز بسراديب دفن مبنية caveaux bâtis، أما في مجال الطقوس والمراسيم والأثاث الجنائزي هناك بعض الخصوصيات من موقع أثري بوني إلى آخره...، ورغم هذه المميزات فإن الخطوط العريضة تبقى واحدة ، فالمجموع يمثل شكل بوني موحد، يتكون من عنصرين: وهما العنصر الشرقي والعنصر المحلي.

فيما يخص العالم الجنائزي وعالم الأموات فإن شعوب المنطقة خلال أزمنة خلت أظهروا سياسة محافظة، مع العلم أن كل تفتح حول آفاق خارجية في هذا الميدان يعكس تطورا حقيقيا للذهنيات، مع تغيير عميق في الفعل والواقع الذي لايرتبط بالشكل فحسب، وكان السكان القدماء في عدة مدن نوميدية، كانوا يدفنون أمواتهم في مدافن على شكل بئرمحفور في الصخر، وهذا في إطار المشهد أو التصور للتقليد المعماري الفنيقي [1].

---

1 - Voir: Alia Krandel Benyounes, La présence punique en pays Numide. P: 461

وتوجد عدة وقائع ولمسات تؤدي إلى الإعتقاد عن الأصل الإثني أو السلالي للمستعملين لهذه المقابر، حيث يجري الدفن في وضعية شكل سهم fléchie en position، مع وجود جثث مصبوغة باللون الأحمر[2]، وكذا حضور فخار مميز الشكل Poterie modelée.

هذا ومما يجب ذكره في هذا الشأن أن المقابر البونية في البلاد النوميدية توجد في السواحل، وهي على العموم في المناطق الواقعة في المحطات الساحلية بإستثناء فاجة وتيجب، وكذلك في مقبرة بولاريجيا، وفي البلاد النوميدية يلاحظ ظهور بشكل مركز للمقابر ذات تقليد لوبي (منها المعروفة بالدولمن، والبازينا، وتومولوس، والحوانيت)، ولدينا مثل مقابر الركنية، وكاستيل، وتيديس، علاوة على مراكز أخرى في جهات متفرقة في الشرق والغرب من هذه الناحية، وإن هذا التقسيم الجغرافي للطابع البوني على مستوى الجنائزي، والذي يبدو أنه قائم على مستوى المحطات الساحلية أو قل المحطات المجودة في الشواطئ. وكل هذا مرتبط بعدة عناصر منها: لابد من الإعتراف أن هذا التقسيم الجغرافي مرتبط بمسألة الوثائق الموجودة في حوزتنا، وهناك عدة مقابر موجودة خارج نطاق الساحل المتوسطي مثلما هو الأمر فيما يخص قيرتا(قسنطينة)[3] وعلاوة على ذلك هناك مقابر بونية موجودة في نواحي حيث لا نجد إشارة إلا قليلا لحضور أو وجود مقابر ذات طابع بوني منها الحوانيت والدولمن، حيث نلاحظ وجودها في منطقة قسنطينة وفي الشمال الغربي التونسي[4]، ونفس المعطيات موجودة في الفضاء البوني بإفريقيا الشمالية، منها الساحل التونسي[5].

وسواء تعلق الأمر بالبلاد النوميدية أو الساحل التونسي؛ نلاحظ أن الجهات الساحلية عرفت تغيير جذري على مستوى المعمار الجنائزي وهذا نتيجة سياسة الإتصال والتبادل بين المكونات الثقافية، منها ذات طابع فنيقي، والآخر لوبي، ففي القبر المحلي للساكن اللوبي .

---

2 - Id Ibid, p: 462.
3 - Id Ibid,Benyounes Krandel, p: 462.
4 - Id Ibid, p: 462.
5 - Id Ibid, p: 462.

نلاحظ وجود الدولمن والحوانيت بجانب القبر البوني punique sesubstitue La tombe وهذا التغيير لايخص المستوى المعماري، ولكن كذلك على مستوى الممارسة الميدانية والأثاث الجنائزي[6].

ورغم الخصوصيات المحلية والجهوية التي تطبع المقابر البونية في البلاد النوميدية، فإنها تدخل في نطاق العالم البوني أكثر شمولية وفي نطاق أوسع، فهناك عدة عناصر مشتركة وبعض اللمسات الدقيقة والخصوصيات تربط المقابر البونية مع جهات أخرى، منها الساحل وكاب بون (أي بلاد الوطن القبلي في تونس) وكذلك ناحية السرت[7] (منها المورفلوجيا فيما يتعلق بالدفن والآبار بالدرج ...إلخ) ومن جهة أخرى هناك عدة عناصر مشتركة تجمع على مستوى الممارسةوالأثاث الجنائزي تربط هذه الجهات البونية المختلفة بالعالم اللوبي كما بينا ذلك من قبل. ومع هذا هنالك فوارق تفرقهم بقرطاجة والعالم الجنائزي بالمحطات الفنيقية على العموم منها قرطاجة، وحضرموت، وأوتيكة، وهذه المعطيات تبين على أن الظاهرة البونية أو قل الفعل البوني[8] الموجود في البلاد النوميدية، وفي جهات أخرى، ماهو إلا نتاج لقاء وإتصال عنصرين، أحدهما لوبي، وثانيهما فنيقي[9].

وفي داخل البلاد النوميدية، فإن غياب وقلة المقابر البونية فقد إتسم بإنتشار واسع لمقرات وأماكن العبادة أو قل التعبد فجرى عبادة آلهة شرقية في البلاد النوميدية الداخلية، منها كما سلف ذكره في مقام سابق، بعل حمون، وتانيت، وبعل أدير، وحوتير ميسكار، وعشتارت.

هذا مع العلم أن النصوص الندرية الموجودة في الأنصاب التي عثر عليها في المقابر هي بونية، ولغة الإهداءات هي بونية أيضا، وإن خريطة توزيع المعابد البونية في البلاد النوميدية بشكل واضح أهمية إنتشار الديانة البونية.

6 - Id Ibid, p: 462.
7 - Id Ibid, p: 462.
8 - Id Ibid, p: 462.
9 - Id Ibid, p: 462.

وهاته الآلهة التي جرى عبادتها في قيرتا هذه العاصمة النوميدية الكبيرة وكذلك في محطات أخرى داخل البلاد حيث لم تكن هناك سلطة قرطاجية للدولة البونية فيها يبين كل ذلك

على أن الثقافة البونية لم تكن ثقافة إستعمارية "كولونيالية"[10] فرضت فرضا على النوميديين، فهؤلاء السكان النوميديون إندمجوا مع الديانة القرطاجية وقاموا بإثراءها، وفي عهد القديس أوغسطين في القرن الخامس الميلادي كانت اللغة النوميدية بمثابة لغة الكلام التي يتحدث بها البربر الذين يعيشون في ناحية هيبون، وهي مدينة عنابة اليوم، ويظهر هذا الحظور البوني فيما يتعلق بالمؤسسات السياسية للنوميديين، وهذا المظهر يتمثل في موضوع عدة دراسات مفصلة تخص هذا الشأن. ومما يجب ذكره أنه في القرن السادس الميلادي، فإن بروكوب يشير أن الأفارقة كانوا يفخرون بنسبهم إلى الكنعانيين[11] وهذا لايعني بالطبع قرابة إثنية (سلالية) بل المقصود هو الجانب الثقافي.

الخاتمة:

خلاصة القول أن الرصيد الحضاري الفنيقي القرطاجي في الجزائر القديمة، له ارتباط عضوي بالبحث الأثري لأن آثار الفنيقيين والقرطاجيين التي تركوها في هذه الديار، بعضها بقي موجودا إلى يومن ، وبعضها اندثر بحكم عوامل الزمن وتهديم الإنسان للتراث الأثري.

وتحقق هذا المخزون الحضاري بفضل الإستيطان الفنيقي، ثم الوجود القرطاجي، وبدأ بربط علاقات مميزة بين الفنيقيين أولا ثم القرطاجيين ثانيا مع اللوبيين والنوميديين (أهالي الجزائر القديمة)، وهناك كما لايخفى معطيات تاريخية لهذه العلاقات، على كل حال نلمس هذا الرصيد المتبقي من خلال اللقى

10 - Id Ibid, p: 46.
11 - Id Ibid : Alia Krandel Benyounes, La présence punique en pays Numide. P: 463.

الأثرية البونية التي لها طابع فني، وتتجلى في الأقنعة والأدوات الحربية، والأواني الزجاجية والطينية، والتي تعبر عن المكنون الحضاري بصفة عامة علاوة على وجود لقى أثرية فنيقية وبونية لها صفة دينية تعد كلها بمثابة دلالات ملموسة لهذا الرصيد الحضاري الفنيقي البوني الذي أبلغ الأثر في البلاد النوميدية عبر الزمن حسب تسلسل تاريخي مضبوط أحيانا، وليس دائما.

وإن المدن النوميدية الكائنة في الجزائر الحالية تعتبر بمثابة شاهد عيان عن هذا الحضور المتميز للفنيقيين والقرطاجيين (وهذا ما كشفنا عنه في بحثنا) وأعتقد أن الصور والوسائل السمعية البصرية والنظام الرقمي الجديد، والأنترنيت، كلها تعد جسورا معتبرة لإظهار وتبيين هذا الوجود المميز والحضور الفعال في مدن جزائرية عتيقة مثل: عنابة (هيبون القديمة)، وسكيكدة (روسيكيداي)، و جيجل (إلجيلجلي)، وقالمة، وسوق أهراس مرورا بإيكوسيوم وهي مدينة الجزائر القديمة، وتيغزيرت، وقوراية، ويول(شرشال)، وسيق، وانتهاءا برشقون، كلها مدن نوميدية مرت بمرحلة "بوتقة رائدة"، وبهذا أتمنى أن أكون قد سلطت بعض الأضواء.

وكشفت بعض الخبايا بالرسم والحرف والصورة حول إشعاع قرطاج في هذه الربوع الجزائرية. هذا الإشعاع الذي كان له طابع إنساني محض، وسيتبع هذه الدراسة عملا آخر وهو يخص إظهار بالوسائل السمعية البصرية، وبالصورة الحية مظاهر الإشعاع البوني في ألبوم خاص، بل جزء خاص ينشر في وقت لاحق كملحق لهذ الدراسة والسلام.

رئيس المشروع/ الدكتور أحمد السليماني

الجزائر في 2004/11/02

مصادر ومراجع مشروع البحث

مصادر ومراجع البحث باللغة العربية

- أبي الحسن الشيباني (المعروف بابن الأثير): الكامل في التاريخ 1982 ج1 ج2 دار الكتاب العربي بيروت.
- أبي الحسن الوزان، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر من الفرنسية إلى العربية اعتمادا على ترجمة لاتينية أصلية ، نشر الإمارات العربية بيروت.
- إبن العوام ترجمة في 3 أجزاء CL. Mellet en trois tomes .Paris 1864
- البكري أبو عبيد الله: (كتاب المسالك والممالك) المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب (الجزائر 1857)
- أرسطو السياسة ترجمة /د : طه حسين / دار المعارف 1983 القاهرة.
- الجيلالي عبد الرحمان : تاريخ الجزائر العام. الجزء الأول، طبعة جديدة نشر المؤسسة الوطنية للكتاب/ الجزائر.
- الحموي ياقوت: معجم البلدان . المجلد:1 . دار الصادر/ بيروت 1994
- السليماني أحمد : ماسينيسا ويوغورطة، نشر ديوان المطبوعات الجامعية 1991 الجزائر.
- إبن خلدون عبد الرحمان: العبر، (ج: 2، 6) منشورات دار الكتاب اللبناني بيروت.
- السليماني أحمد: ماسينيسا، مجلة التاريخ، رقم:21/ النصف الأول من 1986 الصادر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية.
- السليماني أحمد: دراسة نقدية للمصادر والآثار والأصول الإنسانية والحضارية لتاريخ إفريقيا الشمالية. مجلة الدراسات التاريخية لمعهد التاريخ العدد السادس، جامعة الجزائر 1992 .
- السليماني أحمد: من أجل كتابة موضوعية لتاريخ الجزئر والمغرب القديم، مجلة التاريخ، رقم: 20، 1985 .
- السليماني أحمد حسين: مقالة من أجل رؤية جديدة لتاريخنا .
- السليماني أحمد حسين: تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، نشر دار القصبة، الجزائر 2007.
- الفرجاوي أحمد : بحوث حول العلاقات بين الشرق الفنيقي وقرطاجة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون تونس 1993 .

- المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني: دار النهضة العربية، بيروت 1969.
- التاضوري رشيد: تاريخ المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة 1966.
- محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، نشر أليف ؟منشورات البحر الأبيض المتوسط مركز النشر الجامعي 1999
- د. عبد اللطيف أحمد علي: مصادر التاريخ الروماني، بيروت 1970.
- د. غانم محمد الصغير: التوسع الفنيقي في غربي المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1992.
- كربخال مارمول: إفرقيا / ترجمة عن الفرنسية: محمد حجبي محمد زبير أحمد التوفيق أحمد بن جلون 23 أجزاء مكتبية المعارف الرباط 1984.
- عبد اللطيف أحمد علي: التاريخ الروماني عصر الثورة. دار النهضة العربية بيروت 1973.
- د. غانم محمد الصغير: التوسع الفنيقي في غرب البحر المتوسط
- د. غانم محمد الصغير: التواجد الفنيقي البوني في الجزائر .رسالة دكتراه.درجة ثالثة نوقشت بمعهد التاريخ، جامعة الجزائر1981 نشر المؤسسة الوطنية للكتاب/ الجزائر.
- د. غانم محمد الصغير: المملكة النوميدية والحضارة البونية- دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 1998.
- أحمد توفيق المدني: قرطاجنة في أربعة عصور. 1976 نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- عبد اللطيف علي: مصادر تاريخ الرومان. دار النهضة العربية بيروت 1975.
- مجلة الثقافة العدد 98 الجزائر أفريل1987.
- مجلة التاريخ الصادرة عن المركز الوطني للدراسات التاريخية. العدد 24، الجزائر.
- الوزاني الفاتسي أبي الحسن: وصف إفريقيا. ترجمة عن الفرنسية: محمد حجبي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية دار العرب الإسلامي بيروت 1983.
- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول صفحة:222 دار العلم للملايين بيروت ماي 1968.
- حتى فيليب: تارخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج 1 ترجمةك جورج حداد وعبد المنعم رافع، دار الثقافة بيروت،1951.
- حركات إبراهيم: تاريخ الحضارة المغربية، الجزء الأولوالثاني، دار السلمى الدار البيضاء المغرب.

- ديورانت ويل: قصة الحضارة (10) ج قق من المجلد ققق ترجمة: محمد بدران / الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة.

- الميلي الشيخ مبارك محمد: الجزائر في ضوء التاريخ ك الشيخ أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 ك الجزائر.

- الميلي الشيخ مبارك محمد : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الأول المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989.

- الميلي الشيخ مبارك محمد: تاريخ الجزائر العام.

- د. توفيق أحمد: حول معنى إسم اسفي . أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة اسفي، المملكة المغربية.

- د. الشنيتي محمد البشير: قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة. مجلة التاريخ معهد التاريخ، العدد الخامس 1986 ك الجزائر.

- توينبي أرنولد: مختصر دراسة التاريخ. ج 1/ دار المعارف بمصر.

- جوليان شارل أندري: تاريخ لإفريقيا الشمالية. نقله إلى العربية محمد مزالي والبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر 1969.

- حاطوم نور الدين، أحمد طربين: نبيه عاقل صلاح مدى/ موجز تاريخ الحضارة. ج 1. مطبعة الكمال – 1965بيروت.

- حتى فيليب: تاريخ الشرق الأدنى القديم. الجزء الأول والثاني. دار العلم . بيروت.

- ديوز علي: تاريخ الجزائر القديم والحديث – الجزائر نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، طبعة جديدة.

المصادر الإغريقية والرومانية القديمة

- Appien – histoire romaine ed. p. vierrck, don bid tenluer, 1906 – in Rome history , trad harace wite , london, 1912.
- Aristote, la politique (II,I,- 9,II,1-7)
- Hannon (périple) c. géogro graec, min, 1882.
- Hérodotus, histoire trade . p. h. larcher , Paris 1980.
- Herodothe, histoire universelle, traduit du grec par A Barquet édi.galiard 1964.
- Hérodote Stéphane Gsell, textes relatifs à l'histoire de l'Afrique, du livre IV chapitre CL XVIII.

-Hérodote ,Stéphane Gsell,textes relatifs a l 'Histoire de L'Afrique du nord livre IV chapitre C I, XVHI Paris 1918. -Festus Avienus, Ora Martima,117-9,383,412-9

-Polibe,Polibius,xv,18,1 London 1960.

-Pline l Ancien,**XIII**-32-et Histoire naturelle Tome 3.

-Pline,**IX,**115,Juba.Tradis Arabicis

-Athénee,Sur Juba,**II**,31:P343.

-Strabon,livre **III.**,176.Paris 1955.

- Justin, histoire universelle ey traduit par E, Boifard, Paris 1833.
- Pline l'ancien, histoire naturelle, et Rockham,Loeb classical library 1938, V vol.
- Polyb, histoire trad raussel, coll la pleide 1970.
- Salluste, la guerre de jegurtha, trad par Richard F.ed grenier, flammarion, Paris 1968, XIX, scyllax, (peuple).
- C. Muller Georger , greac, min 1882.
- Strabon géographie, éd, h, j. gones , coll ioeb, 1917 – 1949.
- Tite live histoire rpmaine, éd, weissenborn, et h,j. Muller, 1962/

Gsell, Stéphane,Juba **II**,Savant Et Ecrivain,Revue Africaine ,Tome 68- Année 1927 O.P.U. New édition Alger 1986.

- Gsell Stéphane Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord Tome 1 et 4, Sur Le Périple d 'Hannon, et Le Périple d 'Hamilcon .Paris 1920

Paris 1980. – Mr Gras. P.Rouillard,J,Teixidor, L' univers Phénicien

مصادر مختلفة أخري

- Alphonse, textes et documents picard 1909 (L.91/8 et 11).
- Anziani D. Les nécropoles puniques de carthage, Paris, 1915.
- Audollent A. Carthage romaine (Bibl. des écoles franç. Dr Ath. Et de Rome) 1904.
- ABBE Cahen, Iscription puniques et Néopunique de Constantine (EL HOFRA) . R.S..A.C.T. XIX 1878 T.I. FASC IV.
- Ancien testamen I, rois. X. 21 – 22.
- Awdallent A. Carthage Romaine (Bib) des écoles romaines d'Athènes et de rome 1904.
- Baradez J <<Nouvelles recherches sur les ports antiques de Carthage>> in cartago IX, 1958.
- Barreca F << Quand Carthage dominait la sardaigne >>, in Archéologia, 1968.
- Ballout L, Le Maghreb Oriontal avant Carthage, Archéologie vivante 1 N° 2. Dec 1968 – 1969.
- Basset Henri: L'influence punique sur les berbères, Revue Africaine, 1921, Alger.
- Bunnens, G, L'expansion phénicienne en Méditerranée. Bruxelles – Roma – 1979.
- Basset Henri: << Existance du signe de Tanit au Hoggar >>in bulleyion de liaison saharienne, Décembre 1961.
- L. Balout, lybica, laboratoire d'anthropologie et d'achéologie préhistorique du musée Bardot Alger tome 2, 1953.
- L. Balout, le Maghreb Oriontal avant Carthage,Archéologie vivante 1 N° 2 .
- Berthier André, L'abbé René Charlier
- Albert Grener, Le sanctuaire punique d'EL HOFRA, textes et planches Editions Art. et Métiers Paris 1955.
- Berthier André, L'abbé René Charlier, Le sanctuaire punique d'EL HOFRA à Constantine. Paris 1955 Arts et Métiers gaphiques.
- A. Berthier Labbé Charlier, la Numidie, Rome, et le Maghreb.
- Berger Pillipe:Inscriptions néopunique de Cherchell en l'honneur de Micipas,Paris 1889.
- Bourgade. Abbé François.(Toison d'or de langue phénicienne)Paris.
- Berger Pillipe: Mémoire sur deux insciption puniques découvertes dans l'?le du port – Cothon Paris 1849.
- BRIZI, Geovanni, Annibale: strtégia et immagine, spolète, 1984
- Berger Pillipe:Inscrptions de Constantine au musée de Louvre, dans actes du XI congrès international, 4ème section, langues sémitiques.

- Benichou – Safra H.<<Qatr des nécropoles puniques de Carthage>> in Kartago, XVII 1976.
- Bernard A. ? << L'Afrique septentrionale >> in géographie universelle, IX, 1937
- Beulé: Fouille à Carthage, Paris.
- F. Bertrandy et M. Snycer: Les stéles punique de Constantine du musée de Louvre.
- Benabou: la resistance Africaine à la Romanisation. Édition: Flamarion. Paris, 1974.
- Gean Mazel, Avec les Phéniciens à la poursuite du soleil sur la route de l'Or et de l'Etain ,new édition Paris,1978.
- Mounir Bouchnaki : TIPAZA, site du patrimoine Mondial Art et Patrimoine Mondial ENAG – EDITION ALGER 1982.
- Mounir Bouchnaki, Le Mousolé Royal Moritanien,SNED,Alger 1970-
- Henri Basset: L'influence punique sur les berbères. Revue Africaine 1921 Alger.
- Bourgade. Abbé François: Toison d'or de langue phénicienne.D.39182.
- Labbé M. Bourgade F. Lessoirées de Carthage – La clé du Coran – Passage du Coran à L'Évangile.
- Berger Gérôme cacopino, journal asiatique, 1943 – 54
- Basset M << existance du signe de Tanit au Hoggar. In bulletin de liaison saharien-ne, dée 1961
- G.H . Bousquet << les berbères>> p: 26. presse universitaire de France .
- Bradez. J.<<nouvelle recherche sur les ports antiques de Carthage>>. In Karthago, IX 1958.
- H. Bénichou – Safar: << cartes des nécropoles punique de Carthage>> in Carthago XVIL, 1976.
- Berard, J. la colonisation grecque de l'Itali méridionale et de la sicile dans l'anti-quité. Paris, 1957.
- Bisi A. M. << pettini d'avarion di carthagina in afriqua >> 1968.
- J.P. Brisson, carthage ou rome ed . Fayard Paris 1973.
- Berger; Inscription de Constantine au musée du Louvre, dans actes du Xème.
- Chabot Abbé, Punica dans journal asiatique 1917 II, p: 39 à 79, et res 326 à 340, 1535 à 1565 et 1931 à 1934.
- Carcopino: le périple du carthaginois hannon. Bulletin de l'association Crillume Budé, T.XXV, 1966.
-Nedijee lancyric Dajeu, les Grands Explorateurs, édition LAROUSS, Paris 1966. - Sabatino Moscati,??Empire de Carthage,Edition Paris Méditerranée 1996.
- P. Cintas: << le signe de Tanit interprétation d'un symbol >> dans archéologie vivante 1968 -1966.
- Charles Picard: Vie cotidiènne à Carthage. Paris 1970.

- G. Camps: << les Numides et la civilisation Punique dans Aut, T, 14 1979
- Carcopino: le Maroc marché punique de l'or.
- Camps Gabriel: Réflexion sur la pénetration de la civilisation punique en Numidie (Brochure).
- J. Carcopino: le Maroc antique Paris.1948.
- Cantineau Jean/ LA LANGUE DE Ras – Shamra. Paul Centhner, librairie oriontale Paris 1932 in 4 (Extrait de la revue Syria 1932, p: 164 – 170).
- Cintas Pièrre: Amulettes puniques.Imprimerie rapide. 1946, in 4173.P.De l'institut des hautes études oriotales de Tunis, Vol I.
- J.P. Callu, C. Hallieer, R. Rebuffat J.P MORERL. THAMUSIDA Paris 1965
- Corpus: Iscriptions semiticarum, T.I.,Fase IV.
- Cahen: Iscriptions puniques˙et néopuniques de Constantine (EL HOFRA) dans R.S.A.C, T. XIX, 1978.
- CHELBI Fethi: céramique à vérnis noir de carthage. Tunis,1992
- Congrés international des oriontalistes,4ème séssion langues sémitiques.
- Cagnat R: gournal des savants, 1893.
- Carcopino: le Maroc antique, Paris, 1948.
- Carpenter (RHYS) << les navigateurs puniques sur les routes de la mer>> in archéologie vivante, février 1968.
- Carpenter (RHYS) << phoenicians in the West >> IN, A,I,XIL 1958.
- Dr. Cartion << docuent pour servir à l'étude des ports de l'anceinte punique de Carthage >> é in, revue Tunisienne, 1911,1912.
- Camps Gabriel:Réflexion sur la pénetration de la civilisation punique en Numidie.p: 5. étude faite en polycopie.
- Camps Gabriel:les numides et la civilisation punique inantiqité africaine, 14 pp, 43 – 53, 1979.
- CINTAS P: << céramique punique >> Paris,Klincksieck, 1950.
- Sintas P: deux compagnes de fouille à Utique, in karthago,II, 1951.
- Sintas P: la naissance de Carthage, in archéologia, fevrier 1968.
- Sintas P: manuel d'achéologie punique . Paris,E.Picard,I,1970,II,1976.
- Chabot Abbé, punica des journal asiatique.1917,II et RES; 326 à 340à 1565 et 1931 à 1943.
- Cintas: expansion Cartaginoise au Maroc edition Fayard Paris 1965.
- CH. Conetois, saint augustin et la suvivance de punique R. africaine 1950 – T. 94 – nov, edition:O.P.U. Alger.
- Camps G: Massinissa au début de l'histoire. – libica – Alger1976.

- Camps G: les sufettes de volubilis d'archéologie marocaine. Tome IV 1960.
- Marie Claude Chamla: les algeriens et les population arabes – berbères, livre du CRAPE XXXIV.Libyca Alger.
- Carcopino: << survivance par substitution des sacrificesd'enfances dans l'Afrique romaine dans R.H.R. CVI.
- Carthage, l'histoire et son écho. Cathalogue de l'exposition du musée du Letit Paris, musée Tunis, alhf, 1995.
- J. G. Demerliac, J.Meirat: Hannon, le périple d'Hannin Rabet 1980.
- H. Donner et W. Röllig, K.A.I. 1964 n° 101.
- Delattre P.:<< les grands sarcofage anthropoïdes du musée Lavigerie >>, in Cosmos, 1903.
- Delattre P: << la nécropole punique voisine de saint monique >> in Cosmos, 1898,1899,1900,1901.
- Dsange J.: Etendue et importance de Byzacium.1963.
- Dupont – Sommer A. : << une nouvelle inscription punique de Carthage >>, in compte rendus A.I.B.L.? 1er tr. 1968.
- Dussaud R: Les origines cananéennes du sacrifice chez les israélites et les phéniciens. Paris, Leroux, 1914.
- Ennabli Abdel Madgid: éd pour sauver Carthage; Paris, Unesco Tunis, inna, 1992.
- Ahmed Esslimani: Carthage et les Lybiens. Thèse du Doctorat 3ème cycle, Janvier, 1981.
- Euzennat m: acte de huit congrés internationaux d'archéologie, 1963.p:261.
- A.Educhales: mémoire sur les monnaies antique frappés dans la Numidie et dans la Mauritanie, Baabelon, Emest, Carthage – I.N.A.T. Tunis 1974 –
- M.H.Fantar: Baal Hammon reppat institut national d'archéologie - Tunis –
- J.G Fevrie: Le rite de substitution dans les textes N'GAOUS. Essai de reconstitution du sacrifice molek.J.A.1962.
- Fantar Mohamed Hassine: Inscription puniques de bullaregia (planches XIX et XX).
- Fantar Mohamed Hassine: Approche d'une civilisation.-Tunis-
ALIF- 1992.
- Fantar Mohamed Hassine: Le calvier marain de Kerkouane. In africa,1966.
- Fantar Mohamed Hassine: Eschatologie phénicienne- punique.
Tunis, Inna;1970.
- Farnous Bernard Combet: Les guerres puniqu que sais- je.Paris1973.
- Ferron P: Les problèmes du médecin de Carthage. In muséon
LXXXI,1968.

- Février J C: Paralupimena punica, in cahier de byrsa,1976.
- Février J C: Remarques sur le relatif des sacrifices de Marsseille in cahier de byrsa,1976.
- Février J C: La borne de micifsa, in cahier de byrsa,1967.
- Foucher I : Had rumetum, Paris,1964.
- Fable CT: Recherches sur l'emplacement de Carthage. Paris 1833.
- Gal Dubal:<< Mise à jour de l'enceinte de Carthage punique>>
in compte rendus A.I.B.L., 1er tr. 1968.
- M. Gras, P. Rouillard, J.Teixidor: L'univers phénicien (ouvrage publié avec le concour du centre national des lettres), éd Arthaud Paris,1989.
- Stéphane Gsell: Histoire ancienne de L'Afrique du nord. en huit tomes, Paris 1918.
- Lenorment François: Essai sur la probagation de l'alphabet phénicienne dans l'ancien monde. Paris 1872.
- Tlatli Salah Eddihne , la Carthage punique,édition Paris 1978
- Tlatli Salah Eddine: Djerba Im'ile des lotophage, éd.Céres,1976.
- Mme Auteur: Ciés antiques de Tunis, Douga,Tuburbo,Majus, Mactar el jem,Gigtis.éd:céres 1970.
- Tuza V: Les établissements Phéniciens en Sicile. In archéologia, Janvier 1908.
- L.Naville: Les monnaies d'or de la cyrénaique (450à250 av JC), Genève 1951.
- Nedeijee Laneyrie Dajeu: Les grands explorateurs. Larousse Paris 1966.
- Warmington B.H: Histoire et civilisation de Carthage. Trduction française, Paris 1961.
- Van Vechem: Sanctuaire D'Hércule Melquart. Syria IX IV – 1967.
- Harden D.B: The topography of punique Carthagem in Greece and Romem IX 1939.
- Heurgon J:«La Carthage pri;itive en méditerranée occidentale»,
in archéologie vivante, Février 1969.
- Heurgon J: «L'agronome cartaginois Magon et ses traducteurs
en Latin et Grec » in compte rendus de l'AC.des ins. Et B.- L,Juil-oct. 1976, publié en Février .1977,p:441-456.
- Heurst H.: «excavation at carthage 1974, first internim report »,
in the Antiquaries Journal 1975.p: 11à40.
- Hours-Miédan M: « Carthage »Que sais-je?,Paris1949.
- Hours-Miédan M: « Les representations figurées sur stèles de Carthage » in Cahier de Byrsa,1951.
- Ibn Batouta: Histoire de la Phénicie(inst Français d'Ach orientale), le Caire 1947.
- Indas Aug.Cél: Essai sur la langue phénicienne avec deux inscription inédites, Paris 1842.

- Indas A.C: «Etude démonstrative de la langue phénicienne et de la langue libyque, Paris 1874.
- Indas A.C: « Nouvelle analyse de l'inscription libyco-punique de Thugga en Afrique » Paris 1869.
- Jazein A: Evolution récente du delta de la Medjerda (cours de documents Ecole Normale Supérieur, 1971).
- Julien Ch, A: Histoire de l'Afrique du nord, Payot,1931.
- Kahrstedt, Geschichte der Karthagen, Berlin,1913.
- Lechant J: « Les talismans égyptiens dans le nécropoles » in archéologie vivante, Février 1968,p: 95.
- L'hote H: Ala découverte des fresques du Tassili, Arthaud, Paris,1958.
- Louis P: Les potiers de Djerba, Tunis 1967.
- Mahdjoubi A et Fantar H :« Une nouvelle inscription carthaginoise »; in Accademia Nazionale dei Lincei,1966.
- Jaques Ramin, Le périple d'Hannon,Bar, supplemntary.
- Jehan Desanges: Remarques critiques sur l'hypotèse d'une importation de africain dans le monde phénico-punique.
- Actes du 2eme congrés international d'études des cultures de Méditerranée occidentale 2- Alger 1978.
- Philippe Berger: Inscription Néopunique de chérchel en l'honneur de Micipsa. Extrait de la revue dassiriologie et d'archéologie orientale 2eme année 1888 n° 2 Paris.
- Judas A.C: Mémoire sur dix-nœuf (19) inscriptions numides- puniques inédites, trouvé à Constantine 1867.
- Du même auteur: Etude démonstrative de la langue phénicienne et de la langue libyque, Paris 1847.
- Du même auteur: Nouvelle analyse de l'inscription Libyco- Punique de Thugga en Afrique, Paris 1869.
- Poisot CL: Les ruines de Dougga Tunis 1956.
- R. Rebuffat: Recherches sur le bassin de Sebou II, le périple d'Hannon Bulletin d'Archéologie Marocaine Rabat.
- Rakob Friedrich: « La Carthage archa?que » in Cartage et son térritoire dans l'antiquité, IV collque international,Strasbourg Paris 1988 CTHS 1992.
- Ch. Saumgne « Les prétextes de la troisième guerre punique »
Revue Tunisienne d' Histoire T. XVII 1931.
- Ch. Saumgne « La survivance du Punique du V et VI siècle Karthago T.4 1953.
- Picard Gilbert Charles et Colette Picard: Vie et mort de Carthage. Paris.1972.

- Gilbert et Colette Charles Picard, La vie quotidienne a Carthage- édition Hachette 1982 pour la nouvelle édition .

- L'article de Picard dans l'achéologie vivante, Déc-Fév 68-69.
- Warmington BH: Histoire et civilisation de Carthage Paris.
- Sznycer Maurice: Carthage et la civilisation punique, in Rome et la conquête du Méditerranéen Paris Puf Nouvelle cho p: 545-593-1978.
- Sznycer: Mythes Dieux de la religion phénicienne Revue Archéologique vivante Fév 1968.
- L'article de Sznycer:« Mythes Dieux de la religion phénicienne»
in archéologia Fév 1968.
- Sabatino Moscati: L' Empire de Carthage. Paris Méditerranée 1996 traduction Vivilane Bellanger, Anne Clair Ippotio
1982-1995.
- Garcia Y. Bellido:« Les Phéniciens et les Carthaginois colonisent l'Espagne ».
- Gauckler: Les nécropoles puniques de Carthage, I et II Paris, 1915.
- Gauckler: « Les sacrophage puniques de Carthage »in Bull. des antiquaires de France, 1909.
- Gaudio A: Les empires de la mer. Paris.
- Germain J: « Qu'est le périple d'Hannon », in Hesperis, 1957 II, p: 205-248.
- Gsell St: Histoire ancienne de l'Afrique du nord. Hachette,1928, huit volumes,
a - Les conditions du développement historique. II- L' E tat Carthaginois
b- Histoire militaire des Carthaginois.IV- La civilisation carthaginoise.
- M Gurin: Le voyage archéologique dans la région de Tunis.
- M Gras. P Rouillard J: L'univers phénicien édition Arthaud , Paris 1989.
- Emil Gauthier R.A. année 1927 p: 52-53.
- Gsell St: l'Atlas Archéologique, l'Algerie feuille 8, n° 29.
- Deux documents originaux en Grec sur le périple d'Hannon,
traduction de Stéphane Gsell, Paris 1915.
- P Gauckler: Rapport épigraphique sur les fouilles de Dougga en 1904, dans BAC, 1905.
- Xella Paolo: Bâal Hammon,recherche sur l'dentité et l'histoire d'un Dieu phénico-punique, Rome,1991.

بعض المراجع بالإنجليزية والألمانية

- N. Avigard, J.C Greenfield « Abrouse Phinle whith a phonician dedicatory inscraption » Israël exploration journal, 32, 1982 pp: 118-128.
- Egbert: Introduction to the study of latin inscription revised Edition supplément New York Chicago 1906.
- Ward Perkins « The Arch of septimius in Archeologia IVm,1951.
- Lidzbarski: Handbuchder nord-semitischen epgraphik(rubriques costa),Weimer 1998 et Ephemerie für semitisch epgraphik, Gressen, 1902-1915.
- Lidzbarski: Handbuchder nord-semitischen epgraphik(rubriques costa),Weimer 1898 et Ephemerie für semitisch epgraphik, Gressen, 1902-1915.
- G.K Jenkins et R.B Lewis: Carthaginiau Golds and Electrum Coins; London 1963.



الصورة رقم: 1

هذه النماذج للنصب التي عثر عليها بمعبد الحفرة بقسنطينة: مكتوبة باللغة القرطاجية (البونية).



الصورة رقم: 2:

عثر على هذا النصب كذلك بمعبد الحفرة بقسنطينة، ونلاحظ ذكر بعل حمون وتانيت كآلهة.

Berthier et Charlier: Le sanctuaire punique d'ELHOFRA de Constantine.



الصورة رقم:3

تمثال وهو عبارة عن نصب للآلهة تانيت عثر عليه في منطقة قلعة بوصبع وهذا يدل على تأثير الديانة القرطاجية على أهالي ناحية قالمة في قلب نوميديا.

تصوير المؤلف أحمد السليماني



الصورة رقم: 4

أنصاب ندرية قرطاجية عثر عليها في منطقة(قلعة بوصبع ناحية قالمة) عن طريق الصدفة وجمعها السيد بوجمعة لكحل الراس مدير المركز الثقافي لقلعة بوصبع.

تصوير المؤلف أحمد السليماني



الصورة رقم: 5

يمثل نصبا ندريا قرطاجيا عثر عليه في منطقة قلعة بوصبع ليس بعيدا عن مدينة قالمة بالشرق الجزائري، وربما يكون هذا النصب عبارة عن الإلهةتانيت؛ لأن الصولجان في يدها اليمنى وهو علامة على السلطة الدينية التي كانت لدى تانيت كإلاهة أولى في قرطاجة .

تصوير أحمد السليماني

المركز الثقافي: قلعة بوصبع



الصورة رقم: 6



الصورة رقم: 7

الشكلان يمثلان نصبين ندريين، فالشكل رقم: 14 يمثل رجلا يعض الخضر أو الفاكهة ؛ هل يمثل ذلك قربانا أم ماذا ؟ لا ندري بالضبط ، أما الشكل رقم: 15 فيمثل شيخا كهلا ؛ وليس لنا علم ماذا يعني...؟ النصبين عثر عليهما في منطقة قلعة بوصبع وهما موجودان في المركز الثقافي لهذه القلعة.

تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم : 8

صورة عن قرب لنصب مزدوج قرطاجي لاتيني، وضع في واجهة بناية مزرعة معمر فرنسي، تدعى اليوم بمزرعة الشهيد عمار البكوش في عين المكان بقلعة بوصبع ، والذي قام بجلب النصب من الآثار القرطاجية هوالموثق الفرنسي بافان bavant الذي كان مهتما بالآثار القديمة، واللوحة مكتوبة بالبونية الجديدة ؛ وهي اللغة القرطاجية التي استعملت بعد سقوط قرطاجة ؛ والتي تدل على التأثير اللغوي القرطاجي حتى في العهد الروماني ببلاد المغرب (في منطقة قرطاجة نفسها)

تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم: 9

يمثل صورة عن قرب لنصب المزدوج البوني اللآتيني الذي وضع في واجهة بناية مزرعة المعمر الفرنسي بافان (وهو نص بوني جديد Néopunique)

تصوير أحمد السليماني



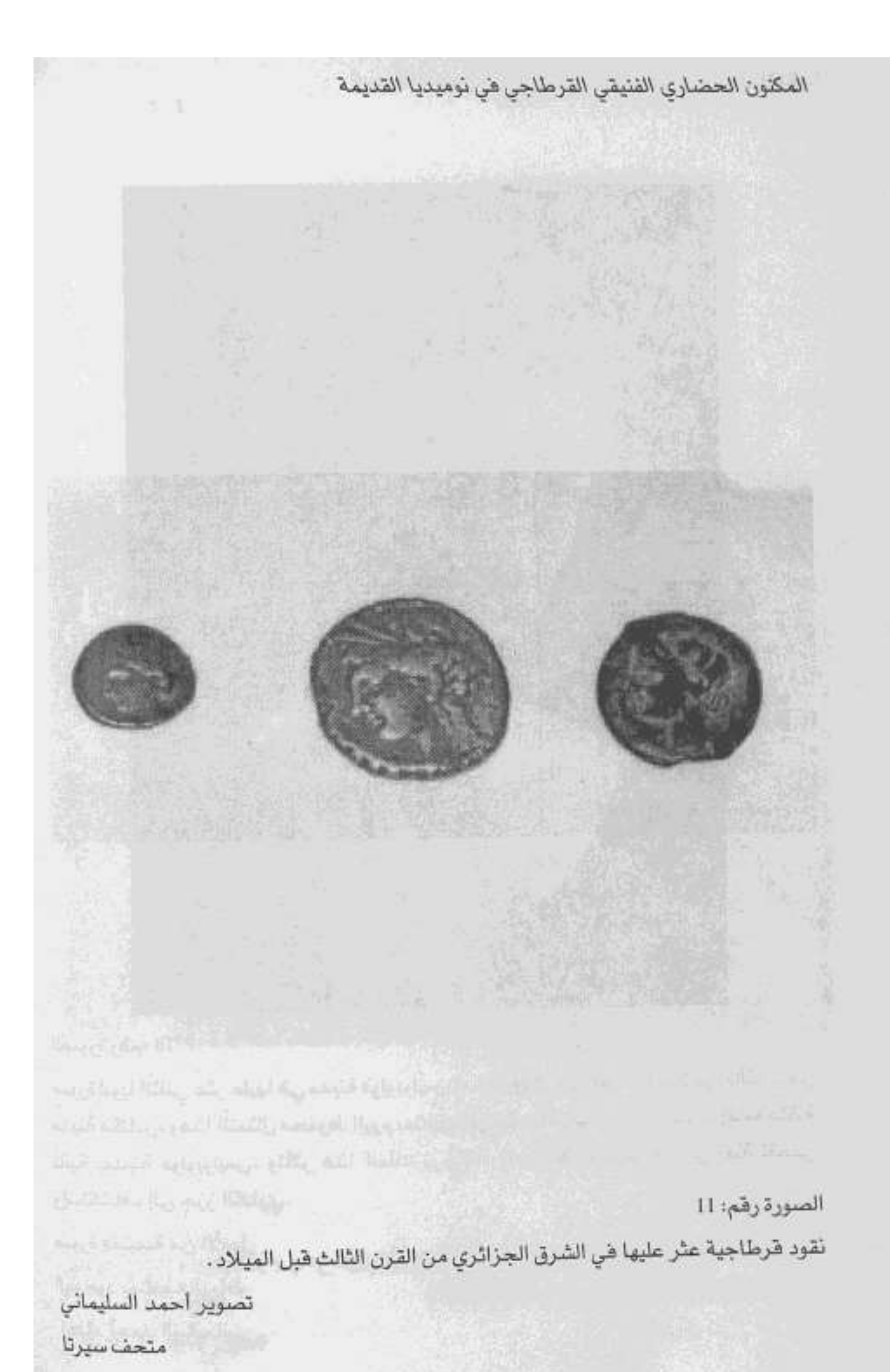
الصورة رقم: 10

صورة ليوبا الثاني عثر عليها في مدينة فولوبوليس (مدينة وليلي في العهد الإسلامي) بالقرب من مدينة مكناس، وهذا التمثال محفوظ اليوم بمتحف الرباط، وكان لهذا الملك الشاب إقامة ملكية ثانية بمدينة فولوبوليس. وتأثر هذا الملك برحلات بحرية قرطاجية، فأرسل بعثة تقصي وإستكشاف إلى جزر الكناري.

صورة مقتبسة من الأصل

الموجود بمتحف الرباط

إعداد أحمد السليماني



الصورة رقم: 11

نقود قرطاجية عثر عليها في الشرق الجزائري من القرن الثالث قبل الميلاد.

تصوير احمد السليماني

متحف سيرتا



الصورة رقم: 12

هذا النصب الندري الذي عثر عليه في معبد الحفرة بقسنطينة ، نلاحظ في النص القرطاجي إلى مولاي بعل حمون وتانيت وهما الإلاهان الرئيسيان في قرطاجة ، ولكن النصب يمثل الإلآهة تانيت ، مع العلم أن اكتشافات معبد الحفرة جرت في 1951 وسبقتها حفريات في معبد الحفرة وتعد الأولى التي وقعت في 1875م، أما الثانية فجرت في 1950 بقرب معبد الحفرة دائما ؟ ومعبد الحفرة يقع بالقرب من متحف سيرتا- والنصب موجود الآن في المتحف سالف ذكره.

تصوير وتعليق المؤلف أحمد السليماني

من متحف سيرتا

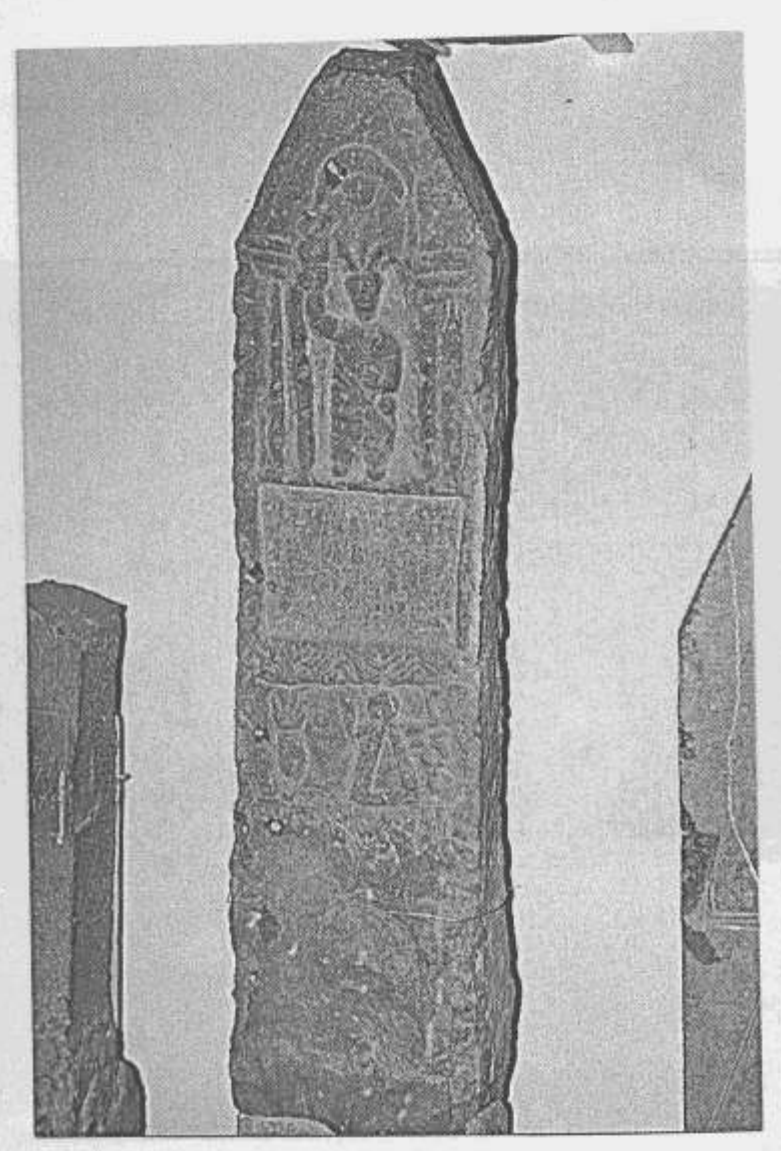


الصورة رقم: 13

يمثل مجموعة من الأنصاب الندرية ، ونلاحظ وجود الإلآهة تانيت القرطاجية في أغلب الأنصاب الندرية التي عثر عليها في معبد الحفرة، ويدل ذلك على تأثير الديانة القرطاجية على عبادة النوميديين في قلب قيرتا (قسنطينة) في القرن الثالث قبل الميلاد.

تصوير أحمد السليماني

من متحف سيرتا



الصورة رقم: 14

يمثل نصبا، في الأعلى نشاهد بعل حمون الإله القرطاجي حاملا صولجانه بيده اليمنى وفي أسفل النصب نلاحظ تانيت بحجم أصغر من بعل ؛ والتعليق غير واضح في الصورة مع الأسف.

تصوير أحمد السليماني

متحف سيرتا



الصورة رقم: 15

منظر جانبي لبيت قرطاجي في مدينة كركوان بالوطن القبلي cap bon والتي تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، ويظهر الحمام وغرف البيت أو المنزل في الصورة، وقد تم إظهار هذا البيت بفضل الحفريات الفرنسية وبمشاركة عالم الآثار التونسي محمد حسين فنطر.

تصوير أحمد السليماني المؤلف



الصورة رقم: 16

يمثل جزءا من بيت قرطاجي في مدينة كركوان وتبدو فيه الغرف أكثر إتساعا.

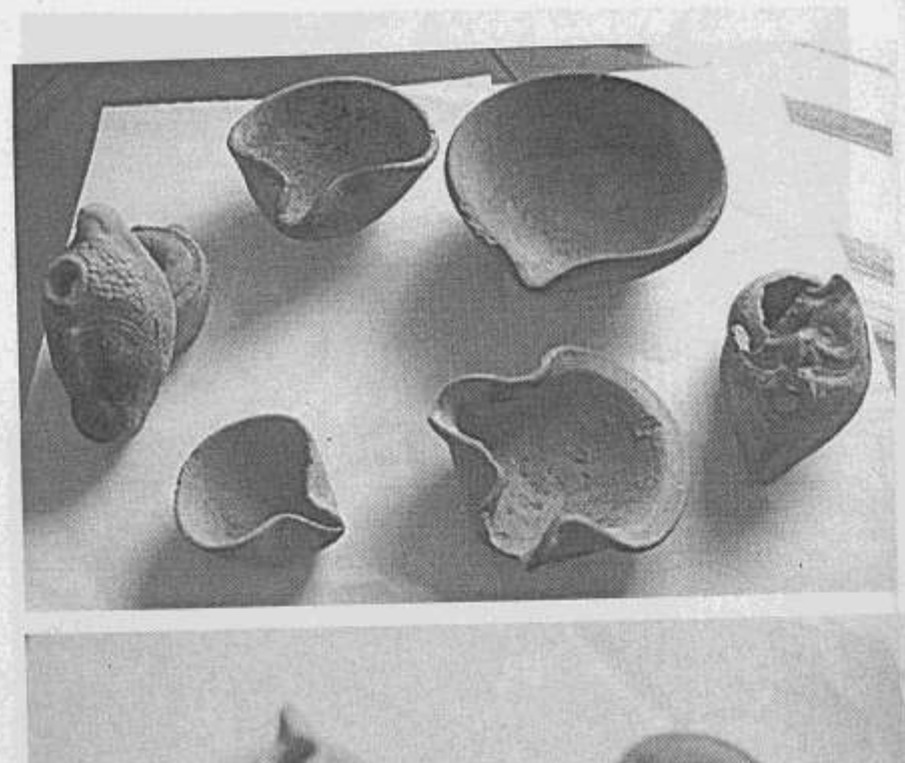
تصوير أحمد السليماني المؤلف

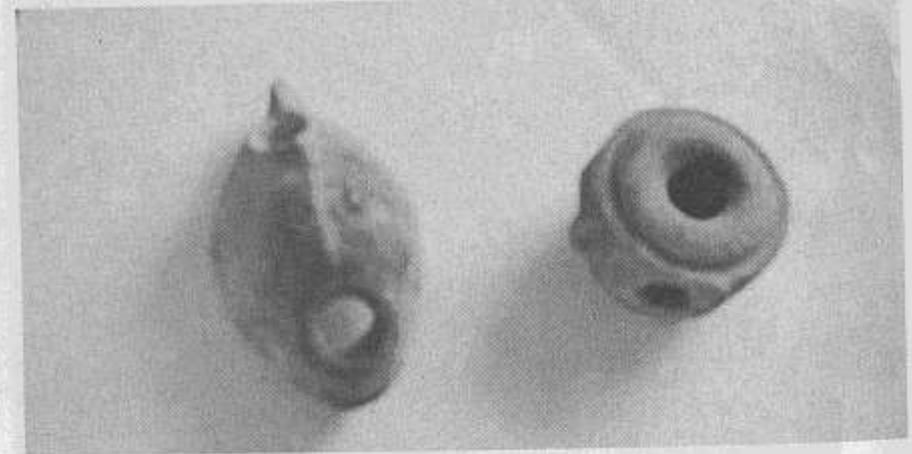


الصورة رقم: 17

نلاحظ فيه تقاطع بين منزلين قرطاجيين ويظهر الحمام في المنزل على اليمين، والحمام الثاني للمنزل الموجود على اليسار مدينة كركوان، القرن الثاني قبل الميلاد.

تصوير أحمد السليماني المؤلف

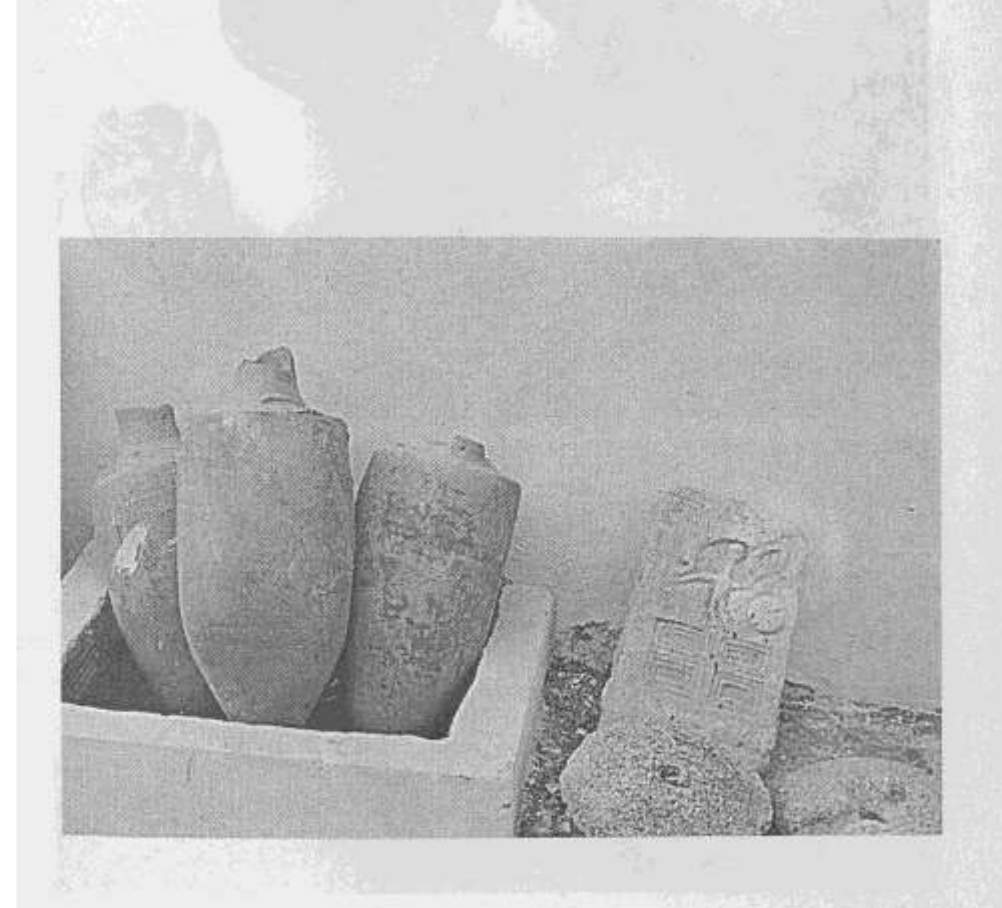




الصورة رقم: 18 و19

يمثل فوانيس قرطاجية عثر عليها في منطقة عنابة تعود إلى القرن الثالث ق.م ، والفانوس الثاني له طابع فني على شكل وجه إنسان بفم مفتوح ويعد نموذجا من الفن القرطاجي الراقي الذي يحتاج إلى دراسة متأنية .

تصوير أحمد السليماني

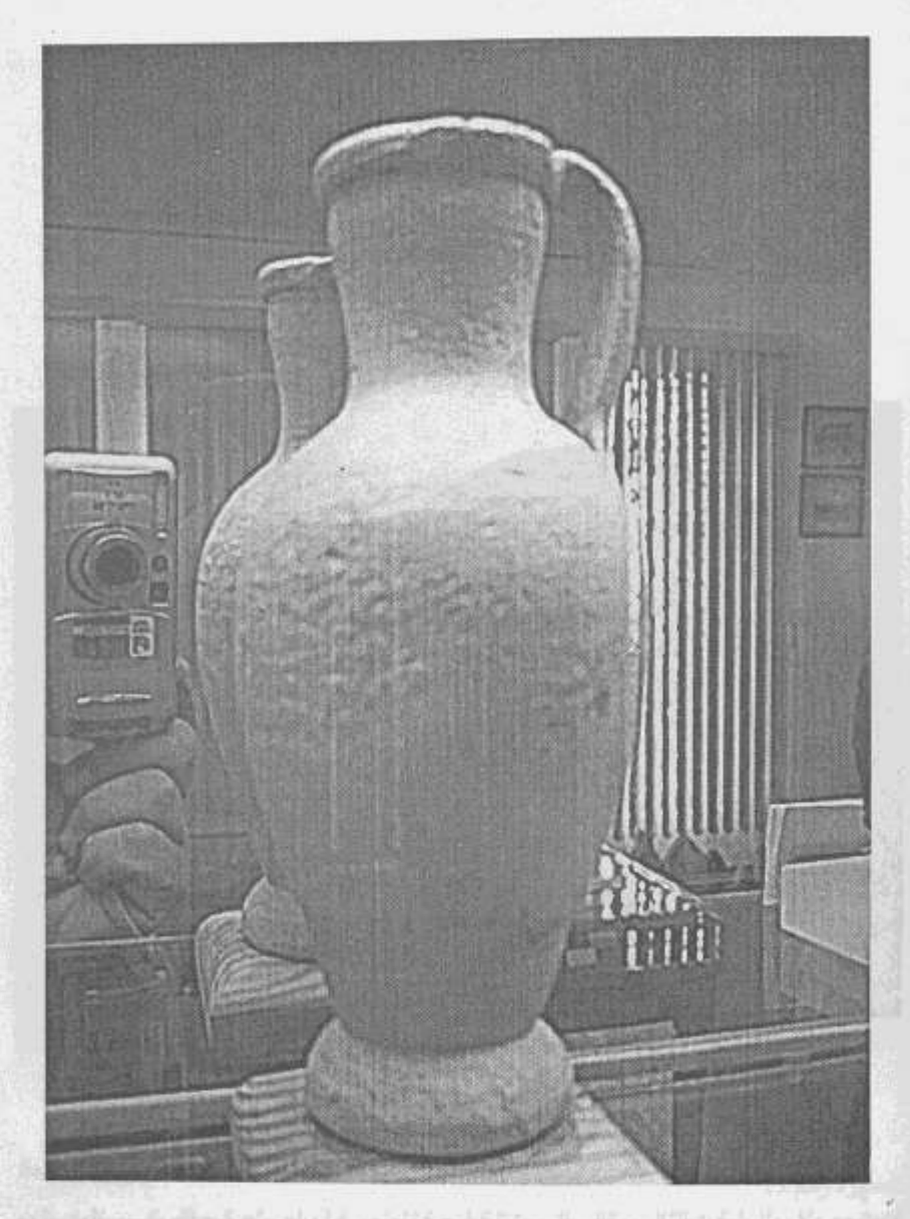


الصورة رقم: 20

يمثل خوابي قرطاجية مع نصب نذري عثر عليها في منطقة عنابة تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

(متحف عنابة)

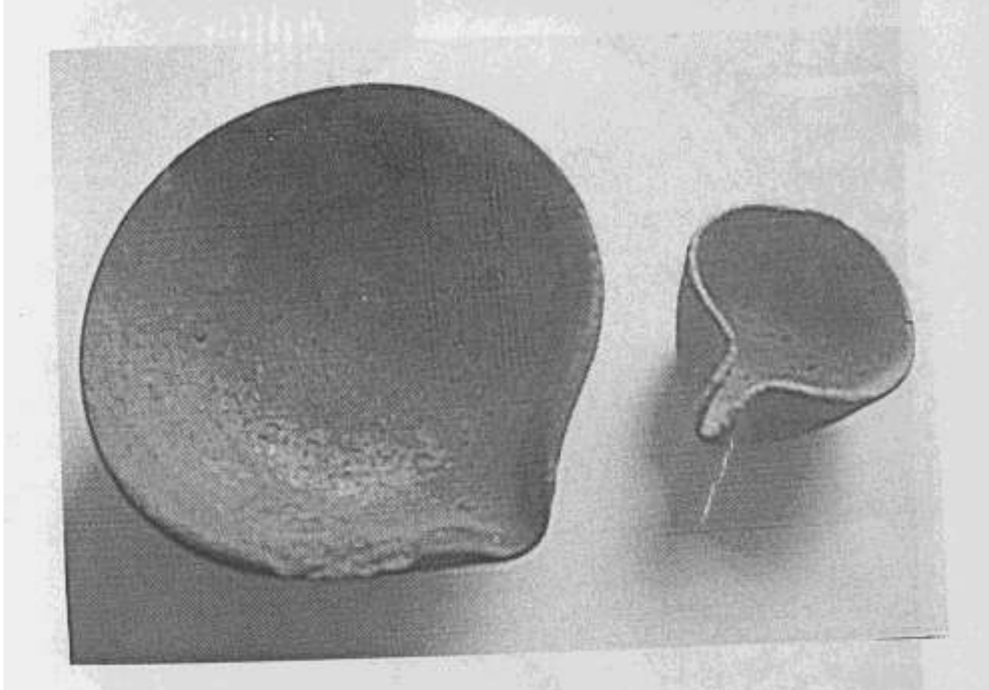
تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم: 21

يمثل جرة قرطاجية كبيرة الحجم مصنوعة من الطين تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم: 22

يمثل فوانيس قرطاجية عثر عليها في منطقة عنابة تنتمي إلى القرن الثالث قبل الميلاد موجودة في متحف عنابة.

متحف عنابة

تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم:23

يمثل خوابي قرطاجية مع أنصاب ندرية قرطاجية تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد وهي موجودة بمتحف عنابة.

تصوير أحمد السليماني

متحف عنابة

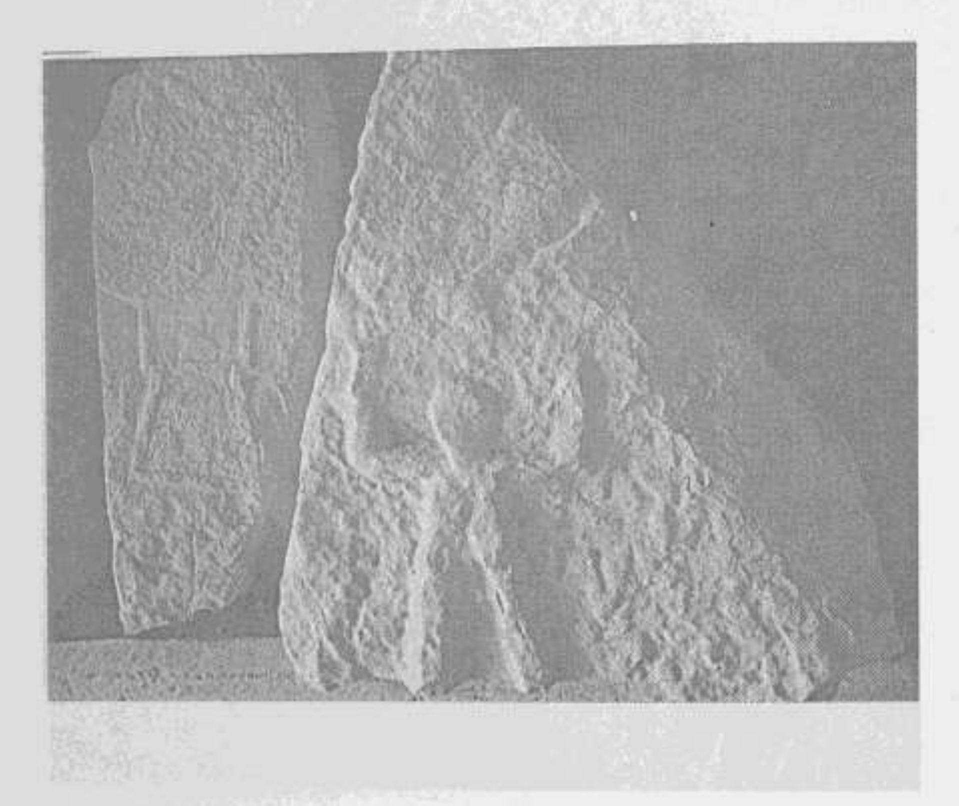


الصورة رقم: 24

نصب نذري قرطاجي ويبدو الهلال وتانيت الإلهة القرطاجية،عثر على هذا النصب في مقبرة قرطاجية بناحية قلعة بوصبع وموجود بالمركز الثقافي لهذه القلعة.

تصوير أحمد السليماني

المركز الثقافي لقلعة بوصبع



الصورة رقم: 25

يمثل نصبين ندريين، الموجود على اليسار نشاهد فيه الإلهة تانيت مع الهلال، أما النصب الثاني على اليمين فيه رسم شخص لاندري هويته بالضبط وهذان النصبان يعودان إلى القرن الثالث قبل الميلاد ،وهما موجودان في المركز الثقافي لقلعة بوصبع ناحية قالمة.

تصوير أحمد السليماني

مركز قلعة بوصبع

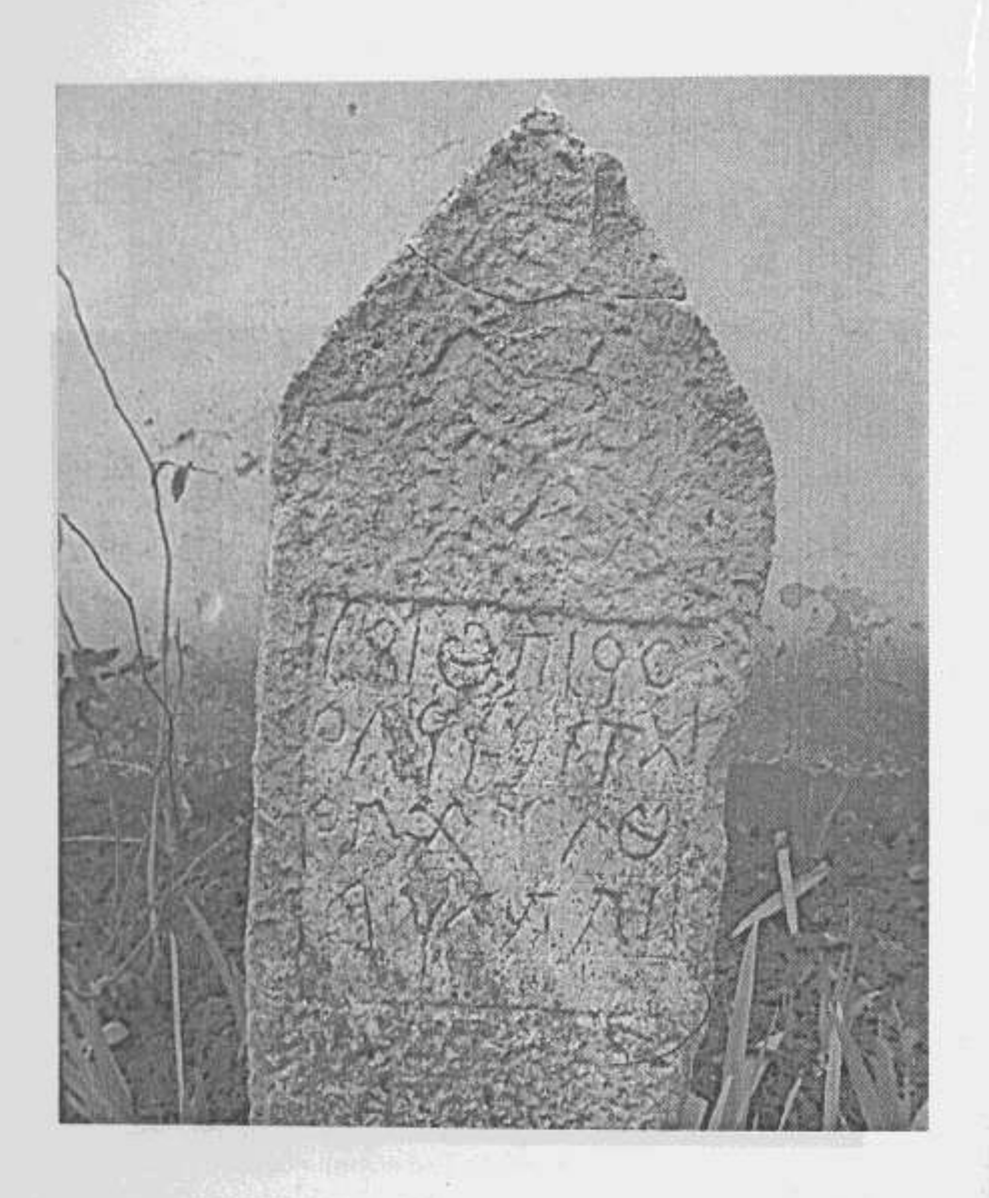


الصورة رقم: 26

يمثل كتابة بونية جديدة عثر عليه في منطقة عنابة مما يجعلنا نقدر تاريخ كتابة هذا النصب بعد سقوط قرطاجة في 146 ق.م بحيث يعود إلى القرن الأول الميلادي أو ما بعده، وهذا النصب موجود في ساحة متحف عنابة .

تصويرأحمدالسليماني

متحف عنابة



الصورة رقم: 27

عبارة عن نصب نذري قرطاجي أو بوني عثر عليه في منطقة عنابة ونشاهد فيه الكتابة البونية واضحة.

تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم: 28

يمثل نصب نذري قرطاجي مع كتابة بونية ربما المرأة الموجودة في صدر النصب هي الإلهة تانيت والنصب موجود في متحف عنابة.

تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم: 29

يمثل نصبا نذريا قرطاجيا آخر ؛ نشاهد فيه صولجانا وفي الأعلى الهلال ويرجح أن الصورة الموجودة في صدر النصب للإلهة تانيت .

تصويرأحمدالسليماني

متحف عنابة

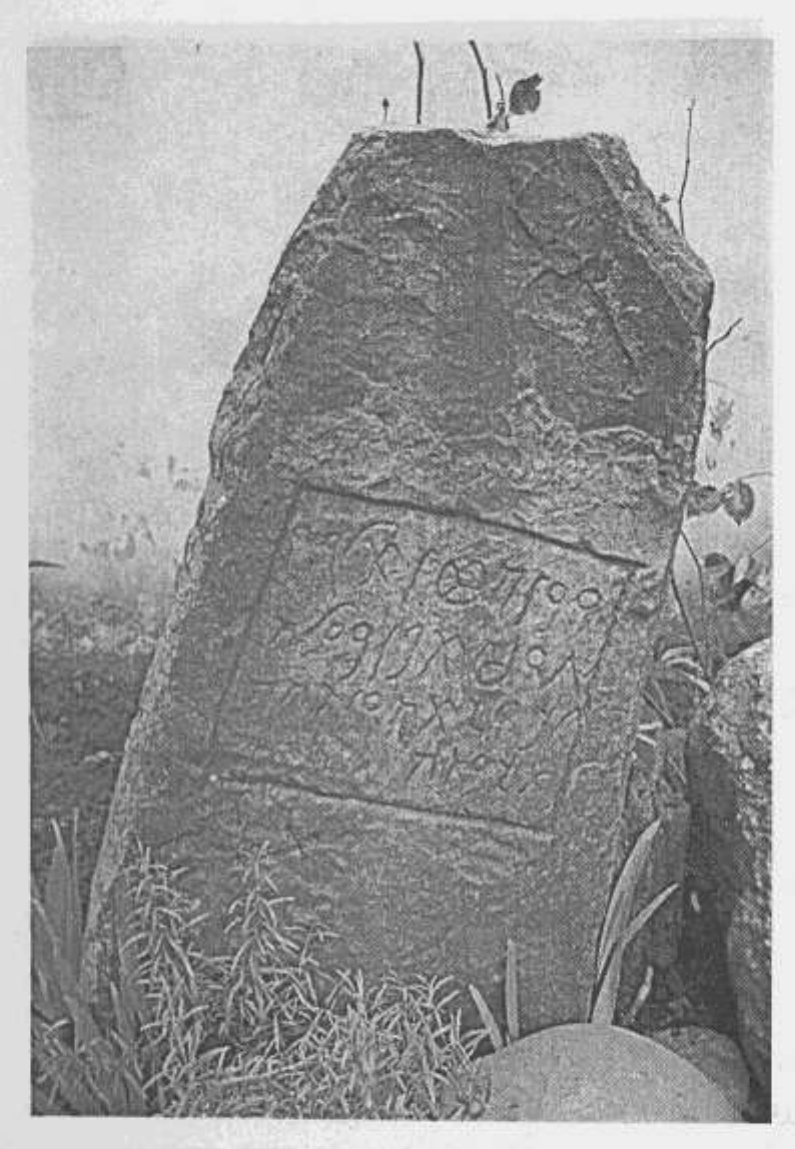


الصورة رقم: 30

يمثل مزارعا من منطقة عنابة في نصب ندري وفوق المزارع نلاحظ الهلال، وهذا المزارع يحمل بكلتا يديه خضر موسمية منها عناقيد عنب في اليد اليمنى، أما في اليد اليسرى فلا ندري ما نوعية الخضرة التي يحملها.

متحف عنابة

تصوير أحمد السليماني

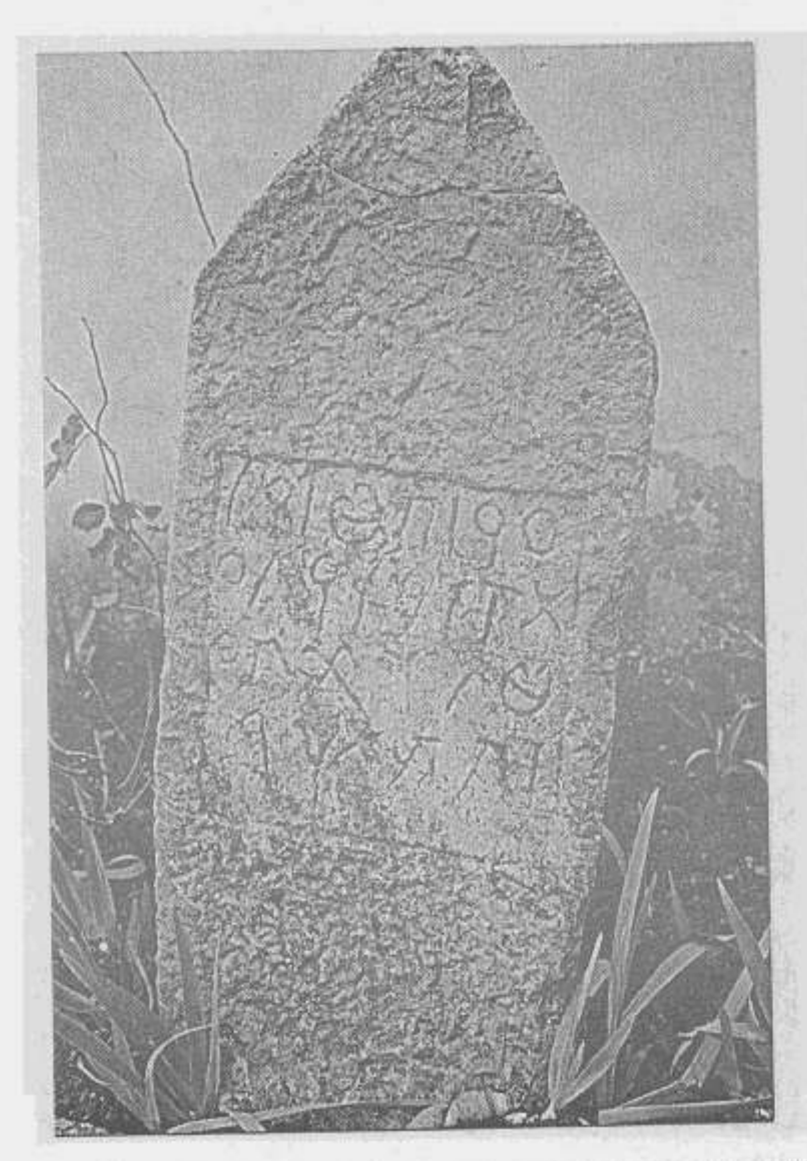


الصورة رقم: 31

النصب الندري الذي تعرضنا إليه في الشكل38، وفي هذه الصورة يبدو أكثر إكتمالا من ناحية الأجزاء الحجرية.

متحف عنابة

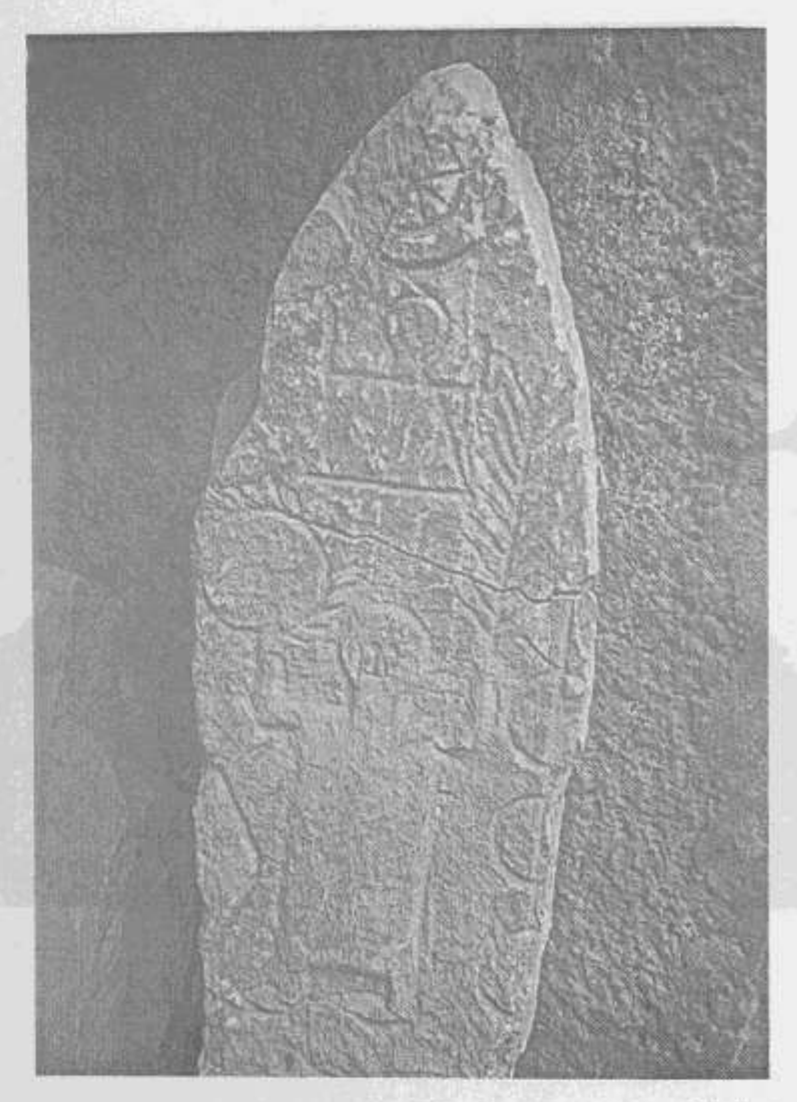
تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم: 32

نصب ندري قرطاجي عثر عليه في ناحية الشرق الجزائري(عين النمشة) ليس بعيدا عن قالمة، وتظهر فيه كتابة بونية قرطاجية، وتم إكتشافه في التسعينيات من القرن العشرين عن طريق الصدفة، وهو موجود الآن في المركز الثقافي لعين النمشة (بالقرب من مدينة قالمة).

تصوير أحمد السليماني

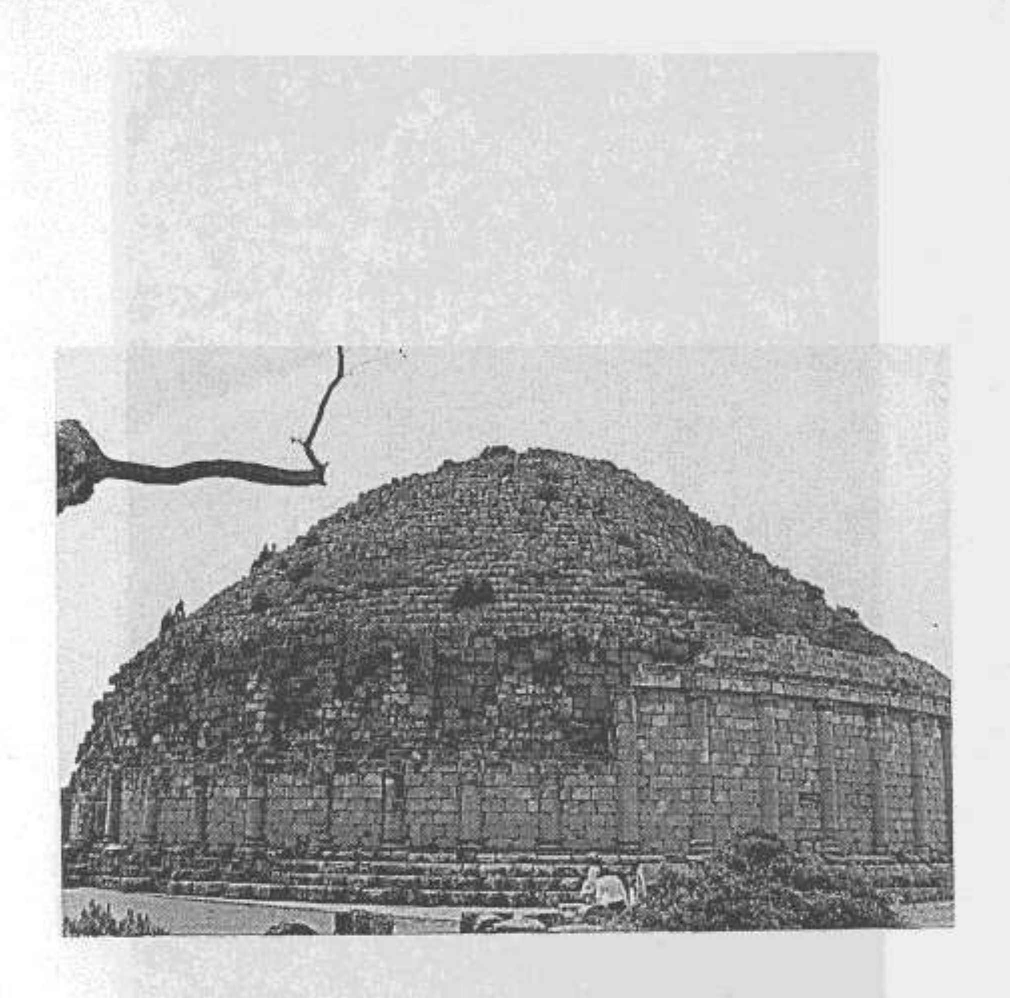


الصورة رقم: 33

نصب ندري قرطاجي من القرن الثالث ق.م، عثر عليه في منطقة عنابة، نشاهد فيه رسم الإلهة تانيت، وفي الأسفل يوجد صورة رجل حاملا إناء طعام، هل يعني ذلك تقديم قربان أم ماذا ؟ وفي يده اليسرى يحمل سنبلة أم سعف نخيل ؟

متحف عنابة

تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم: 34

صورة لقبر الرومية بالقرب من تيبازة، ونلاحظ اللمسات (القرطاجية-البونية) من خلال شكله، أي أن هناك تأثيرات بونية من ناحية الأعمدة التي تحيط الضريح وهو ينسب تاريخيا كضريح نوميدي ربما دفنت فيه كليوباترا سيلني زوجة يوبا الثاني .

تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم: 35

نشاهد فيه الباب الوهمي للضريح ، وهناك شكل صليب لا علاقة له بالمسيحية وإنما هو رمز لباب فقط ، أما مدخل الضريح فيوجد في الجهة الأخرى عن طريق نفق .

تصوير الأستاذ أحمد السليماني



الصورة رقم: 36

سيف وآثار عثر عليها في قبر الخروب الذي يفترض أنه مدفن الملك ماسينيسا الذي عاش في القرن الثالث ق.م وهو موجود الآن في متحف سيرتا بقسنطينة.

تصوير الأستاذ أحمد السليماني

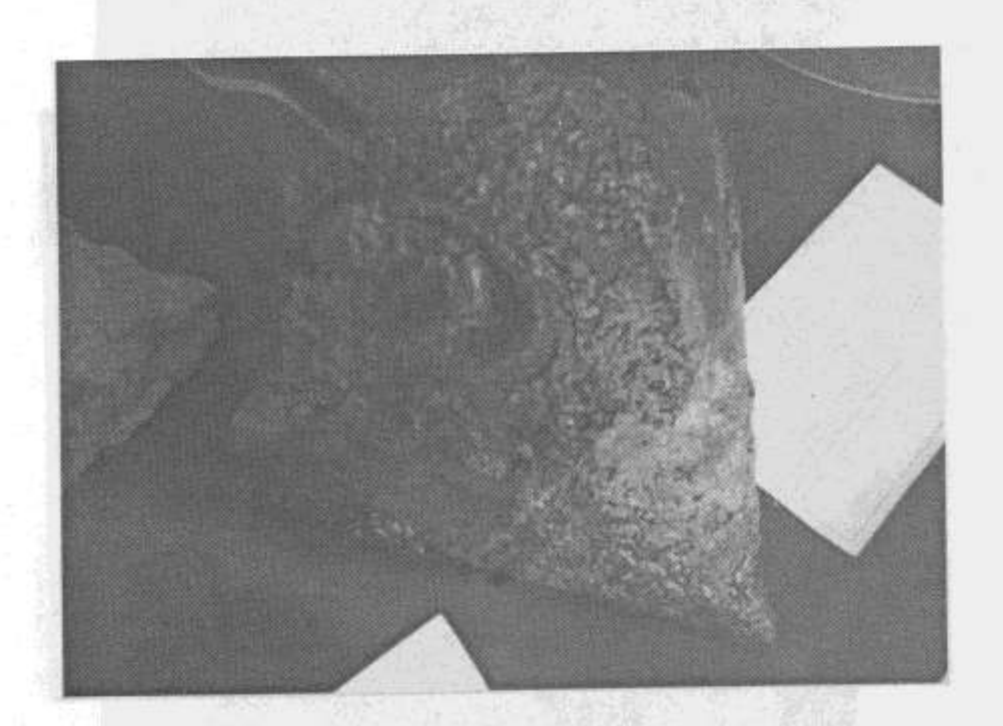


الصورة رقم:37

من الآثار التي عثر عليها في قبر الخروب (بوق فضي ينسب إلى عهد الملك ماسينيسا).

متحف سيرتا بقسنطينة.

تصوير أحمد السليماني



الصورة رقم : 38

القبعة التي كان يستعملها الملك ماسينيسا في حروبه ؛ عثر عليها في قبر الخروب وقد عاصر هذا الملك الدولة القرطاجية وكانت له حروب معها؛ من أجل مطالب ترابية.

(متحف سيرتا بقسنطينة)

تصويرالأستاذ أحمد السليماني

فهرس المحتويات

طبع هذا الكتاب في ماي 2007
بمطابع دار القصبة للنشر
حي سعيد حمدين، رقم 6، 16012، الجزائر.
الهاتف : 11 / 10 79 54 021 الفاكس : 77 72 54 021
الموقع الإلكتروني : www.casbaheditions.net
البريد الإلكتروني : casbah@casbaheditions.net
الجزائر، 2007.